تاريخ المصريين

١٤٠

سياسة مصر في البحر الأحمر
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ / ١٨١١ - ١٨٤٨م

طارق عبد العاطي غنيم بيومي



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



سياسة مصر في البحر الأحمر
في النصف الأول من القرن التاسع عشر
١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ / ١٨١١ - ١٨٤٨م

طارق عبد العاطي غنيم بيومي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة
١٩٩٩

الاشراف الفنى :

محمـود الجـزار

تقـــــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب عن « سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر »، الذى أعده الباحث طارق عبد العاطى بيومى كرسالة علمية حصل بها على درجة الماجستير فى التاريخ الحديث .

والكتاب يرسم صورة مهمة لسياسة محمد على الخارجية والعسكرية التى استهدف بها تأمين حدود مصر من كافة الجهات استعداد لتكوين امبراطورية مصـــرية . ولقد كان ميدان البحر الأحمر هو أهم الميادين التى تتكالب الدول الكبرى للسيطرة عليه لكونه أقصر طريق الى الشرق ، وكانت وسيلتها فى ذلك السيطرة على مصر ذاتها ، فأرسلت فرنسا الحملة الفرنسية أولا ، وأرسلت انجلترا حملة فريزر ، وكان فشل هذه الحملات هو المقـــدمة الطبيعية لتولى محمد على حكم مصر .

أدرك محمد على منذ البداية أن مصر ستظل فى خطر اذا لم تتحول من ولاية عثمانية صغيرة مستهدفة الى امبراطورية قوية منيعة ، فعمل على تأمينها من ناحية البحر الأحمر عن الطـــريق البرى من الاسكندرية الى السويس أولا ، واحتكار النقل فيه ، ومقاومة مشروع شق قناة السويس قبل الحصول على ضمانات كافية . ثم أنتهز فرصة أحداث الحجاز وطلبت الدولة العثمانية منه

القضاء على الدولة السعودية فى طورها الأول ، فقام ببناء أسطول قوى فى البحر الأحمر ، واستطاع السيطرة على نجد والحجاز فى عام ١٨١٨ ، والانطلاق من ذلك الى ضم اليمن والاستيلاء على عدن ، كما قام بفتح السودان وحاول ضم الحبشة ، لاتمام السيطرة على البحر الأحمر وعلى تجارته ، خصوصا بعد ضم مينائى سواكن ومصوع .

وقد تتبع الباحث ذلك كله ، كما تتبع الصراع الذى دار بين بريطانيا ومحمد على فى البحر الأحمر ، ومحاولاتها التصدى له فى الخليج العربى ، ووقف ازدياد نفوذه على الساحل الأفريقى .

والكتاب بذلك يغطى فترة مهمة من تاريخ مصـــــر من عام ١٨١١ الى ١٨٤٨ م ، بالاستناد الى الوثائق والمصادر الأصلية . وهو — لذلك — جديرا بالقراءة .

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

مقدمـــة

تعد سياسة مصر فى البحر الأحمر ، جزءا مهما من السياسة العامة التى رسمها محمد على لنفسه ، بصدد تكوين امبراطورية قوية فى الشرق .

وقد أولى محمد على البحر الأحمر اهتماما خاصا ، لكونه أقصر الطرق المؤدية الى الشرق ، ومن الضرورى السيطرة على هذا الطريق قبل أن تصل اليه اى دولة قوية ، وقد أدركت فرنسا من قبل أهمية هذا البحر ، وحاولت لذلك فى عام (١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م) أن تحتل مصر ، لتسيطر على هذا الموقع ، لتتخذ منه قاعدة الانطلاق ضد بريطانيا ومستعمراتها فى الشرق ، ورغم أن فرنسا فشلت فى تحقيق هدفها ، وانها وجهت أنظار بريطانيا لأهمية هذا الطريق البحرى القصير للشرق ، فحاولت عبثا احتلال مصر ، وأرسلت حملة فريزر فى (أول المحرم ١٢٢٢ هـ/١١ مارس ١٨٠٧ م) ، واحتلت الاسكندرية ، فان هذه الحملة باءت بالفشل ، وخرجت العساكر البريطانية من مصر فى (١١ رجب ١٢٢٢ هـ/٤ أكتوبر ١٨٠٧ م) .

ثم هيأت الظروف المحيطة بأحداث الحجاز ، أن تخدم أهداف محمد على ، وتحقق حلمه فى السيطرة على البحر الأحمر ، واحتكار تجارته بموافقة الباب العالى .

وكانت بريطانيا ترقب عن كثب ، ازدياد نفوذ محمد على ، على ساحلى البحر الأحمر ، وبدا واضحا لها أن سيطرته على ذلك الشريان المهم يجعل من الصعب عليها نقل تجارتها وذويها عبر هذا الطريق ، فضلا عما ستتحمله من نفقات مالية كبيرة .

ومن ثم لم تقف بريطانيا مكتوفة الأيدى ، بل حاولت بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، السيطرة على هذا الطريق ، ولم يهدأ لها بال حتى استطاعت أن تستولى على عدن (١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩ م) ، وأن تحجم نفوذ محمد على فى هذا البحر ، بموجب مؤتمر لندن (١٢٥٦ هـ/١٨٤٠ م) .

وقد دفعنى الى اختيار ذلك الموضوع دون غيره ، وتلك الفترة دون غيرها ، أن مصر شهدت فى هذه الفترة قيام واليها محمد على ببناء كيانها فى العصر الحديث ، وذلك لأنه بنى الاسطول المصرى فى البحر الأحمر والبحر المتوسط ، مما هيأ لمصر القيام بنشاط عسكرى واقتصادى ملحوظ مع جهات شتى ، ومنها الدول المطلة على البحر الأحمر .

أما عن اختيارى تلك الفترة (١٢٢٦ — ١٢٦٠ هـ/١٨١١ — ١٨٤٨ م) دون غيرها ، فذلك لأنها لم تلق قدرا كافيا من اهتمام الباحثين فقد أفاض الباحثون فى الحديث عن محمد على باشا من نواح عديدة ، خلت من القاء الضوء الكامل على سياسة مصر فى البحر الأحمر فى هذه الفترة ، ولذا فقد وقع اختيارى على هذا الموضوع دون سواه ، مستندا على الوثائق التى تكشف عن سياسة مصر فى البحر الأحمر ، وطموحات واليها محمد على فى هذه المنطقة الحيوية .

وقد قسمت الموضوع الى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة ، ثم ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث .

ففى **التمهيد** وهو تحت عنوان « **دراسة جغرافية وتاريخية عن البحر الأحمر** » ، ابرزت أهمية موقع البحر الأحمر ،.والمراحل الملاحية التى مر بها عبر التاريخ ، كما تناولت أهميته العسكرية والاقتصادية ، ثم تحدثت عن البحر الأحمر تحت السيطرة العثمانية، والتنافس الأوربى للسيطرة عليه منذ أواخر القرن الثامن عشر ، حتى ظهور محمد على ، ودخوله طرفا فى هذا الصراع .

وفى **الفصل الأول** وهو بعنوان « **طريق مصر البرى كمعبر شمالى للبحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر** » ، تحدثت عن الطريق البرى من الاسكندرية الى السويس ، وأثره على الملاحة فى البحر الأحمر ، ووضح الاهمال الذى كان من نصيب هذا الطريق فى أوائل القرن التاسع عشر ، بسبب هجمات اللصوص وقطاع الطرق ، وكيف أصبح طريقا ممهدا فى مأمن من اللصوص بفضل عناية محمد على ، وذلك من أجل زيادة حركة النقل فيه ، عن طريق اعطاء امتيازات للشركات البريطانية ، حتى استطاع محمد على فى النهاية أن يحتكر فى يده تماما النقل بالطريق البرى .

ثم تناولت الحديث عن مشروع بناء الخط الحديدى بين القاهرة والسويس ، وكيف استطاع محمد على التخلص من الضغط البريطانى من أجل تنفيذ هذا المشروع ، وتمكن من تنفيذ مشروع القناطر الخيرية ، تجنبا لانتشار النفوذ الأجنبى فى مصر .

كما تناولت الحديث عن مشروع شق القناة بين البحرين المتوسط والأحمر ، وموقف محمد على منه ، الذى كان يرى ضرورة الحصول قبل حفر القناة على ضمانات كافية ، تؤكد ملكية القناة له ، ولما ثبت له صعوبة تحقيق ذلك عارض المشروع ، حتى اضطرته ظروفه الصحية للتنازل عن الحكم عام (١٢٦٤هـ/١٨٤٨م) .

وتناولت فى **الفصل الثانى** **(سياسة مصر على ساحل الحجاز)** الحديث عن الدعوة السلفية فى شبه الجزيرة العربية ، وأثرها فى طلب الدولة العثمانية من محمد على القيام بحملة الى الحجاز ، للقضاء على الدولة السعودية فى طورها الأول .

ثم تناولت الحديث عن استعدادات محمد على البحرية ، وبناء نواة الاسطول المصرى لنقل قوات محمد على الى الحجاز ، وأبرزت دور هذا الأسطول فى تدعيم قوات محمد على فى الحجاز ، ونقل المؤن والذخائر الى هناك ، حتى تمكن ابراهيم بن محمد على من القضاء على السلفيين ، والسيطرة على نجد والحجاز عام (١٢٣٤ هـ/ ١٨١٨ م) .

وتطرقت بالحديث عن وصول قوات ابراهيم باشا الى الخليج العربى ، وموقف بريطانيا من ذلك ، ثم أنهيت الفصل بالحديث عن التجارة بين مصر والحجاز عبر البحر الأحمر .

أما **الفصل الثالث** وهو بعنوان **« سياسة مصر على ساحل اليمن »** ، ألقيت فيه الضوء على سياسة محمد على التوسعية فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، والقضاء على حركة محمد أغا « تركچة بيلمز » بقيادة ابراهيم باشا يكن الى اليمن ، والاستيلاء على عدن .

ثم تناولت الحديث عن اليمن تحت ادارة محمد على ، وختمت الفصل بالحديث عن التجارة بين محمد على واليمن عبر البحر الأحمر، واهتمام محمد على بموارد اليمن الاقتصادية ، المدفوعة برغبته فى احتكار تلك الموارد .

وفى **الفصل الرابع** وهو بعنوان **« سياسة مصر على الساحل الغربى للبحر الأحمر »** بدأت الحديث باسناد ولاية الحبش الى

مصر عام (١٢٣٥ هـ/١٨٢٠ م) ، مكافأة لابراهيم باشا على جهوده العسكرية ضد السلفيين .

وقمت بعرض أهم الأسباب التى دعت محمد على باشا الى ضم السودان ، والتى من ضمنها رغبة محمد على فى جعل البحر الأحمر بحيرة مصرية ، لا يشاركه فيها أحد ، حتى يملك الطريق الى الشرق ، ويسيطر على التجارة الدولية بين الشرق والغرب .

ثم انتقلت بالحديث عن نشاط مصر التجارى فى البحر الأحمر، عقب ضم السودان ، وتطوير وتأمين جميع وسائل النقل والمواصلات التى تربط مصر بالسودان ، واشرت الى انشاء محمد على خطا ملاحيا مباشرا على البحر الأحمر ، يربط سواكن بالسويس ، من أجل نقل السلع السودانية التى تتواجد فى المناطق القريبة من ساحل البحر الأحمر ، ويصعب نقلها بالطرق الصحراوية ، أو بطريق النيل .

ثم تحدثت عن محاولة محمد على ضم الحبشة ، تأمينا لحدوده الساحلية والجنوبية وتدعيما لقواته فى السودان ، ووقف بريطانيا من أطماع محمد على فى الحبشة .

وبعد ذلك تطرقت للحديث عن ضم اقليم التاكا، وظهور مشكلة سواكن ومصوع ، ثم العناية التى أولاها محمد على للجمارك فى هذين الميناءين .

وانهيت الفصل بالحديث عن نشاط مصر التجارى على الساحل الغربى للبحر الأحمر ، عقب ضم ميناءى سواكن ومصوع .

وقد اتضح نتيجة لسياسة محمد على على الساحل الغربى ، شيئان هما :

(أ) انه تأيدت حقوق السيادة العثمانية على ساحل البحر الأحمر الافريقى ، من حدود مصر شـــمالا حتى رأس غردفوى جنـــوبا .

(ب) أن محمد على قد رسم لخلفائه من بعده خطة واضحة، لادخال الاقاليم الافريقية المطلة على البحر الأحمـــر تحت الادارة المصـــرية .

وفى **الفصل الخامس** والأخير بعنوان « **موقف بريطانيا من سياسة مصر فى البحر الأحمر** » ، تعرضت للوسائل التى اتبعتها بريطانيا من أجل تعزيز مركزها فى البحر الأحمر عامة ، وفى جنوبه خاصة ، كما اشرت الى مناطق الصدام بين محمد على وبريطانيا ، وكيف وقفت الأخيرة فى وجه احتكار محمد على للبن اليمنى ، حتى اخذت قرارها باحتلال عدن وسيطرتها على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، تمهيدا لطرد محمد على من هذه المنطقة .

كما أوضحت فى هذا الفصل ، تصدى بريطانيا لأطماع محمد على فى الخليج العربى ، ثم انتقلت الى الحديث عن موقف بريطانيا ازاء ازدياد نفوذ محمد على على الساحل الافريقى ، ومعارضتها لمشروعات مصر التوسعية فى الحبشة والســاحل الغربى للبحر الاحمـــر .

وفى **الخاتمة** ذكرت أهم ما توصلت اليه فى الدراسة من نتائج، وأهم النتائج البارزة التى تناولتها فى الدراسة ، والقيت الضوء عليهـــا .

أما عن أهم مصادر هذه الدراسة ، فقد اعتمدت على مجموعة دار الوثائق القومية ، التى شـــملت محافظ بحر بر ، ومحافظ الأبحاث ، التى تضم احدى عشرة محفظة خاصة بالســودان ، جمع فيها ما أمكن جمعه عن السودان ، منذ شملته الادارة المصرية

فى عهد محمد على ، وهى مأخوذة من الدفاتر والسجلات المختلفة ، ومحـــافظ بحر بر تركى ، وهى تحتوى على وثائق واردة من جهات مختلفة غير القطر المصــــرى للمعية ، واعتمدت أيضا على اثنتى عشرة محفظة أخرى من محافظ الأبحاث خاصة بالحجاز ، افادتنى افادة كبيرة فى هذه الدراسة ، وذلك لأن محافظ الأبحاث تضم كل واحدة منها موضوعات محددة ، جرى تجميع مادتها العلمية بمعرفة بعض الرواد من الباحثين .

كذلك اعتمدت فى مواضــــع قليلة على وثائق الخــارجية البريطانية ، والارشيفات الاوربية ، وهى تحتوى على المراسلات البريطانية والفرنسية والنمساوية ، وقد استعنت بصفة خاصة بما جاء فى المراسلات فيما يخص عدن ، وموقف بريطانيا من اتساع نفوذ محمد على فى اليمن ، الى جانب مذكرة خاصة بالادعاء التركى بسيادته على السواحل الشرقية للبحر الأحمر وكل شبه الجزيرة العربية ، وارتكزت عليها فى تفســــير ما غمض على فى نقاط الدراســــة .

كما كان للمراجع العربية ، وبعض المراجع الأجنبية ، نصيب وافر من اثراء هذه الدراسة ، بالآراء المتعددة والمتنوعة لمساعدتى على اكمال جوانب النقص ، التى لم تف بها الوثائق ، وترجع أهمية تلك المراجع التى كتبها باحثون متخصصون من مختلف الاتجاهات ، لاعتمادهم على مصادر ربما لم يكن فى استطاعتى الحصول عليها ، الى جانب آرائهم ذات الأهمية فى التعليق على الأحداث وتحليلها ، ومن هذه المراجع :

كتاب د . فاروق عثمان أباظة « عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر (١٨٣٩ ـــ ١٩١٨ م) » ، حيث استفدت منه فى معظم فصــــول الدراسة ، لاعتماده على المصــــادر الأصلية ،

واعتماده على الوثائق البريطانية الرسمية المحفوظة أصولها بدار المحفوظات البريطانية العامة Uublic Record Office ، وسجلات مكتبة وزارة الهند البريطانية بلندن India Office Library and Record ، وهى الوثائق المتعلقة بكل من وزارة الخارجية البريطانية من جهة ، وشركة الهند الشرقية ، التى تحولت فى سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨ م الى وزارة الهند البريطـــانية من جهة أخـــرى .

وكتاب د . جابر طه « سياسة بريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية » ، وقد استفدت منه أيضا فى معظم فصول الدراسة ، وترجع أهمية هذا الكتاب لاعتماده على وثائق أصلية ، لم أتمكن من الحصول عليها ، مثل سجلات وزارة الهند India Office Library (I.O.L.) ، وسجلات البرلمان Parliamentary Depets (D.P.) ، وهذا الى جانب اعتماده على كثير من المراجع الغربية والاوربية الأصلية .

وكذلك كتاب د . محمود حسن صالح منسى « مشروع قناة السويس » ، وقد استفدت منه خلال دراستى للفصـــل الأول ، وترجع قيمته الى اعتماده على المصادر الأصلية .

ومن المـــراجع الأجنبيـــة المهمة كتاب Thomas Marston « Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800 — 1878»

« دور بريطانيا الاســــتعمارى فى البحر الأحمر ما بين ١٨٠٠ — ١٨٧٨ م » ، — لمؤلفـــه توماس مارســـتون وهو من الكتب المفيدة التى تناولت الصراع فى البحر الأحمر بين أهم أقطابه فى تلك الفـــترة ، وقد اعتمـــد هذا المؤلف على مجموعة من الوثائق والكتب والمصادر ، قلما تتوافر لنا فى مصر ، كما أنه يتناول أيضا جغرافية المنطقة ، وأهم مواقعها ومنافذها ومخارجها وسكانها ، وقد اعتمدت عليه فى معظم فصول الدراسة .

هذا الى جانب العديد من المراجع العربية والأجنبية الأخرى ، التى لا تقل أهميتها عن المراجع التى ذكرتها ، وقد أفادت الدراسة افادة كبيرة .

كما أننى استفدت استفادة كبرى من مجموعة الرسـائل العلمية ، وهى تمثل جهد الباحثين القائمين عليها ، وبالتالى تعطى معلومات مركزة الى حد كبير ، تخدم كثيرا من الأحيان مادة البحث .

وأخيرا لا يسعنى الا أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور محمد على حلة ، الذى تعهدنى بالعناية والرعاية والتوجيه طوال فترة البحث ، والذى مهما قلت عنه فلن توفيه الكلمات حقه اذ لم يكن قدوة علمية لى فحسب ، بل خلقية أيضا . فله أسجل كل تقديرى وعرفانى ووفائى وانه لشرف لى أن أكون واحدا من تلاميذه .

كما أتقدم بالشكر لأستاذى الفاضل الدكتور محمود حسن صالح منسى الذى لم يمنعه المرض الشديد من عونى أثناء فترة البحث وتقديم كل ما أتيح له من مؤلفات ووثائق تخدم مادة البحث فله منى دعاء من القلب بدوام الصحة والتوفيق .

واخيرا فانى اجتهدت قدر طاقتى لاخراج هذه الدراسة على هذه الصورة فان كان قد حالفنى التوفيق فلله الحمد والمنة وان كانت الأخرى فحسبى أننى اجتهدت والكمال لله وحده ، وانى لأسأل الله العلى القدير أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم .

المؤلف

التمهيـــــد

دراسة جغرافية وتاريخية عن البحر الأحمر

- اهمية الموقع الجغرافى للبحر الأحمر
- الخلجان والمضايق والجزر والموانىء فى البحر الأحمر
- اهمية البحر الأحمر العسكرية والاقتصادية
- البحر الأحمر تحت السيطرة العثمانية
- التنافس الأوربى على البحر الأحمر
- النشاط البريطانى فى البحر الأحمر فى بداية القرن التاسع عشر
- محمد على والتنافس الدولى فى البحر الأحمر

كان البحر فى زمن الحرب وفى زمن السلم هو صاحب الكلمة والسلطان ، وفى أرجائه ، وبين أمواجه ، يتقرر مصير الدول ، فهو حاجز طبيعى ضد العدوان ، وطريق التجارة الذى يضمن نجاح الأمم وتقدمها ، والوسيلة التى تسيطر بها الدول على البحار ، هى القوة البحرية التى تحقق السيادة والسيطرة .

ومن أمثلة ذلك تفوق البرتغاليين بعد عصر الكشوف البحرية ، فى التجارة بين الشرق والغرب ، وفشل البنادقة والمصريين فى مواجهتهم ووقف مدهم ، ثم سيطرة البريطانيين بعدهم على البحار لمدة ثلاثة قرون تقريبا ، وفشل فرنسا فى مواجهة هذه السيطرة ، وما تلا ذلك من صراعات ، كل ذلك يؤكد أن القوة البحرية هى التى تحقق التفوق فى البحر .

اهمية الموقع الجغرافى للبحر الأحمر :

البحر الأحمر(١) بمثابة حوض ضيق مستطيل من المياه ، يميل محوره فى اتجاه من شمال غرب الى جنوب شرق ، ويفصل هذا البحر سواحل شبه الجزيرة العربية عن سواحل أفريقيا ، مكونا شريطا مائيا يبدأ من السويس الى باب المندب(٢) ، والمنطقة الصالحة للملاحة ضيقة ، نظرا لوجود الشعاب المرجانية(٣) والصخور ، وقد حال ذلك دون ايجاد مراكز للملاحة تخدم حركة النقل بالبحر ، ولم تكن الشعاب المرجانية وحدها هى التى تشكل

صعوبة الملاحة فى البحر الأحمر ، بل ان ارتفاع درجة الحرارة(٤) وزيادة نسبة الرطوبة فيه وتأثير ذلك على سواحله من الأسباب التى زادت من صعوبة الملاحة فيه .

ولعل من أهم سمات البحر الأحمر ، أنه :

١ — ضيق فى عمومه وبه جزر عديدة ، وقد ساعد ذلك على سهوله التفاعل بين جوانبه ، كما انه يمتد طويلا بشكل يكاد يكون رأسيا بين الشمال والجنوب .

٢ — وعلى الرغم من صعوبة الملاحة فيه ، فانه ظل حلقة الاتصال بين البحار الشرقية والبحار الغربية ، كما أن وقوعه عند التقاء قارات العالم القديم ، جعلته عاملا فعالا لربط البلاد المحيطة به بعضها ببعض ، فقد كان طريقا للملاحة بينها ، ووسيلة لتسهيل التبادل التجارى .

٣ — أنه كان يفضل طريق الخليج العربى(٥) من حيث قصر المسافة .

ومرت الملاحة فى البحر الأحمر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى وهى المرحلة البرمائية ، حيث كان الطـــريق البحرى ينتهى بالقرب من السويس ، ثم تقوم طرق برية بالربط بين محطات هذا البحر وموانيه وبعض المدن القائمة فى وادى النيل، وفى المرحلة التالية جرى استخدام النيل وفروعه كهمزة وصل بين طريق البحر الأحمر وطريق البحر المتوسط كوسيط جغرافى بين الشرق والغرب ، وذلك فى عهد البطالمة ، أما بعد فتح العرب فقد تطور وازدهر هذا الطريق بعد أن دانت للعرب الســـيطرة على مفاتيح الطرق بين الشرق والغرب .

المرحلة الثانية : وهى المرحلة المحيطية التى تبدأ بسيطرة البرتغاليين على البحار الشرقية ، حيث نجح البرتغاليون فى الوصول بحرا الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، واستحوذوا على التجارة التى كانت تمر عبر الطريق البرمائى القديم ، وبذلك اقتصرت أهمية البحر الأحمر على التجارة بين ساحليه ، فتدهورت قيمة واهمية موانيه .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة تالية لموضوع الدراسة وتسمى بالمرحلة البحرية ، وتأتى فى أعقاب شق قناة السويس ، وفى هذه المرحلة أصبح البحر الأحمر أكثر قوة وأهمية مما كان عليه الطريق المحيطى .

الخلجان والمضايق والجزر والموانىء فى البحر الأحمر :

اولا : الخلجان :

ومن أهم خلجان البحر الأحمر خليجا العقبة والسويس(٦) ، ويقعان فى شمال البحر الأحمر ، حيث يقع الأول شرق شبه جزيرة سيناء ، بينما يقع الثانى غرب شبه جزيرة سيناء ، حيث يمتد من مدينة السويس شمالا حتى مدينة الغردقة جنوبا ، وهناك بعض الخلجان الصغيرة التى لا يكاد عرضها يسمح لمركب بالدوران فيها .

ثانيا : المضايق :

يوجد فى البحر الأحمر ثلاثة مضايق رئيسية ، هى مضايق جوبال وتيران وباب المندب ، ويتحكم مضيق جوبال فى مدخل خليج السويس الذى يعد الذراع الشمالية الغربية للبحر الأحمر ، وداخل هذا المضيق تقع عدة جزر صغيرة ، أهمها جزر أم كمران وشدوان

وجوبال ، وينحصر المضيق بين راس محمد وجزيرة شدوان وجزر جوبال .

أما مضيق تيران فيعد المدخل الوحيد لخليج العقبة من البحر الأحمر ، وداخل هذا المضيق تقع عدة جزر صغيرة ، أهمها جزيرتا صنافير وتيران ، اللتان تقومان بتقسيم المدخل أو المضيق الى ثلاثة ممرات ، لا يصلح منها للملاحة سوى المر الواقع بين جزيرة تيران وشبه جزيرة سيناء ويبلغ عرضه ثلاثة أميال وأقل من عشر الميل (٣٫٠٧ من الأميال) بينما مضيق باب المندب يقع فى جنوب البحر الأحمر ، ويمثل نقطة الاختناق الرئيسية (حيث لا يزيد اتساعه عن عشرين ميلا) ، ويتحكم فى مدخله جزيرة (ميون) — كما يسميها العرب — أو بريم — كما يسميها الغربيون — وتقوم جزيرة (ميون) بتقسيم المضيق الى ممرين ، أحدهما شرقى يسمى باب الاسكندر ، والآخر غربى يسمى ممر (ميون) ، ولا يستخدم المر الغربى غالبا لضيقه ، خاصة أثناء الليل ، ويعتبر المضيق قاعدة عدن البحرية على الساحل الآسيوى .

ثالثا : الجـــــزر :

أن تضاريس أعماق البحر الأحمر تضاريس وعرة قاسية ، باعتباره أخدودا غائرا بين اليابس الافريقى غربا ، واليابس الآسيوى شرقا ، فقاع البحر الأحمر تغطيه تلال مرتفعة ، يصل ارتفاعها الى ما دون سطح الماء ، ويظهر بعضها فوق السطح على شكل جزر ، بعضها له سمات الجزر التى تتكون على أعماق كبيرة من القاع ازاء تراكم الطفوح البركانية التى يبلغ منسوبها أحيانا منسوب الجبال ، وتسمى بالجزر المحيطة مثل جزيرة « الزبرجد » بالقرب من (رأس بناس) على الساحل المصرى ، وجرز « ذقر » و « حنيش الكبرى

والصغرى » عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وهناك أيضا جزر ساحلية Off — Shore Islands مفصولة عن اليابس مثل جزيرة ميون « بريم » Perim و « شدوان » و « كمران » .

وعلاوة على ذلك هناك نوع آخر من الجزر ، وهى الجزر المرجانية الحلقية Atolls ، وهى عبارة عن جزر تتألف من شعاب مرجانية قديمة ذات ارتفاع محدود فوق سطح البحر ، ونظرا لأن مياه البحر الأحمر بيئة صالحة لنمو المرجان ، لذلك فهى أكثر أنواع الجزر شيوعا فى البحر الأحمر ، خاصة بالقرب من الساحل ، حيث تتوافر المياه الضحلة ، وهى ان كانت أكثر الجزر شيوعا ، فانها أقل حجما .

ويقدر عدد جزر البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ جزيرة ، مما يزيد من سيطرة اليابس على الماء ، الا أن معظمها متناهى الصـــــغر بينما يتضاءل عدد الجزر الكبيرة التى تتجاوز مســـــاحتها ثمانية أميال مربعة ، مثل « ذقر » و « الحنيش الكبيرة » و « دهلك الكبيرة » و « قمران » ، وتزداد أهمية الجزر كلما اقتربنا من نقط الاختناق الرئيسية فى البحر الأحمر ، مثل جزيرة ميون « بريم » التى تقع داخل مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر ، وجزر « صنافير » و « تيران » و « جوبال » شمال البحر الأحمر .

رابعا : الموانىء :

لقد شهدت سواحل البحر الأحمر قيام موانىء عديدة خلال العصور التاريخية ، كان لها دور كبير فى خدمة النقل البحرى ، وتدعيم التجارة بين الشرق والغرب ، وتنقسم هذه الموانىء الى قســـــمين :

(أ) موانىء تطل على الساحل الغربى .

(ب) موانىء تطل على الساحل الشرقى .

اولا : على الساحل الغربى :

١ ـ ميناء السويس :

ويعد الميناء الرئيسى لمصر على البحر الأحمر فى وقت السلم ، وقد شهد هذا الميناء نشاطا تجاريا ملحوظا منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، حيث كانت تصل اليه سفن التجارة الصغيرة من ميناء جدة وعدن ، محملة بالتوابل والعطور والعقاقير والأحجار الكريمة ، ثم ما لبث أن هجر وتحول ـ بعد اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح ـ الى ميناء حربى بنيت فيه ترسانة السفن الحربية، من أجل الاحتفاظ بالتجارة العالمية فى أيدى مصر ، ومنع الاجانب من النزول فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومنه قام أسطول مصر الحربى فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى الى الهند لمحاربة البرتغاليين .

وربما كان السبب فى بقاء هذا الميناء هو ذلك العبور السنوى لقافلة الحج (التى تضم حجاج مصر والمغرب العربى وأواسط أفريقيا) ، التى يبحر جزء منها من هذا الميناء عند السفر الى مكة ، كما ينزل عند عودته ، ثم شهد هذا الميناء فترة من النشاط التجارى فى عهد على بك الكبير (١١٨٣ ـ ١١٨٧ هـ/١٧٦٩ ـ ١٧٧٣ م) ، الذى عمل على تشجيع السفن البريطانية ، لتصل من الهند الى السويس ، وانتهت هذه الفترة بثورة الباب العالى ضد على بك الكبير ، حرصا من السلطان على تجار القسطنطينية ، الذين كانوا يحملون تجارتهم من الهند عن طريق البصرة وحلب ، هذا بالاضافة الى ضعف الأمن والحماية بالنسبة لمرور التجارة الشرقية عبر الأراضى المصرية .

ومما زاد من قيمة هذا الميناء ، الطرق الممهدة التى كانت تصل بينه وبين القاهرة ، نتيجة ادراك محمد على للمزايا التى تعود على مصر لو تم احياء طريق التجارة القديم ، وكمحاولة لاسترضاء بريطانيا التى كانت تبغى تسهيل مرور تجارتها وذويها بين السويس وموانىء البحر المتوسط ، فكان هذا الطريق برمائيا منظما ، فهو مائى من الاسكندرية الى القاهرة ، وبرى من القاهرة الى السويس .

٢ ـ ميناء القصير :

وهو ميناء صغير ، ولم يكن موجودا به أرصفة للسفن الكبيرة، ويقع داخل خليج صغير مفتوح من جهة الجنوب الشرقى ، ومغلق من الشمال بصخرة تتجه نحو شرق الجنوب الشرقى ، وهى صخرة تبدو ذات سطح مستو ، ولا تستطيع السفن الاقتراب من المدينة لعدم وجود أرصفة ، مما كان يجعل الناس يضطرون الى تفريغها باستخدام زوارق لا تستطيع بدورها أن تلامس الشاطىء ، فيحمل الرجال البضائع بعدما يخوضون فى الماء حتى منطقة وجود هذه الزوارق .

وكان لهذا الميناء أهمية خاصة قبل اعداده كميناء بحرى مهم ، وقبل استخدام السفن البخارية ، وبخاصة وقت الحج ، وأهمية هذا الميناء ترجع الى أنه يقع على البحر الأحمر فى مواجهة « قنا » على النيل ، حيث تضيق المنطقة الصحراوية ، كما أن هناك طرقا ووديانا معروفة ومعبدة توصل بين القصير والنيل ، كانت تطرقها القوافل قديما .

وقد تدهورت تجارة هذا الميناء بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وفى خلال القرن الثامن عشر الميلادى ظهر بعض النشاط التجارى بينه وبين جدة ، بالاضافة الى أن كثيرا من الحجاج

الموجودين فى صعيد مصر ، كانوا يفضلون طريقه الى الأراضى المقدسة ، وزادت اهمية هذا الميناء مرة أخرى عند بدء التنافس البريطانى الفرنسى على طريق سريع للبريد بين أوربا والهند ، ثم اهتم محمد على بهذا الميناء عند تنفيذ تعليمات السلطان العثمانى ، بانفاذ حملة الى الحجاز ، للقضاء على الدولة السعودية فى دورها الأول ، كما قام بعمليات تعدين الذهب والنحاس بالقرب من هذا الميناء .

٣ ـ ميناء سواكن :

يقع على ساحل السودان ، ويبعد عن السويس بحوالى (٧٢٠ ميلا) ، وعن مصوع بحوالى (٢٨٠ ميلا) ، وعن جدة بحوالى (٢٠٠ ميل) وكان لهذا الميناء دور كبير فى خدمة الملاحة والتجارة منذ اقدم العصور التاريخية ، لكونه خليج طبيعى يحمى السفن من الانواء والعواصف ، كما تلائم أعماقه رسو السفن ودورانها واستقبالها ، وظلت سواكن طوال تاريخها حتى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، من الموانىء الصغيرة غير المشهورة ، وكانت خدماتها مقصورة على تصريف بض سلع الدويلات المسيحية ، ومرور الحجاج المسيحيين الى الأراضى المقدسة فى القدس ، وقد استمر مرور الحجاج المسيحيين ، حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، حيث ازداد المد العربى الاسلامى ، وقضى على البقية الباقية من معاقل المسيحيين فى النوبة العليا ، واحتكرت سفن الملاخين العرب التجارة منها واليها .

وعلى الرغم من ذلك فان المرحلة التى تمتد من أوائل القرن الخامس عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، تتميز بظاهرة غريبة وهى الذبذبة وتفاوت قيمتها وشهرتها فى خدمة السودان من رقيق وشمع وعسل الى مصر عن طريق البحر الأحمر .

وترجع شهرة سواكن الى اسباب مهمة ، وهى :

(أ) ملاءمة المرفق الطبيعى لرسو السفن وحمايتها .

(ب) سهولة عمليتى الشحن والتفريغ من السفن ، لأن المرابط لا تبعد كثيرا عن مواقع السكنى والتخزين .

(جـ) اتصالاتها بالجهات البعيدة ، ونشـــــاطها التجارى مع الهند وموانىء البحر الأحمر الأخرى .

(د) حصانة موقعها وامتناعها على القطع العسكرية ، التى لا يمكن أن تقترب اليها ، أو أن تهددها بسهولة فى عرض البحر .

٤ ــ مينـــاء مصـــوع :

وهو منفذ الحبشة على البحر الأحمر ، ومن اهم مميزاته انه مكون من عدة جزر مرتبطة ببعضها عن طريق ممرات أرضية ، وهذه موجودة بالجهات الغربية من مصوع ، ويقع هذا الميناء شمال شرق بلاد الحبشة .

ثانيا : على الساحل الشرقى :

١ ــ مينـــاء جـــدة :

يقع هذا الميناء فى ثغرة كبيرة بين الشعاب المرجانية ، التى تكتنف الساحل ، لكن المياه ضحلة فى جوار اليابس المباشـــر ، لهذا لم يكن فى استطاعة السفن المحيطية الرسو على هذا الميناء ، بل كانت تقف بعيدا فى عرض البحر ، وتقوم القوارب الشراعية بنقل الركاب والبضائع الى البر .

وقد لعب هذا الميناء دورا خطيرا فى تحول التجارة من ميناء عدن ، مما أدى الى ازدهار تجارة المماليك ، حيث أصبحت جدة المستودع العظيم لمتاجر الهند .

وبعد سيطرة العثمانيين على بلاد الحجاز ، ودخول الأماكن المقدسة فى حوزتها ، أصبح ميناء جدة هو الميناء الرئيسى لتموين الحجاز ، بما تحتاج اليه من غــــلال وغير ذلك ، هذا الى جانب استقباله للحجيج .

٢ ــ مينــــاء ينبع :

وقد أسهم هذا الميناء بدور كبير فى تجارة البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، وتوجد به كثير من العمائر والأسواق ، حيث كانت ترد اليه السفن محملة بالســـلع الهندية والمصرية ، ثم يقوم أهل المدينة بنقل هذه السلع الواردة اليهم من الميناء الى المدينة المنورة .

٣ ــ مينــــاء مخــــا :

وهو ميناء اليمن القديم ، وعن طريق هذا الميناء كان ومايزال البن يأخذ طريقه للخارج (باسم بن المخا) ، وقد تأثر الميناء بتحويل تصدير البن فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى الى عدن ، بعد انشاء ميناء الحديدة .

٤ ــ مينــــاء عــــدن :

يعتبر ميناء عدن(٧) نقطة البداية لتفرق خطــوط الملاحة فى الأنحاء المختلفة فى المحيط الهندى ، الى شرق افريقيا فيما وراء القرن الافريقى ، والى الهند والصين والشرق الاقصى ، كما أنه

يعتبر من أكبر محطات تبادل السلع بين الشـــرق وطريق البحر الأحمر ، وتعود أهمية عدن الى ميزاتها الطبيعية ، اذ تقع شـبه جزيرة عدن على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وتبلغ المسافة بينها وبين بوغاز باب المندب (مائة وعشرة أميال) شرقى البوغاز ، وهى بذلك تتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر .

كما تعد عدن مفتاح البحر الأحمر من جهة الجنوب ، وقد فقدت عدن قيمتها نتيجة لانسحاب التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح ، ثم شهدت عدن المنافسة بين البريطانيين والفرنسيين فى أثناء القرن الثامن عشر الميلادى ، واســتمر هذا التنافس حتى استولت بريطانيا عليها فى (١٢٥٥ هـ/١٩٣٩ م) ، نتيجة النظام الاقتصادى الذى وضعه محمد على بعد سيطرته على أهم المناطق فى اليمن ووصوله الى مياه الهند .

اهمية البحر الأحمر العسكرية والاقتصادية :

تتمثل أهمية البحر الأحمر فى موقعه كمعبر الى المحيط الهندى من ناحية ، ولأهمية المنطقة التى يمر فيها من ناحية أخرى ، فالبحر الأحمر هو مدخل المحيط الهندى الذى دار فيه التنافس الدولى بين القوى الكبرى على أشده ، كما أنه يربط بين منطقتين من أخطر مناطق الصراع الاقليمى والدولى ، هما الشرق الأوسط والقرن الافريقى ، ولو اضفنا اليهما منطقة الخليج يكون البحر الأحمر حلقة الاتصال بينها جميعا ، ويمكن القول بأن دول غرب أوربا الصناعية لها مطالب جيوبوليتيكية فى البحر الأحمر .

وأهمية البحر الأحمر تكمن فى جانبين مهمين هما :

١ ــ الجـــانب العســـكرى :

فالبحر الأحمر هو مدخل البلاد العربية الى أفريقيا وآسيا ، وهو المنفذ البحر الوحيد لكل من السودان وأثيوبيا ، بل يمكن بالتعبير العسكرى « جبهة تعرض » لمصر العليا ومنابع النيل ، وهو علاوة على ذلك يعتبر أحد بؤر الصراع الاستراتيجى العالمى ، فأمن البحر الأحمر يرتبط بأمن المحيط الهندى من ناحية ، وبأمن الخليج العربى من ناحية ثانية ، وبأمن البحر المتوسط من ناحية ثالثة ، وهو همزة وصل بين الاساطيل البحرية فى البحر المتوسط والمحيط الهندى .

٢ ــ الجـــانب الاقتصـــادى :

ان وقوع مصر فى أضيق نقطة بين البحرين « المتوســـط والأحمر » ، جعلاها مركزا مهما لتجارة الشرق والغرب ، واحتفظت مصر بهذه الأهمية الى أن تم كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وعلى الرغم من وجود هذا الطريق وتحول معظم التجــارة اليه ، فانه لم تتوقف التجارة فى البحر الأحر على وجه العموم ، فقد استمر نقل تجارة الشرق الى غرب أوربا عبر البحر الأحمر ، حيث كانت دول أوربا تستورد الحديد والأرز والشاى من الصين ، والقطن والكتان والشـــاى أيضا من الهند ، والتوابل من جزر التوابل ، والصمغ واللبان من شبه الجزيرة العربية ، وبذلك تتبين أهمية البحر الأحمر الاقتصادية لدول الشرق والغرب على السواء .

البحر الأحمر تحت السيطرة العثمانية :

كان من أبرز نتائج الســـيادة العثمانية على الحجاز ، ظهور العثمانيين فى البحر الأحمر حاملين لواء الحرب ضد البرتغاليين ، وبناء على ذلك وجه العثمانيون فى عام (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) حملة

بحرية الى جنوب البحر الأحمر ، بهدف ضرب البرتغاليين فى مياه الهند قبل وصولهم الى البحر الأحمر ، وتكونت هذه الحملة من عشرين سفينة ، غير أن تلك الحملة لم تتمكن من القيام بعمل ايجابى يذكر ضد البرتغاليين ، وسرعان ما اتخذ العثمانيون من السويس قاعدة بحرية لدخول بلاد اليمن ، كما اهتموا بترميم القلاع فى السويس والطور ، والمحافظة على آبار الماء المتناثرة فى تلك الجهات .

وفى عام (٩٥٨ هـ/١٥٥١ م) وجهت الدولة العثمانية الاسطول المصرى الى اليمن ، ونجح فى استخلاص عدن من أهلها الذين شقوا عصا الطاعة واتفقوا مع البرتغاليين ، وقد ارتبطت استراتيجية العثمانيين للحفاظ على أمن البحر الأحمر بدعم وجودهم فى عدن ، باعتبارها قاعدة أساسية لتحقيق ذلك ، بل انهم حرصوا على تحصين ميناء جدة ، فجعلوا جدة باشوية ألحقوا بها بعض الموانىء الواقعة على ساحل البحر الأحمر الافريقى التى خضعت لهم ، وأهمها سواكن ومصوع ، وأطلقوا عليها « ولاية الحبش »(٨) ، كما استعانوا بأحد الزعماء المحليين(٩) للمعاونة فى أعمال الحكومة والادارة بمصوع ، وآخر مثله بسواكن ، وكلفوهما بجباية الضرائب من القبائل المنتشرة على طول ساحل البحر الأحمر الغربى .

وبذلك يكون قد شارك جزء كبير من شرق أفريقيا مصر فى خضوعها للدولة العثمانية ، ذلك أن الدولة العثمانية قد احتفظت بسيادتها على هذه الاقاليم ، توحيداً لها مع بقية الاقاليم الاسلامية، وبذلك تكون قد وحدت كل سكانها(١٠) .

أما من الناحية الادارية فنلاحظ أن المحافظات الصومالية قد خضعت فى معظم أوقاتها لسلطة والى اليمن العثمانى ، أما سواحل الصومال الممتدة من المحيط الهندى ، فان السلطات العثمانية لم تصل اليها ، بل تركت أمر ادارتها للشيوخ والسلاطين المحليين .

وكان لدخول العثمانيين مصر ووصولهم الى بعض المنافذ على سواحل البحر الأحمر الجنوبية وسواحل شبه الجزيرة العربية ، أثره فى انعاش القوى الاسلامية ، حيث قامت الدولة العثمانية بتأمين البحر الأحمر ، ومنع حكام الولايات الواقعة تحت نفوذها من الدخول فى علاقات مع دول أوربية ، مما أثر على النشاط التجارى فى البحر الأحمر ، وأصبح ميناء السويس ميناء مهجورا ، يتردد عليه من وقت لآخر عدد قليل من السفن العربية تحمل البضائع من الحجاز واليمن ، كما كانت ترسل الى أحد هذين البلدين ويعاد تصديرها الى السويس .

واستمر هذا الخطر قائما حتى أواخر القرن السابع عشر ، اذ اذنت السلطان العثمانية لسفن شركة الهند الشرقية فى دخول البحر الأحمر حتى ميناء جدة ، وظلت المنطقة بين ميناء جدة والسويس منطقة مغلقة فى وجه السفن المسيحية حتى عهد على بك الكبير (١١٨٣ ــ ١١٨٧ هـ/١٧٦٩ ــ ١٧٧٣ م) ، الذى انفرد ــ الى حين ــ بحكم مصر ، فسمح للسفن المسيحية أن تمتد رحلاتها الى السويس ، أملا منه فى احياء طريق التجارة القديم ، الذى كان يمر بالبحر الأحمر والسويس والقاهرة والاسكندرية ، مما يفيد الموارد المالية المصرية عن طريق الجمارك التى تحصل على البضائع المارة بهذا الطريق .

التنافس الأوربى على البحر الأحمر :

لقد تأثر تاريخ مصر الحديث بموقعها على البحر الأحمر ، اذ أن هذا البحر اصبح فى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادى شريانا من أهم شرايين المواصلات بين الشرق والغرب ، وبخاصة بعد اكتشاف البخار واستخدامه فى المواصلات البحرية ، وظهر التنافس واضحا بين بريطانيا وفرنسا

منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، وبدأ الصراع يشتدد بينهما عندما أخذت كل من الدولتين تهدد مصالح الأخرى عبر الطرق المؤدية الى الهند ، ومن بينها طريق البحر الأحمر .

وجدير بالذكر أن بريطانيا حينذاك فشلت فى ادراك نية فرنسا فى غزو مصر وتهديد مصالحها فى الشرق ، معتقدة أن فرنسا تعمل فقط لايجاد مركز ممتاز لنفسها فى الملاحة فى البحر الأحمر وموانىء مصر الملاحية .

وقد كانت فرنسا تهدف من وراء غزو مصر بناء امبراطورية استعمارية جديدة لها فى الشرق ، تكون قاعدتها مصر ، ومنذ مجىء الحملة الفرنسية الى مصر ظهرت صفحة جديدة من صفحات الصراع البريطانى الفرنسى فى الشرق ، كما برز الدور الخطير للبحر الأحمر ، سواء على المستوى المحلى المصرى ، أو على المستوى العربى والاسلامى ، أو على المستوى العالمى ، من مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، وكان من ضمن مخططات نابليون بونابرت دراسة مشروع توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، هذا الى جانب التنسيق بين قواته فى مصر ، والقوى السياسية العربية المطلة على كل من البحر الأحمر والخليج العربى(١١) ، ومساعدة « تيبو صاحب » آخر ملوك المسلمين فى الهند ، الذى كان يخوض بدوره صراعا رهيبا ضدالحكم البريطانى فى الهند .

وقد بدأ الفرنسيون بعد حملتهم على مصر ، يعملون الترتيبات اللازمة فى السويس ، لتجميع الاسطول الفرنسى الذى سيوجه الضربة القاضية لبريطانيا فى الهند ، فقام نابليون بتوجيه قوات عسكرية بقيادة الجنرال « بون » Bon لاحتلال السويس ، وسلكت الحملة طريق الحجاج ، فبلغتها فى (أواخر جمادى الثانية

١٢١٣ هـ/ مطلع ديسمبر ١٧٩٨ م) ، وأعمل الفرنسيون النهب والتدمير فى المدينة ، واستولوا على كميات البن والدقيق والغلال ومواد الوقود وغيرها ، ونقلها الى مستودعات الجيش .

وحينئذ قامت بريطانيا بارسال أسطولها ليجول فى مياه البحر الأحمر بقيادة الكابتن « بلانكت » Blanket فى عام (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) ، كما أن حكومة بومباى أمرت باحتلال جزيرة ميون « بريم » ، وتم ارسال الملازم « موراى » Murroy مع ثلاثمائة جندى لاحتلال هذه الجزيرة ، وذلك لأن تلك الجزيرة تعتبر متحكمة فى مدخل باب المندب ، وتم تحقيق المهمة باحتلال الجزيرة ، ولكن الافتقار للماء العذب فى هذه الجزيرة وقلته ، أدى الى أن « موراى » اضطر الى مغادرة الجزيرة والذهاب لعدن ، وهناك تم استقباله بالمودة من قبل سلطان لحج وعدن .

وفى هذه الأثناء قام نابليون بانشاء قوة حربية فرنسية تجول البحر الأحمر ، وتبسط سيطرة فرنسا فى منطقته ، فعهد الى المهندس « فيرود » Feroud بانشاء ترسانة فى بولاق بالقاهرة ، صنعت فيها سفن حربية صغيرة ، ثم نقلت الى السويس ، وقامت باحتلال ميناء القصير ، وبسطت سيطرة فرنسا على المنطقة الواقعة بين ميناءى جدة والسويس ، ولم يقض على هذه السيطرة سوى وصول حملة بريطانية من الهند بقيادة الجنرال « بيرد » Beird فى عام (١٢١٦هـ / ١٨٠١ م) ، كجزء من خطة بريطانيا لاستعادة مصر وتحريرها من فرنسا ، وكانت مهمة هذه الحملة أن يهبط « بيرد » بقواته فى القصير لكى يقوم بمناوشة مؤخرة الجيش الفرنسى .

ويعتبر هذا أول استخدام للبحر الأحمر لأغراض عسكرية حديثة ، وبالفعل احتلت قوات « بيرد » القصير ، ثم انفصلت

عنها قوة واصلت سيرها الى السويس ، أما بقية القوة فاتجهت من القصير الى قنا ، ومنها فى النيل الى الجيزة ، فبلغتها بعد جلاء الفرنسيين عن القاهرة .

وقد شهد القرن التاسع عشر الميلادى عدة حوادث أدت الى تجدد التنافس الدولى فى البحر الأحمر ، لأن الحملة الفرنسية على مصر فتحت أبواب الشرق العربى لانواء السياسة العاصفة ، تمثلت بعدد من القوى المحلية والأوربية ، التى لعبت أدوارا متباينة فى هذه المنطقة خلال هذه الفترة ، الا أن قوة محلية مستجدة كان لها الدور الأكبر والأهم فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، وتمثلت تلك القوة فى وجود محمد على .

أما دور القوى الأوربية ، فقد انفردت بريطانيا بمعظمه خلال هذه الفترة ، كنتيجة حتمية لتراجع النفوذ والنشاط الفرنسى ، أما روسيا فعلى الرغم من نشاطها اللافت للنظر فى هذه الفترة ، فانها ظلت بمنأى عن البحر الأحمر ، واقتصر دورها على الحدود الشمالية للدولة العثمانية .

النشاط البريطانى فى البحر الأحمر

فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى :

وعلى الرغم من بقاء بريطانيا القوة الوحيدة — دون بقية الدول الأوربية — فى هذه الفترة ، ومع كثافة الجهود التى كانت تبذلها شركة الهند الشرقية البريطانية لتنشيط تجارتها المتبادلة بين سواحل البحر الأحمر وممتلكاتها فى الهند ، فان نشاطها التجارى بدأ يتدهور نتيجة للسياسة التى اتبعتها الدولة العثمانية حينذاك وسايرها فيها سلطان لحج وعدن ، فالبن الذى كان يرسل

الى أوربا والهند ، أخذ طريقه ألى مصر ، وحملته القوافل من جدة الى مكة ، بل انه بين عامى (١٢١٣ — ١٢١٦ هـ/١٧٩٨ — ١٨٠١ م) اشترت السفن الأمريكية كميات كبيرة من البن اليمنى ، وبدأت تتعامل مباشرة مع المنتجين الأصليين .

ولهذا سارعت ادارة الشركة الى ارسال الدكتور « برنجل » Pringle (١٢) الى اليمن حاملا عدة خطابات وهدايا من الحاكم اعالم للهند الى على منصور « امام صنعاء » ، لحثه على اصدار تعليماته بعدم مضايقة السـفن البريطانية عند قيامها بعمليات التبادل التجارى مع سواحل البحر الأحمر ، وتزويدها بكل ما تحتاج اليه لمواصلة رحلاتها ، وتم استقبال الدكتور « برنجل » بحرارة من قبل الامام ، وقد حصل على كل الامتيازات التى طلبتها وأوصتعليها شركة الهند الشرقية البريطانية .

وصدرت التعليمات بالفعل لحكام الموانىء اليمنية في « مخا » و « الحديدة » و « اللحية » بتقديم كافة التسهيلات والاحتياجات اللازمة للسفن البريطانية بالأسعار العادية ، وكذلك أن يقدموا لها المرشدين والبحارة اللازمين ، كما اتفق على أنه فى حالة تحطم احدى السفن فانه يجب حماية البحارة على الشاطىء ، والمحافظة على شحنات تلك السفن بقدر الامكان ، وفضلا عن ذلك فقد وافق الامام « على منصور » أيضا على بناء مستشفى بحرى فى «مخا» ، لاستقبال المرضى من الاسطول التجارى البريطانى .

واستمرت جهود بريطانيا لتدعيم تجارتها مع اليمن ، ورعاية مصالحها فى منطقة البحر الأحمر ، وخاصة عندما عينت الكومودور سير « هوم بوبهام » Popham Hom (١٣) مندوبا لها فى المناطق العربية فى عام (١٢١٧ هـ/١٨٠٢ م) ، وكان مخـولا بالسلطة لأن يعقد معاهدة تجارية مع امام« صنعاء » وسلطان

لحج وعدن ، ولكنه فشل فى عقد معاهدة مع امام « صــنعاء » لرفضه مواد المعاهدة المقترحة ، فتوجه بعد ذلك الى عدن ، وبذل جهوده لاقناع السلطان « أحمد عبد الكريم » ســـــلطان لحج وعدن بعقد معاهدة للصداقة والتجارة ، وبالفعل نجح «بوبهام» فى عقد معاهدة للصداقة والتجارة فى (٢٧ ربيع الآخر ١٢١٧هـ/ ٦ سبتمبر ١٨٠٢ م) مع سلطان لحج وعدن ، وجاءت فى سبعة عشر بندا أهمها :

١ ــ ايجاد اتصال تجارى بين الشركة الهندية الشـــرقية والرعايا البريطانيين المسموح لهم بـــ « المعاملة » مع حكمدار الهند العام ، ورعايا السلطان « أحمد عبد الكريم » .

٢ ــ اعتبار ميناء عدن مفتوحا لجميع البضائع الواردة على المراكب البريطانية ، على أن تدفع ٢٪ كضرائب جمركية لمدة عشر سنوات .

٣ ــ بعد أن تنقضى العشر سنوات المذكورة يحق للسلطان أن يزيد رسومه الى ٣٪ وليس لورثته أو لخلفائه أن يزيدوا على ذلك .

٤ ــ اذا اشترت الشركة أو أحد رعايا بريطانيا بضائع من مدينة « عدن » أو من مينائها ، أو كانت البضائع المذكورة مجلوبة من أفريقيا أو الحبشــة أو اى بلد آخر ليست من أملاك السلطان ، فليس له عليها رسوم ، باعتبار أن الرسوم الواجبة عليها قد دفعت عند نزولها الى « عدن » ، فلذلك يلزم السلطان عدم فرض ضريبة أخرى .

٥ ــ اعطاء الســـلطان بقعة من الأرض لتكون مقبرة عامة للبريطانيين الذين يموتون فى حدوده مجانا فلا يدفعون غير نفقات الدفن .

٦ ــ تفصل جميع المشاجرات بين رعايا الدولة البريطانية ورعايا السلطان بمقتضى قوانين البلد المقررة .

وتعتبر هذه المعاهدة تدخلا بريطانيا فى سلطنة « لحج وعدن » وفى جنوب اليمن ، وكان هدف بريطانيا من عقد هذه المعاهدة هو جس نبض الحكومة فى شمال اليمن ، التى كانت تابعة للسلطنة العثمانية حينذاك ، ونجحت بريطانيا فى عملية جس النبض هذه ، اذ أن الحكومة فى اليمن كان موقفها من هذه المعاهدة مجرد الصمت ، وتأكد لها أنها اذا ما فكرت فى غزو « عدن » ، فلن يواجهها غير عرب « عدن » وقبائل المنطقة المجاورة لها فقط .

وعلى ذلك فان هذه الاتفاقية تعد البداية الفعلية للتدخل البريطانى فى « عدن » وجنوب البحر الأحمر ، كما تعد البداية للتدخل البريطانى فى شئون السلطنة ، ويتضح ذلك من بنود المعاهدة .

ويبدو تزايد اهتمام حكومة الهند البريطانية بالتجارة فى منطقة البحر الأحمر من خلال البعثة السرية التى قام بها اللورد «فالنتيا» Valentia عام (١٢١٧ هـ/١٨٠٢ م) الى البحر الأحمر ، والتى استمرت أربع سنوات أى حتى عام (١٢٢١ هـ/١٨٠٦ م) ، بغرض التحالف مع الحبشة فى حالة نجاح المخططات الفرنسية التى تتعلق بمصر ، اذ أن نابليون لم يتخل عن خططه لاستخدام مصر للوصول الى الهند ، فقد أوفد فى عام (١٢١٦ هـ/ ١٨٠٢ م) الكولونيل «سابستيانى » Sabastaine ، الذى يعد من أحسن رجاله معرفة بشئون الشرق ، فى رحلة تفتيشية للتعرف على نيات البريطانيين ، ولدراسة الحالة الجديدة فى مصر بعد جلائهم عن مصر .

أما بعثة « فالنتيا » البريطانية فقد قامت باستكشاف سواحل البحر الأحمر(١٤) ، ووصلت الى الهند عام (١٢٢٠ هـ/١٨٠٥ م)، وعادت فى عام (١٢٢١ هـ/١٨٠٦ م) حاملة معها رسـالة من امبراطور الحبشة الى « جورج الثالث » ملك بريطـانيا ، وبعد عودة « فالنتيا » قدم تقريرا مفصلا عن البحر الأحمر الى « جورج كاننج » George Canning وزير خارجية بريطانيا .

ويعتبر تقريره هذا على جانب كبير من الاهمية ، لأنه أعطى أول تقويم صحيح للتجارة فى هذه المنطقة ، ومنها ان ميناء « مخا » يقوم بتصدير ثلاثة عشر ألف بالة سنويا ، يصل نصيب الأمريكان منها الى ٥٦٪ اى حوالى سبعة آلاف بالة ، تقوم السفن الأمريكية بنقلها وشحنها وتصديرها للعالم القديم والجديد ، كما أشـار « فالنتيا » الى أهمية احتلال « عدن » ، التى كان يعتبرها « جبل طارق الشرق » ، وأن من الممكن بنفقات قليلة تحويلها لحصن منيع، كما أوصى باقامة وكالة تجارية هناك ، وتعيين مقيم دائم بها ، لكى يحسن استغلال العمليات مع بربرة على السـاحل الافريقى المواجه ، بل انه أوصى بالتحالف مع السلفيين من ناحية الشرق ، والأحباش من ناحية الغرب ، لضمان المصـالح البريطانية فى منطقة البحر الأحمر بأكملها .

وعلى اية حال فقد استقر الرأى فى بريطانيا على ارسال « هنرى سولت » Hanry Salt الى منطقة البحر الأحمر فى عام (١٢٢٤ هـ/١٨٠٩ م) ، وقد وصل الى ميناء « مخا » فوجد أن أسعار البن قد ارتفعت بفضل المنافسـة الأمريكية حتى بلغ سعر البالة ٧٥ دولارا ، الأمر الذى سبب متاعب كثيرة لشـركة الهند الشرقية البريطانية ، نتيجة لارتفاع الأسعار ، كما أوضح « سولت » فى تقريره أن البريطانيين يمكنهم الحصـول على ما

يريدونه فى اليمن ، اذا ما تحالفوا مع « شريف أبى عريشن » أو امام صنعاء ، كما أوضح سولته ايضا انه نظرا لعدم وجود سفن حينذاك معادية لبريطانيا فى البحر الأحمر ، فانه يرى أن من السهل على البريطانيين السيطرة على أى موقع يريدونه فى البحر الأحمر .

وهكذا كانت تحركات البريطانيين فى البحر الأحمر فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى ، بتوجيه من شركة الهند الشرقية البريطانية ، ومن وزارة الخارجية البريطانية ، وذلك من أجل بسط سيطرتهم على مدخل البحر الأحمر ، الشريان الطبيعى ، والوسيلة المهمة لنقل متاجرهم عبر الشرق والغرب .

محمد على والتنافس الدولى فى البحر الأحمر :

اتسم موقف محمد على والى مصر (١٢٢١ — ١٢٦٥ هـ / ١٨٠٥ — ١٨٤٨ م) من العداء البريطانى / الفرنسى بطابع الحيطة والحذر فى علاقاته معهما ، أو مع الباب العالى ، فهو يتقرب الى البريطانيين اتقاء لشرهم خاصة بعد حملة « فريزر » على مصر عام (١٢٢٣ هـ/١٨٠٧ م) ، التى مازالت أحداثها ماثلة فى الأذهان ، كما حاول أن يستعين بها على دفع الغزو الفرنسى اذا وقة خاصة أن الحملة البريطانية السابقة قد أسدت لمحمد على فائدة مهمة ، وهى أنها نبهته الى ما للقوة البحرية من أثر ، بجانب القوة البرية ، وما للاسطول البريطانى من سلطان على البحار ، فأخذ يفكر فى الفوائد الاقتصادية التى تجنيها مصر لو أصبح هذا الاسطول صديقا لها .

وبالفعل شرع محمد على يدعم علاقاته الاقتصادية مع البريطانيين ، على كره من الفرنسيين ، الذين حالوا القضاء على تلك الصلة .

والحقيقة أن محمد على كان لا يثقَ بنوايا الباب العالى نحوه ، فلذلك كان يريد الاستعانة ببريطانيا وفرنسا فى الوصـــول الى الاستقلال ، الذى كان ينشده ، وقد كان لموقف فرنسا وبريطانيا المعارض لمشروع الاســـتقلال ، اكبر الأثر فى تقرير محمد على اللجوء الى صاحب السيادة الشرعية عليه ، وهو الســـلطان العثمانى ، لعله يظفر بالباشوية الوراثية ، خاصة بعد أن اتضح لمحمد على من مجريات الأمور أن الدول الاوربية بسبب انشغالها العنيف فى القارة الاوربية ، كانت غير راغبة أن تتكدر علاقاتها مع الدولة العثمانية ، وخاصة بعد توقيع معاهدة السلام والتجارة والتحالف السرى بين بريطانيا والامبراطورية العثمانية فى (٢٩ ذى القعدة ١٢٢٣ هـ/ ٥ يناير ١٨٠٩ م) .

ويمكن القول بأن ضعف الدولة العثمانية ، وطمع الدول الاوربية فى ممتلكاتها ، كان سببا فى تحفز محمد على وطمأنته على الفوز بمآربه ، اذا هو ظل مثابرا على سعيه وقد واتته الفرصة عندما طلبت الدولة العثمانية منه التصدى للخطر المحدق بها — ونعنى به الدولة الســـعودية فى دورها الأول — فى الجزيرة العربية ، وقيامه بحملة استطاع من خلالها السـيطرة على موانىء البحر الأحمر الواقعة على ساحل الحجاز .

هوامش التمهيـــد

(١) عرف البحر الأحمر فى عصر الدولة الفرعونية الوسطى باسم المحيط العظيم أو الدائرة العظمى ، وقد أطلق مؤرخو اليونان وجغرافيوهم على البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندى الهندى اســـما واحدا هو البحر الأروثرى Arythra بمعنى « الأحمر » ، ثم ضاق مدلوله حتى أصبح استعماله مقصورا على البحر الأحمر فقط ، ويرد اسم البحر الأحمر فى كتاب (العهد القديم) تحت اسم « يم سوف » وكلمة « سوف » تعنى فى العبرية النبات المعروف باسم نبات البردى الذى كان ينمو بغزارة على ضفاف الأنهار والبحيرات والذى يعـــرف بالانجليزية باسم Reed ، ولذلك فان البعض يرى أن التسمية Red Sea هى تحريف لكلمة Reed اى « بحر البردى » . ويكون المقصود ليس البحر الأحمر كما هو معروف اليوم بل « بحيرة البردى » Papyrus Lake أو « مستنقع البردى » Papyrus Marsh والذى يرد اسمها فى الوثائق المصرية القديمة التى ترجع الى القرن الثالث ق.م .

(٢) يعنى باللغة العربية والمعنى الحرفى « بوابة الحزن أو الحداد » Gate of Mourning لأن الملاحة خلال ممراته محفوفة بشىء من المخاطر كما أنه من المضايق المهمة فى مدخل البحر الأحمر الجنوبى لانه يسيطر من الجنوب على البحر العربى المتصل بالمحيط الهندى .

(٣) عبارة عن تكوينات حيوانية قوامها المواد الكلسية ، والحيوان المرجانى يكون براعم ويتفرع ويبنى جيرا جديدا حول كل برعم أثناء نموه ، وبذلك تتكون من المرجان مستعمرات جميلة ، تتنوع فيها الاشكال .

(٤) يعتبر البحر الأحمر أعلى البحار العالم فى درجات الحرارة ، اذ يبلغ متوسط درجة حرار مياهه ٢١٫٥ درجة مئوية وترتفع الى ٣٥ درجة مئوية على سطح البحر فى شهور الصيف .

وعند السويس حوالى ٤٢ درجة مئوية .

(٥) اذ كانت الصعوبة فى طريق الخليج العربى تتمثل فى المرحلة البرية القاسية التى كانت تقطعها قوافل التجارة من أعالى دجلة والفرات الى حلب ومنها الى البحر المتوسط ، هذا الى جانب القرصنة (كما يسمها البريطانيون) التى كانت تتعرض لها الملاحة فى الخليج العربى ، والتى اشتهرت بها بعض القبائل العربية والفارسية التى تسكن سواحلها ، فضلا عن شدة الحرارة وسوء الأحوال الصحية فى أجزاء كثيرة منه .

(٦) يمتد خليج السويس داخل الارض ٢٨٠ كم٢ ، بينما لا يزيد امتداد خليج العقبة على ٢٦٠ كم٢ ، ويتراوح عرض خليج السويس بين ٢٠ و ٥٠ كم بينما لا يزيد عرض خليج العقبة على ٢٥ كم ، وقاع خليج السويس مستو تقريبا ، يتراوح متوسط عمقه بين ٤٠ و ٥٠ مترا ، أما خليج العقبة فيزيد عمقه على ١٠٠٠ م ، ويصل فى بعض المواقع الى ٢٤٠٠ م .

(٧) يذكر ياقوت الحموى ان أصل تسمية (عدن) بالتحريك ، من قولهم عدن بالمكان (أى اقام به) ، نتيجة للعدون اليها ، أى أنها كانت دار اقامة واستقرار تبعا لما كانت تتمتع به من مميزات ، وبذلك سميت « عدن » .

(٨) ولعل هذه التسمية ترجع الى أن هذه الاقاليم هى التى تشرف على الحبشة .

(٩) وهو نائب « أركيكو » Arikiko أو « حركيكو » Harkiko

(١٠) وكان هذا هو الجزء أو الشريط الساحلى الممتد من رأس حافون شمالا ثم غربا مع الساحل الجنوبى أو الافريقى لخليج عدن ، ومنها شمالا حتى مضيق باب المندب ، ومع البحر الأحمر شمالا حتى السويس .

(١١) فبعث برسائل الى شريف مكة ، والى آلبوسعيد حاكم مسقط ، بل الى بعض الحكام فى الهند كجزء من تلك المشروعات الامبريالية .

(١٢) الطبيب البريطانى الذى عمل فى بومباى ، والذى رافق الكولونيل « موراى » Murroy فى رحلته الى جزيرة ميون « بريم » وأقام فى « مخـا » عام (١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م) ، لمحاولة فتح سفارة لبريطانيا فى بلاد اليمن .

(١٣) وكان قد أرسل من قبل عام ((١٢١٦ هـ/١٨٠١ م) على رأس بعثة الى البحر الأحمر للعمل على احياء التجارة ، كما كلف أيضا بنقل القوات التى كانت ستنضم لجيش الجنرال « بيرد » Beird فقد جاء « بوبهام » من الهند مع

جيش صغير الى مصر ، كجزء من خطة استعادة مصر من أيدي الفرنسيين ، وعندما التقى بالجنرال « بيرد » رافقه حتى القصير ، وكانت قوات الأخير قد تعاونت مع القوات البريطانية الأخرى الآتية من البحر المتوسط ، وكان هذا التعاون ظاهرة واضحة فى استراتيجية الدفاع البريطانى عن مصالح بريطانيا منذ ذلك الحين .

(١٤) حيث قامت بدراسة الساحل القريب من مصوع والبلاد الجبشية المطلة على الساحل ، ومن بين منقول المدبرة لهذه البعثة « هنرى سولت Hanry Salt الذى تعمق فى مقاطعة تيجري ، بينما كان اللورد « فالنتيا » يستكشف الساحل وايضا المياه المجاورة له والتى أعطاها اسم عائلته فيما بعد « خليج انيسلى » Annesley Earl فالبعثة كانت مهمة جدا لأنها ملأت الفراغ الموجود بالخريطة والمتعلق بهذه المنطقة .

الفصـــل الأول

طريق مصر البرى كمعبر شمالى للبحر الأحمر

فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

- الطريق البرى المصرى واثره على الملاحة فى البحر الأحمر
- التفكير فى مد خط حديدى بين القاهرة والسويس
- مشروع شق قناة بين البحرين المتوسط والأحمر
- موقف محمد على من مشروع القناة
- موقف الدولة العثمانية من مشروع القناة

الطريق البرى المصرى واثره على الملاحة فى البحر الأحمر :

كانت الطرق البرية فى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى مهملة ، وكان النقل فيها بواسطة دواب الحمل ، وقد تغيرت حالة الطرق البرية فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، ففى عهد محمد على اصلحت بعض الطرق القديمة ، وأنشئت طرق جديدة ، منها ما عرف باسـم « الطرق السلطانية » ، وقد استتب الأمن فى أوائل عهد محمد على ، فاصبحت الطرق البرية فى مأمن من هجمات اللصـوص وقطاع الطرق ، مماءأدى الى زيادة حركة النقل فيها .

وكان محمد على يهدف من وراء ذلك العمل ، الى ابراز دور مصر فى المواصلات ما بين بريطانيا والهند من ناحية ، وتوفير فرص تجارية للمصريين من ناحية أخرى .

ولهذه الأسباب قدم محمد على كل تشجيع لتطوير الطريق البرى عبر مصر ، وهو الطريق الذى كان يعتقد أنه سوف يكون قادرا على السيطرة عليه .

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، وبريطانيا تطمع فى أستخدام الطريق البرى عبر مصر ، لنقل الرسائل المتبادلة بين بريطانيا والهند ، وبعد انشاء مجلس ادارة الهند The India

Borad of Control فى غام (١١٩٩ هـ/١٧٨٤ م) ، وبناء على الحاحها أعيد فى سنة (١٢٠١ هـ/١٧٨٦ م) فتح القنصلية البريطانية فى مصـــــر مرة أخرى ، وهى التى أغلقته فى عام (١١٧٠ هـ/١٧٥٦ م) وذلك لعمل الترتيبات اللازمة لنقل الرسائل بين بريطانيا والهند عن طريق مصر بصفة منتظمة .

وقد أعد بالفعل مشروع تفصيلى لذلك بواسطة ادارة البريد البريطانية The British Post Office ولكن هذا المشروع لم يسفر عن شىء على الرغم من أن نقل الرسائل كان يتم قبل ذلك عبر هذا الطريق بشكل غير منتظم ومتقطع ، من قبل اغلاق القنصـــلية البريطانية وبعد اعادة فتحها .

وكان الطريق الأكثر استخداما لنقل البريد السريع آنذاك ــ بمقارنته مع الطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح ــ هو طريق الفرات(١) .

ومن أجل أن يلفت محمد على نظر بريطانيا الى الطريق البرى المصرى ــ الأقل نفقة من طريق الفرات ــ قام باصلاح الطرق بين القاهرة والسويس ، وضرب على أيدى قطاع الطرق ، فأمن القوافل على متاجرها ،و شـــيد المنازل على الطريق لراحـــة المسافرين ، وشق ترعة المحمودية لتيسير النقل بين الاسكندرية والقاهرة ، وكان المسافرون ينقلون فى هذه الترعة ، ثم فى فرع رشـــيد حتى القاهرة ، ثم يجتازون على ظهور الجمال والعربات الصحراء الى السويس ، حيث تنتظرهم السفن التى تقلهم الى الهند ، وترتب على انشاء الطريق البرى بين القاهرة والسويس ، نمو مدينة السويس وتطورها وزيادة عدد سكانها ، بعد أن لجأ محمد على الى استخدام السخرة فى استحضار الأنفار اللازمة من مختلف الاقاليم المصرية لتنفيذ هذا المشروع .

وعقدت اتفاقات مع بعض الشركات الأجنبية ، لنقل تجارتها عن طريق مصـــــر والبحـــــر الأحمر ، ففى عام ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م) حصل « توماس واجهورن » Thomas Waghorn (٢) ــ أحد ضباط البحرية البريطانية ــ على امتياز من محمد على . بتنظيم قوافل من الجمال سماها «مصلحة واجهورن للنقل بالجمال »، لنقل الفحم من موانىء البحر المتوسط لتموين البواخر البريطانية بميناء السويس ، وقد تعهد « واجهورن » بنقل البريد من لندن الى الهند مقابل خمس شلنات عن كل رسالة ، وسمى هذا الطريق Overland Route ، أى الطريق البرى ، وقد أسس «واجهورن» فى كل من القاهرة والسويس فنادق للمسافرين على هذا الخط ، للذين كان يتعهد بنقلهم من الاسكندرية الى السويس ، وكان على المسافرين أن يجتازوا الطريق من الاسكندرية الى القـــاهرة ، عن طريق رشيد بالحمير ، أو عن طريق الصحراء بالابل ، أو عن طريق النيل فى السفن .

ولكن سرعان ما حدثت منافســــة قوية بين « واجهورن » وشـــــركة بريطـــانية تسمى « رافن وهيل » Raven and Hill Company ، كانتقد تعهدت بنقلالركاب وأمتعتهم فيمابين القاهرة والسويس فى عربات تجرها الخيول Stage Coaches يختص بعضها بنقل المسافرين ، والبعض الآخر بحمل الأمتعة ، كما شيدت هذه الشركة فندقا فى القاهرة وآخر فى الســـــويس لنزول المسافرين ، كما أقامت خمسة منازل فى الصحراء ، أحدها كبير فى وسط الطريق به فندق ، ومحلات للخدم ، واسطبل للخيل وما الى ذلك ، واشتدت المنافسة بين « واجهورن » وهذه الشركة، التى كانت لا تسمح للمســـافرين من عملائها باســـتخدام المحطات الصحراوية التى أقامتها الشركة ، ولا حتى الحصــول على ماء الشرب، مما دعا « واجهورن » الى اقامة العراقيل فى وجه شركة

« رافن وهيل » في السويس والقاهرة على السواء ، فكان يحرض أصحاب الخيول والبغال على عدم بيعها أو تأجيرها لشركة « رافن وهيل » ، وبهذه الوسيلة تعرض نشاط الشركة للتعطيل ، ان لم يكن للتوقف فترات طويلة .

وكان استخدام السفن البخارية مشجعا على استخدام طريق البحر الأحمر لنقل المتاجر والمسافرين ، وقد حمد البريطانيون لمحمد على عنايته بتشجيع النقل بين بريطانيا والهند عن طريق مصر ، فبعد ان كان المسافر بين لندن وبومباى يقطع الطريق فى أربعة أشهر فى سفن شراعية ، مارا برأس الرجاء الصالح ، أصبح فى امكانه أن يقطعها فى سفن بخارية عن طريق البحر المتوسط ثم مصر والبحر الأحمر فى أربعين يوما ، وقد جعل محمد على للحكومة الاشراف على حركة النقل فى داخل البلاد ، وأنشأ لهذا الغرض مصلحة المرور ، مصلحة السكك الحديدية فيما بعد .

وعلى الرغم من العلاقات المتدهورة بين الحكومة البريطانية ومحمد على ، بسبب نزاعه مع الدولة العثمانية ، استمر فى تعاونه فى تطوير الطريق الملاحى الى أقصى مدى ، فقد قدم تسهيلات تخزين الفحم من القاهرة والسويس والقصير وكمران ، وقد وضع محمد على امكانيات ورش الحكومة المصرية تحت تصرف شركة الهند الشرقية البريطانية .

ويقول « جون بورنج John Bowring (٣) فى شأن محمد على وما قدمه من تسهيلات « بذل من الجهود وتحمل من التضحيات ما يفوق حد الوصف ، وذلك حتى لا يتعطل طريق الاتصال ، فبفضل ما أصلحه فى مسابكه من آلات محطمة ، وما زودنا به من الابل ، حين لم يكن فى وسعنا أن نحصل عليها دون مساعدته ، وما أصدره من أوامر حازمة صارمة الى مختلف السلطات

حتى تتعاون معنا .. بفضـــــل هذا كله ذللت عقبــــات كثيرة ، لولاه ما أمكن تذليلها ، وهيئت وســـــائل كان لها أكبر الأثر فى ارسال البريد فى سرعة وانتظام » .

وفى عام (١٢٥٣ هـ/١٨٣٧ م) أنشأ محمد على ادارة النقل لاستخدام طريق السويس البرى باشراف شركة الهند الشرقية ، وأسست تلك الشركة ثلاثة مكاتب فى الاســـــكندرية والقاهرة والسويس ، ومنح محمد على هذه الشركة حق انشـــاء محطات على طول الطريق البرى بين القاهرة والسويس ، وأقام ديوانا للمرور لتأمين القوافل ، وجعل مقر الديوان العتبة الخضراء ، ثم أضيف الى هذا ديوان أعمال السفن النهرية بين الاســـــكندرية وبولاق .

وقد عمد محمد على على انشاء خط للتلغراف بين السويس والقاهرة فى عام (١٢٥٥ هـ/١٨٣٩ م) ، وبذا أصبح فى أمكان المسافرين أن يبقوا فى القاهرة حتى تصل البرقية التلغرافية ، التى تفيد أن باخرتهم مستعدة للرحيل من السويس ، فيبدأوا رحلتهم الصـــــحراوية .

وقد امتد الاهتمام باستخدام طريق السويس البرى الى شركة (P and O) (٤) وهى من كبرى شركات الملاحة البحرية البريطانية واستطاعت فى عام (١٢٥٣ هـ/١٨٣٧ م) أن تصل الى اتفاق مع الحكومة البريطانية ، على نقل بريدها بانتظام فى بواخرها من بريطانيا الى الاسكندرية ، ومنها الى القاهرة بطريق ترعة المحمودية وفرع رشيد ، ثم عبر الطريق البرى الى السويس ، حيث تحمله سفن هذه الشركة فى البحر الأحمر الى « بومباى » فى الهند ، ثم عرضت هذه الشركة على محمد على عام (١٢٥٧ هـ/١٨٤١ م) أن يصرح لها بتسيير سفنها فى ترعة المحمودية وفرع رشيد ،

ويكون لها حق اقامة المنشآت والمخازن الضرورية لها على نفقتها ، وأن تنال حماية محمد على لممارسة أعمالها ، وأن تقوم بتحسين طريقى القاهرة السويس وقنا القصير ، وأجملت الشركة الفوائد التى تجنيها مصر من تنفيذ مشروعها ،حيث سيتحقق لمصر دخل سنوى يصل الى ربع مليون جنيه ، نصيبها من مرور البضائع بأراضيها ، .مما دعا محمد على الى الموافقة على منح الامتياز للشركة لمدة عام يبدأ من (ذى الحجة ١٢٥٧ هـ / أول يناير ١٨٤٢ م) .

وعلى الرغم من هذه الامتيازات التى كان قد منحها محمد على للشركات البريطانية ، فان القلق قد تسرب اليه لترك هذا النشاط التجارى فى داخل بلاده لهيئات أجنبية تحتكر الربح من ناحية ، وقد تستخدم وجودها لخدمة أغراض أخرى لا تمت الى التجارة والنقل من ناحية أخرى ، فعمل — تحقيقا لخطته العامة فى أشراف الدولة على جميع مرافق البلاد — على أن تشرف الحكومة المصرية على هذا النشاط وكخطوة أولى من جانب محمد على لوضع مشروعات النقل بين يديه شخصيا ، قدم قرضا يبلغ ٢٠٠٠٠ر٢٠ جنيه استرلينى لتاجر بريطانى يدعى «روبرت تيربيرن» Thurburn ، لمساعدته على تأسيس شركة باسم « شركة الترانزيت » Transit Company ، كما منحه امتياز استغلال استراحات طريق القاهرة السويس ، من يد «الجنة بخار بومباى» Bombay Steam Committee ، مما دعا شركة « رافن وهيل » الى بيع امتيازها لشركة « الترانزيت » ، وعلى اثر ذلك تحسنت الخدمة فى معظم نواحيها على يد شركة الترانزيت .

وبعد فترة قصيرة قام محمد على بتجريد مستر « تيربيرن » بالقوة من كل سيطرة ، وارغمه على أن يبيع له حصته كاملة ،

وقد اضطرت أيضا شركة (P and O) ـ بعد أن حاولت عبثا الحصول على أى مسـاندة من الحكومة البريطانية ـ الى بيع سفنها النهرية والصنادل التى كانت تعمل فى ترعة المحمودية الى محمد على ، وبذلك أصـبحت مصـر تحتكر فى يدها تماما النقل بالطريق البرى .

ولم يأل محمد على جهدا فى تحسين وسائل السـفر فى الطريق البرى ، فأنشأ على طول طريق السـويس الصـحراوى محطات ، شيدت من الطوب ، وزادت من وسائل الراحة فى الفنادق وكان المسافرون ينزلون فى فندق « شبرد »(٥) بالقاهرة ، حيث كانوا يقيمون فيه بضعة أيام لمشاهدة آثار القاهرة ، وشراء ما يروق لهم من بضائع شرقية ، ثم يبرحون القاهرة فى عربات الى السويس ، وكان الفندق المقام فى وسـط طريق السـويس الصحراوى ، يديره فندق « شبرد » ، كما توالت التحسينات على هذا الطريق ، فمد خطا للتلغراف بين القاهرة والسويس ، كما سبق القول .

التفكير فى مد خط حديدى بين القاهرة والسويس :

كان هذا النجاح فى بحث وتنظيم طريق السويس البرى ، دافعا للتفكير فى انشاء خط حديدى بين القاهرة والسويس ، ففى عام (١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م) قرر محمد على بناء خط حديدى عبر مصر من الاسكندرية الى السويس عن طريق القاهرة ، معتقدا أن هذا الخط سوف يؤدى الى تسهيل المرور عبر مصر ، ويزيد بدرجة هائلة الرحلات ، ونقل البضائع ، بالاضافة الى الحصـول على ايراد كبير .

وكان التفكير فى هذا المشروع بايحاء من «جالواى بك»(٦) Galloway ، الذى أوفده محمد على الى بريطانيا ، للحصول على موافقة رسمية من الحكومة البريطانية على هذا المشروع ، وفرض تعريفة قدرها « ستة بنسات » عن كل ميل على البضائع البريطانية فى الجزء الأول من الخط عند استكماله ، كان متوقعا أن يبلغ طوله ثمانين ميلا ، وتعزى حماسة « جالواى » الى بناء الخط الحديدى الى أن والده من رجال صناعة سباكة الحديد ، وأنه هو الذى سوف يمد المشروع بالقضبان الحديدية ، واعتبر المشروع كله أحد المشاريع الخرافية التى يخدع بها أصحاب المصالح محمد على ، ويدفعونه الى تكاليف ثقيلة لمصالحهم الخاصة .

ومن العجيب أن الحكومة البريطانية لم تنظر بعين الرضا الى المشروع والموافقة عليه كما كان متوقعا ، ولعل هذا يرجع الى أنها كانت ترغب فى الا تضع أى جزء من هذا الطريق الحيوى تحت رحمة محمد على ، وهو رجل ذو أطماع ، فضلا عما كان معروفا عنه من ميل الى الفرنسيين ،هذا بالاضافة لخوفها من أن موافقتها ستسىء الى علاقتها مع الباب العالى ، الذى كان ينظر بعدم الارتياح الى كل مشروع يزيد فى انعاش مصر اقتصاديا ، وكانت بريطانيا آنذاك تشك فى نوايا محمد على ، وخاصة فيما يتصل بالبحر الأحمر ، وبعد أن أصبحت موانيه الشرقية بعد سيطرته على الحجاز واليمن وأهم مراكزهما التجارية فى قبضة المصريين .

فكان محمد على يريد النهوض بموانىء البحر الأحمر ، وربطها عن طريق انشاء هذا الخط الحديدى ، لتيسير الاتصال بين مصر وموانىء البحر الأحمر ، وبذلك تكون مصر من أولى دول العالم التى عملت على تطوير نظم المواصلات الحديثة فيها ، وأولى

الدول الافريقية فى انشاء أول خط للسكة الحديد ، بل انها سبقت الدولة العثمانية ذاتها فى انشاء أول خط سكة حديد .

ولما وجد محمد على أن بريطانيا صاحبة المصلحة الحيوية فى هذا الطريق ، لا تقر مشروعه ، رأى أنه أصبح غير عملى لأن يستمر فى تنفيذ الخط الحديدى ، ولذا بقيت القضبان الحديدية التى وصلت الى مصر فى عام (١٢٥١ هـ/١٨٣٥ م) ، ومر عشـــرون عاما قبل أن يتحقق هذا المشروع .

ويمكن اجمال الأسباب التى أدت الى فشل اتمام هذا المشروع فيما يلى :

(أ) رفض فرنسا لهذا المشروع ، اعتقادا منها بأنه ســوف يصرف محمد على عن تنفيذ مشروع القناة ، التى ستقل أهميتها بعد تنفيذ مشروع السكة الحديد ، فوضع « بارو » قنصل فرنسا العام فى مصر العقبات فى سبيل هذا المشروع ، فذكر لمحمد على أن تكاليفه لن تقل عن ٢٥ مليون فرنك فرنسى ، وأنه لن يعود بالأرباح المرجوة لخزانة مصر ، هذا فضلا عن الامتيازات التى من الممكن أن تطلبها بريطانيا لعبور جيشها الى الهند ، ولذلك عملت فرنسا على تشكيك محمد على فى المشروع .

(ب) ثقل الأعباء المالية على الميزانية المصرية آنذاك ، وعدم توافر الخبرات المحلية ، مما يجعل مصر تعتمد على الدول الأجنبية لتنفيذ المشروع .

(جـ) رفض الدولة العثمانية للمشروع ، لكيلا يقوى ســـاعد محمد على .

(د) رفض الحكومة البريطانية تقديم أى ضمانات مالية لازمة لانشاء ذلك الخط .

(هـ) اهتمام بريطانيا بطـــــريق الفرات البرى ، واعتراض « باتريك كامبل » Campbell القنصل البريطانى العام فى مصر على المشروع ، بحجة أن الفارق الزمنى لنقل الرسائل من ١٨ ساعة الى ٦ ســـاعات ، ليس مبررا للتكاليف الكبيرة التى سيتكلفها انشاء ذلك الخط .

(و) صعوبة صيانة الخط فى مثل هذه المنطقة الصحراوية الجرداء التى يخترقها ، نظرا لما ينتظر من تراكم الرمال فوق القضبان الحديدية .

(ز) كان كثير من ذوى الرأى يعتقدون أن هذا الخط الحديدى لن يجذب أصحاب البضائع ذات الوزن الثقيل على استخدامه ، أما البضائع ذات الوزن الخفيف ، فكانوا يرون أن نقلها على ظهور الابل بين السويس والقاهرة فى مدى يومين ، أو يومين وربع يوم ، ميسور على الدوام .

وعلى أية حال استقر رأى محمد على على تأجيل هذا المشروع واعتبر انه ليس من الحكمة الاستمرار فى بناء هذا الخط ، أما القضبان الحديدية التى وردت من اجله ، فقد استغلها بمدها من محاجر طرة الى شاطىء النيل ، لنقل الأحجار التى تقطع من هذه المحاجر فى عربات حديدية ، ثم تنقل فى سفن الى موقع بناء مشروع القناطر الخيرية ، الذى استقر عليه الرأى فى النهاية .

وعندما زادت حركة نقل البريد والمسافرين والبضـــائع فى الطريق البرى بين القاهرة والسويس ، أيد البريطانيون مشروع انشاء سكة حديدية بين القاهرة والسويس ، ولكن محمد على رفض المشروع فى عام (١٢٦١هـ/١٨٤٥ م) بعد اقتناعه بتنفيذ مشروع القناطر الخيرية ، وتجبنا لانتشار النفوذ الأجنبى فى مصر .

مشروع شق قناة بين البحرين المتوسط والأحمر :

كان موقع مصر فى مركز العالم القديم ، بين البحرين الأحمر والمتوسط ، داعيا الى التفكير فى وصـــــل هذين البحرين بطريق مائى ، لسهولة سير البضائع المتنقلة بينهما ، وتحقق ذلك بحفر ترعة من الفرع البيلوزى(٧) للنيل الى البحر الأحمر ، ولكنها اهملت فى آخر الأمر ، ولما فتح العرب مصر ، أنشأ عمرو بن العاص خليج أمير المؤمنين من النيل عند مصر القديمة الى البحر الاحمر ، ولكن الخليفة أبا جعفر المنصـــــور أمر بردم ذلك الخليج لمنع الذخـــائر والأقوات عن الثوار فى المدينة المنورة ، وعندما كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، فكر البنادقة فى حفر قناة فى برزخ السويس .

وفى القرن الحادى عشر الهجرى / القرن السادس عشـــر الميلادى حاول بعض السلاطين العثمانيين حفر قناة تصل البحرين حتى يستطيع الأسطول العثمانى الوصول الى البحر الأحمر ، وفى عام (١٠٩٧ هـ/١٦٨٥ م) طلب لويس الرابع عشر ملك فرنسا من السلطان العثمانى الموافقة على حفر قناة تصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، ولكن فرنسا لم تتمكن من تنفيذ تلك القناة فأهمل ذلك المشروع ، الا أنه قد فرض نفسه بقوة على نابليون بونابرت بعد مجيئه بالحملة الفرنسية على مصر ، لأن هذه القناة من الممكن أن تؤدى الى فتح الطريق الى الشرق ، وتفادى البريطانيين واقامة امبراطورية تجارية فرنسية فى الشرق ، وأخذ بعض المهندســين برئاسة « ليبير » Lepere فى دراسة مشروع حفر قناة تصل بين البحرين الأحمر والمتوسط مباشرة ، وليس عن طريق النيل كما تم قديما ، وقد أنجزت عملية المسح الفرنسية للبرزخ بشـــكل سيىء ، فقد بدأت فى (شعبان ١٢١٣ هـ/يناير ١٧٩٩ م) ، وتوقفت

فى (رمضان/فبراير) من نفس العام ، واستؤنفت فى (ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / سبتمبر ١٧٩٩ م) ، وقد تغير الفريق الذى كان يقوم بالمسح عدة مرات ، كما استخدمت أنواع مختلفة من الأدوات فى أجزاء مختلفة ، كما أن العمل جرى على عجل فى قطاعات طويلة .

وكنتيجة طبيعية فان النتائج كانت مليئة بالأخطاء ، حيث توصلت اللجنة التى قامت بالمسح الى النتيجة التى قوبلت باعتبارها حقيقة ، والتى مؤادها أن منسوب مياه البحر الأحمر أعلى من منسوب مياه البحر المتوسط بمقدار ٩٫٩٠٨ متر ، أى ما يقرب من عشرة أمتار ، وأن مياه البحر الأحمر ستطغى على الدلتا اذا حفرت تلك القناة ، وقد كانت القصص والروايات القديمة تساند هذا التأكيد ، الذى أظهر أن المياه المالحة نقلت الى مسافة عشرين ميلا صعودا الى قناة نيلية قديمة بواسطة المد فى البحر الأحمر .

وكان القول باختلاف سطح البحرين سببا فى اهمال مشروع القناة ، الا أن المحاولة من جانب نابليون جعلت بريطانيا تقدر قيمة اتصالها بالهند عن طريق البحر الأحمر ، ولذا فقد قررت منحا مالية كبيرة لتشجيع المحاولات التى تقوم بها الشركات ، لمحاولة تسيير السفن التجارية فى البحرين الأحمر والمتوسط بين بريطانيا والهند .

وفى عهد محمد على كانت تبذل الجهود ــ كما رأينا ــ لاحياء طريق السويس البرى وتحسين الخدمة فيه ، مما دعا الفرنسيين الى بذل الجهد من أجل العمل على تنفيذ مشروع انشاء قناة فى برزخ السويس ، ويتشابه موقف فرنسا مع موقف بريطانيا من حيث أن كلتا هاتين الدولتين ، كانت تدرك الحاجة الماسة الى ايجاد طريق يجتاز الأراضى المصرية ، ويقرب المواصلات بين أوربا والهند والصين ، وكانت كلتاهما تشعر بالفوائد التى سوف تحققها من

وراء انشـــــاء هذا الطريق ، غير أنهما كانتا مختلفتين على طريقة المرور خلال الأراضى المصرية .

فبريطانيا أرادت أن يكون الطريق عبر مصر بواسطة خط حديدى لنقل المسافرين والبريد والبضائع ذات الوزن الخفيف فقط ، بينما تستمر عمليات التبادل التجارى الضخمة بينها وبين الهند وغيرها من الممتلكات البريطانية عن طريق رأس الرجاء الصالح التى انفردت تقريبا بالسيطرة عليه .

أما فرنسا فكانت ترى ضرورة شق قناة بحرية بين البحرين المتوسط والأحمر ، تتسع لمرور السفن الكبيرة والصـــغيرة على السواء ، وتستخدم فى نقل العتاد الحربى والبضائع ذات الوزن الثقيل ، بينها وبين الهند الصينية وغيرها من الممتلكات الفرنسية .

ويبدأ الدور الأول من أدوار التنافس بين مشروعى حفر القناة وانشاء الخط الحديدى ، بالمحاولة التى قام بها أتباع سان سيمون الفيلسوف الاشتراكى الفرنسى ، فى عام (١٢٤٩ هـ/١٨٢٣ م) لتنفيذ مشروع قناة تصل بين البحرين الأحمر والمتوسط وكان هؤلاء وعلى رأسهم الأب « أنفانتان Enfantan قد كونوا جمـــاعة لاتمام الدراسات التى بدأتها الحملة الفرنسية لوصـــل البحرين ، وتنفيذ المشروع عن طريق عمل دولى تشترك فيه دول أوربا ، وكان أمل هذه الجماعة أن يؤدى انشاء هذه القناة ، الى تصنيع أوربا ، فتصبح بريطانيا فى المحل الثانى بعد فرنسا .

ويرجع اهتمام السان سيمونيين بمشروع القناة بين البحرين المتوسط والأحمر ، ومحاولة تنفيذه ، وتمسكهم به ، الى انه كان شديد الصلة بالمبادىء التى آمنوا وبشروا بها منذ عهد زعيمهم الأول

« سان سيمون » ، ولأنه كان يحقق كثيرا من الأهداف التى يسعون لتحقيقها ، وقد وصل أفراد هذه الجماعة السالفة تباعا الى مصر ، منذ (جمادى الأولى ١٢٤٩ هـ/سبتمبر ١٨٣٣ م) ، واقتصر نشاطهم على دراسة المشروعات السابقة ، وما يتعلق ببرزخ السويس من بيانات تاريخية .

موقف محمد على من مشروع القناة :

لما عرض اقتراح فتح قناة السويس على محمد على ، تردد أولا وخاف العـــــاقبة ، ومما يؤثر عنه قوله « انى لو فتحت القناة لخلقت لمصر بوسفورا كبوسفور الدولة العلية ، وكما أن البوسفور سبب فى مشاكلها ، تصبح بلادى المطموع فيها من الأصل بســبب القناة مسرحا للمطامع السيئة » .

وعلى الرغم من ذلك فان محمد على كان يؤمن بأهمية مثل هذه القناة ، وفائدتها بدليل نشاط الأبحاث والدراسات المتصلة بالمشروع فى عهده ، أضف الى ذلك أنه كانت هناك عوامل تدعوه الى الاهتمام بتنفيذ المشروع ، ذلك أنه كان يخشى ما يترتب على مرور الأجانب وتجارتهم فى قلب البلاد باستخدام الطريق البرى ، الذى أخذت حركة المرور تزداد فيه على مر الأيام ، فكان محمد على يريد أن ينقل المرور بين الشرق والغرب الى حدود البلاد وأطرافها ، بدلا من أن يخترق قلب البلاد ، كما كان محمد على يرى فى تنفيذ المشروع وسيلة تساعده على تخفيف روابط التبعية للدولة العثمانية .

وعلى الرغم من ذلك كله بقى محمد على بين نارين ، فغرنسا تريد أن تنال كل شىء ، وتحصل على فتح القناة لتنافس البريطنيين والبريطانيون لا يريدون أن تفتح هذه القناة الا اذا كانت احتكارا لهم

ولمنافعهم ، فظلوا فى محاولتهم لاقناع محمد على بأن مشروع القناة مشروع خيالى لعدم تساوى منسوب البحرين ، وعندما سقطت هذه الحجة باثبات تساوى البحرين ، وامكانية شق القناة ، ظل محمد على نفسه رافضا لمشروع القناة ، خوفا من الجانب السياسى ، فاستشار المستر « دى مترنيخ » كبير وزراء النمسا ، بل كبير سياسيى أوربا فى ذلك العهد عن أسلم طريقة يتخذها فيما لو فتحت القناة ، فأجابه بأنه يجب أن يضمن حيادتها بمعاهدة دولية .

وقد كان محمد على يتمسك بضرورة الحصول سلفا — وقبل حفر القناة — على ضمانات كافية تؤكد ملكية القناة له ولخلفائه من بعده ، وتعطى له الحق فى فرض رسوم على الملاحة فى القناة، تفى بنفقات الحفر والصيانة ، الا أنه كان من الصعب الحصول على اجماع الدول الأوربية على وجهة نظر محمد على بشأن الضمانات التى طلبها مادامت بريطانيا كانت تعارض المشروع من أساسه .

وأمام الحاح كل من فرنسا والنمسا من أجل تنفيذ مشروع القناة ، والحاح بريطانيا لتنفيذ مشروع الخط الحديدى الى السويس لجأ محمد على الى معارضة كلا المشروعين بالآخر ، فكان يستند الى معارضة بريطانيا فى عدم تنفيذ مشروع القناة ، ويعتمد على فرنسا والنمسا لعرقلة مشروع الخط الحديدى .

ولم يلبث محمد على أن اضطرته ظروفه الصحية للتنازل عن الحكم فى (صفر ١٢٦٤ هـ / يناير ١٨٤٨ م) لابنه ابراهيم الذى لم يلبث أن توفى فى نوفمبر من نفس العام ، واصبح عباس واليا على مصر بعد وفاة ابراهيم باشا ، وقد شهد عهد عباس تحولا مهما ازاء مشروعى القناة والخط الحديدى ، تمهيدا لحصول « فردينان دى لسبس »(٨) على امتياز عام (١٢٧١ هـ/١٨٥٤ م)

من محمد سعيد باشا ، لتأسيس شركة يعهد اليه بادارتها تسمى « الشركة العالمية لقناة السويس البحرية » لشق برزخ السويس ، واستغلال طريق صالح للملاحة الكبرى .

وقد خشيت الدولة العثمانية من أن يؤدى مشروع حفر القناة الى زيادة ثروة محمد على وقوته ، مما دعاها أن تشترط الحصول على نصيب لها من أرباح المشروع وعدم قيام الأجانب بتنفيذه ، الى جانب مطالبتها باحتلال طرفى القناة بقوات عثمانية خوفا من استقلال مصر اذا شقت قناة تفصل بينها وبين الدولة العثمانية .

وتعد مطالب الدولة العثمانية هذه من أقوى العوامل التى دعت محمد على الى رفض هذا المشروع .

ومن ثم يتضح من خلال هذا العرض أن طريق مصر البرى كمعبر شمالى للبحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر كان موضع اهتمام محمد على خلال مشروعى الخط الحديدى بين القاهرة والسويس من جهة وشق قناة بين البحرين المتوسط والأحمر من جهة أخرى ، غير أن مخاوف محمد على من التدخل الأجنبى فى شئون مصر ـ مما يؤثر على مصالحه وطموحاته ـ قد حالت دون وضع هذين المشروعين موضع التنفيذ .

هوامش الفصل الأول

(١) ويبدأ من لندن الى استانبول عبر أحد الطرق المنتظمة التى تتغير حسب مقتضيات الحرب والدبلوماسية ، ثم من استانبول الى البصــــرة عبر الأراضى العثمانية عن طريق آسيا الصغرى ووادى الفرت ، بواسطة رجال البريد التتر الذين يستخدمون الجمال عادة .

(٢) صاحب الفضل الأكبر فى اظهار مزايا طريق السويس البرى من الناحية العملية فى نقل البريد والمسافرين من الهند واليها ، اذ قدم الى شركة الهند البريطانية فى عام (١٢٢٩ هـ / ١٨٢٣ م) تقريرا عن كيفية استخدام هذا الطريق بصورة منتظمة ، وقد دلت تجاربه فى عامى (١٢٤٥ — ١٢٤٦ هـ / ١٨٢٩ — ١٨٢٠ م)) على أن السفر ممكن من « لندن » الى « بومباى » فى أربعين يوما ونصف ، وهى أقصر مدة مستطاعة .

(٣) أوفدته الحكومة البريطانية فى عام (١٢٥٢ هـ / ١٨٣٧ م) الى مصر لوضع تقرير عن حالة مصر فى ذلك الحين ، وما ينتظر أن تكون عليه فى المستقبل ، وكان من أهداف زيارته الضغط على الحكومة المصرية لتفعل شيئا فى صالح تجارة الهند ، بتحقيق مزيد من التسهيلات ، والنهوض بالخدمة فى الطريق الصحراوى بين السويس والقاهرة ، وحاول الدكتور « بورنج » أن يقيم الدليل على ما تفيده مصر من مكاسب مادية من وراء النقل ، وثراء المسافرين ، وكثرة الأموال التى ينفقونها أثناء عبورهم الأراضى المصرية ، وقدر عدد المسافرين وقتذاك بعدد يتراوح بين ثلاثمائة وأربعمائة مسافر فى الشهر الواحد ، وكان يرى أن استخدام طريق السويس البرى يؤدى الى تدعيم العلاقات بين مصر وبريطانيا .

(٤) هذان الحرفان هما اختصار للاسم الانجليزى لشركة « شبه الجزيرة والشرق للملاحة »

(٥)) من اشهر الفنادق التى انشئت فى القاهرة فى ذلك الوقت أقامه المواطن البريطانى « شبرد » وعرف باسمه ، وكان فى الأصل قصرا لمحمد بك الألفى يقع امام بركة الازبكية ، ثم توالت عليه تعديلات كثيرة ، والتهمه حريق القاهرة فى عام (١٢٧٢ هـ / ١٩٥٢ م) ، ثم أقيم الفندق الجديد بالاسم القديم أمام النيل .

(٦) جالواى بك هو أحد أبناء « الكسندر جالواى Alexander Galloway وهو رجل بريطانى أمضى سنوات عديدة فى مصر يشتغل فى مشروعات هندسية .

(٧) يسمى الفرع البيلوزى أو بلوسيوم بمعنى الطينة ، وكان يبدأ على مقربة من بنها ويمر فى بوباستس أى تل بسطة قرب الزقازيق ، ويصب فى بلوسيوم على بضعة عشر ميلا غربى بورسعيد فكانت تخرج القناة المشار اليها من هذا الفرع شمال بوباستس ، ثم تجتاز وادى الطليمات أو وادى القناة الى البحيرات المرة شمالى خليج السويس ، ولم يوصلوا بين البحيرات والخليج خوفا من طغيان البحر الأحمر على الدلتا ، لأنهم كانوا يظنون أن سطحه أعلى منها .

(٨) وهو وزير مفوض محال الى الاستيداع لأمور نسبت اليه .



الفصـــــل الثـــــانى

سياسة مصر على ساحل الحجاز

- الدعوة السلفية فى شبه الجزيرة العربية
- الاسطول المصرى فى البحر الأحمر
- استعدادات محمد على البحرية
- تحرك القوات بقيادة طوسون
- تقسيم القوات المتجهة بحرا الى الحجاز
- قوات محمد على المتجهة الى الحجاز برا
- سيطرة القوات على الساحل الشرقى للبحر الأحمر
- الساحل الشرقى للبحر الأحمر فى قبضة والى مصر
- ابراهيم باشا فى الدرعية
- وصول قوات محمد على الى الخليج العربى

- التجارة بين مصر والحجاز عبر البحر الأحمر
- الصادرات المصريةالى الحجاز
- الواردات المصرية من الحجاز
- الرسوم الجمركية المفروضة على الغلال المرسلة الى الحجاز
- الاعفاءات الجمركية عبر البحر الأحمر
- الحركة الملاحية فى البحر الأحمر

الدعوة السلفية فى شبه الجزيرة العربية :

فى شبه الجزيرة العربية وفى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ظهرت الحركة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١) الذى استطاع أن يكسب ود أمير الدرعية محمد بن سعود ، وأن يكون له أتباع عرفوا بالسلفيين(٢) ، وأن يوحد نجد ويضم الحجاز تحت لواء آل سعود ، مما أدى الى قطع الصلة بين الحجاز والدولة العثمانية ، وأثار ذلك حفيظة السلطان العثمانى ، باعتبار الحجاز رمزا لسيادته الروحية ، وباعتباره خليفة للمسلمين .

وشرع السلفيون فى العمل للانفصال عن الدولة العثمانية ، وبدا ذلك واضحا عندما أرسل سعود الثانى الى السلطان العثمانى، ينهاه عن ارسال المحمل(٣) السنوى الى الحجاز ، وتخوفت الدولة العثمانية من أن يمتد نفوذ السلفيين الى العراق والشام ، فأرسلت أوامرها الى ولاتها فى البصرة وبغداد ، بأن يقوموا بحملات لصد الغزاة ، خاصة أن آل سعود أصبحوا فى مستهل سنة (١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤ م) على أبواب الزبير القريبة من نهر الفرات ، وصاروا بذلك يهددون البصرة نفسها .

ولم يستطع والى بغداد ووالى دمشق أن يحققا أمل السلطان العثمانى فى القضاء على الحركة السلفية ، فاتجه السلطان العثمانى سليم الثالث (١٢٤٠ — ١٢٢٢ هـ/١٧٨٩ — ١٨٠٧ م) الى والى

مصر يطلب منه فى سنة (١٢٢٢ هـ/١٨٠٧ م) استخلاص الأراضى الحجازية من أيدى آل سعود(٤) .

والواقع أن السلطان قد درج منذ وصـــــل محمد على الى الولاية على مطالبته بارسال الغلال التى جرت العادة بارسالها سنويا الى الحرمين الشريفين ، وانفاذ النجدات من الذخائر والعسكر الى الحجاز ، ولكن محمد على — والى مصر — رفض هذه المرة أن يرسل ما طلب منه ، متذرعا بانشغاله بمطاردة المماليك ، وان هذا يحتاج الى وقت كبير للاستعداد وانشاء مراكب فى ميناء السويس .

ويرى أحد الباحثين(٥) ، أن ســــليم الثالث « لم يكن من السلاطين الأقوياء ، ولكنه ود لو استطاع أن يضرب عصـــفورين بحجر واحد ، فقد يغار من محمد على بعد أن أيقن أن قوة تابعه أمست خطرا عليه ، فظن أنه لو استطاع أن يغرى والى مصـــــر بمهاجمة سعود ، فلابد أن يصاب بخسائر مادية شديدة ، وان أمكنه أن يحصد شوكة الوهابيين » .

وربما بالغ هذا الباحث فى أن الدولة العثمانية لم ترد من الاستعانة بمحمد على الا القضاء على قوته التى كان ماضـــيا فى انشائها فى ذلك الحين ، لأن جيش محمد على لم يكن قد بلغ اذ ذاك المبلغ الذى يخيف الدولة منه ، ويجعلها تسعى للقضاء عليه ، وانما الحقيقة أن الدولة العثمانية استشعرت خطر هذه الدعوة الناشئة ، ولم تجد عندها الجند الكافية للقضاء على السلفيين — فى هذه اللحظة التى كاثرها الأعداء فيها — ثم وجدت أحد أتباعها قادرا على القيام بهذا العمل ، فكلفته بذلك .

وبذلك فالاعتقاد بأن الحملة ضد السلفيين ، كانت حملة من جانب الباب العالى لانهاك موارد وقوات محمد على اعتقاد خاطىء ،

ولكن من المحتمل أن محمد على وجد الحملة وسيلة لشغل جنده ، الذين قد يثيرون الشغب والاضطراب ، ويبدو أن الدولة العثمانية أدركت أن محمد عى يواجه مصاعب ، لا تمكنه من تجهيز حملة ضد السلفيين فى الحجاز على وجه السرعة ، فأصدر السلطان العثمانى مصطفى الرابع(٦) فى (ذى القعدة ١٢٢٣ هـ / ديسمبر ١٨٠٨ مْ ؛ أمرا بتوجيه ادارة شئون أيالة جدة والحبشة الى دولة يوسف باشا الصدر الأعظم الأسبق ، منعما عليه برتبة « سرعسكر »(٧) الحجاز ، وقد أرسل السلطان العثمانى الى محمد على يطلب منه أن يقوم بارسال لوازم الحملة ، التى سوف يقوم بها يوسف باشا من سلاح وذخيرة وكل ما تحتاج اليه .

وفى عام (١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) شق السلفيون عصا الطاعة، وعاثوا فسادا ، ونهبوا وقتلوا ومنعوا الناس من الحج ، مما حدا بالسلطان محمود الثانى(٨) (١٢٢٣ — ١٢٥٥ هـ/١٨٠٨ — ١٨٣٩م) أن يفكر فى تجهيز جيش لمقاتلتهم والقضاء عليهم ، وكان السلطان محمود الثانى يرى أن المحافظة على بلاد العرب أمر لابد منه ، حتى تكتمل مقومات خلافته ، وحتى لا يقع الشك فى مقدرته على حماية الحرمين الشريفين ، فاتجهت أنظار السلطان الى الوالى ، الذى شق طريقه الى الولاية عن طريق الشعب ، الذى يحكمه ، وانتزع فرمان التولية من السلطان انتزاعا ، فليس فى استطاعة أحد من ولاة الدولة أن يقوم بتلك المهمة الخطيرة سوى محمد على ، فأرسل السلطان مرسوما فى (المحرم ١٢٢٤ هـ / فبراير ١٨٠٩ م) الى محمد على ، بضرورة الخروج الى الحجاز لمدافعة السلفيين ، مخبرا اياه بأن «يوسف باشا» سيخرج مع «سليمان باشا» والى بغداد بجيشه لنفس الغرض ، الا أن والى مصر رد على السلطان فى (١٩ ربيع ثانى ١٢٢٥ هـ / ٢٤ مايو ١٨١٠ م) بأنه مصمم على استئصال الأمراء المماليك ، لعدم انقيادهم له ، وحدوث عوائق منهم فى أمر اتجاه الحملة الى الحجاز .

ولكن اقتناع السلطان محمود الثانى بضرورة الاستعانة بمحمد على وقواته ، كعنصر أساسى فى تلك الجولة الحربية ، لا كعنصر مساعد ، جعله يضغط على محمد على ، وينصحه بأن يترك حامية فى مصر تراقب المماليك ، بينما يخرج هو بنفسه الى ملاقاة (السلفيين) ، كما صدر فرمان شاهانى فى (الثانى من شهر ذى القعدة ١٢٢٥ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨١٠ م) بتعطف الدولة العثمانية على محمد على بابقاء ولاية العهد به (أى فى أسرته) .

غير أن محمد على تبين أن انفاذ الحملة الى بلاد العرب مع بقاء المماليك ، يضعف من مركزه ، ولكن عندما انتهى من القضاء على المماليك ، حينئذ لم يجد لديه من الأعذار ما يبرر تأجيل الحملة .

ولعل من أهم أسباب لجوء الدولة العثمانية الى مصر ، ما يأتى :

(أ) بعد الآستانة عن ميدان القتال فى شبه الجزيرة العربية

(ب) عدم وجود قوة فى الشام يمكن تجريدها لحرب سوف تدور فى الصحراء .

(جـ) أن مصر هى أنسب ولاية تنتدب لرد الحرمين الى حكم السلطان العثمانى ، وذلك لقربها من بلاد الحجاز ، وقدرة واليها على ذلك .

وتجدر الاشارة الى أن الحجاز لم تكن من البلاد الغنية ، التى تحرص الدولة العثمانية على الاحتفاظ بها ، ولم يكن موقعها يغرى بالمحافظة عليها ، أو يساوى جهد الاحتفاظ بها ، ولكن بقاءها فى يد الخليفة كان أمرا لابد منه ، حتى تتم مقومات خلافته ، ولابد أن يكون خليفة المسلمين حامى البلاد المقدسة .

كما لم يكن لمصر أيضا أى مغنم فى الحجاز ، ولا هى بالطامعة

فى الحرب من أجل الحرب ، وليس لها أعداء فى الأرض المقدسة تبغى القضاء عليهم ، ولكن هى ولاية عثمانية ، عليها حق الاستجابة لأمر السلطان العثمانى .

أما الأسباب التى شجعت محمد على على القيام بالحملة ، فهى :

(أ) رغبة محمد على فى تجربة جيشه فى الحروب الخارجية .

(ب) أراد أن يلفت نظر الدولة العثمانية أن لديه جيشا يخشى بأســــه .

(جـ) تأكيد جدارته بحكم مصر مستقبلا ، فلا يخيب له السلطان رجــــاء .

(د) اعفاء السلطان من مؤونة القلاقل والحروب التى يرصدها لمثل هذه البقعة .

الأسطول المصرى فى البحر الأحمر :

كانت الحرب ضد الســـــلفيين فى حقيقة الأمر هى الدافع الأساسى لمحمد على فى المبادرة الى انشاء اســـطول بحرى لنقل الجنود والمعدات عبر البحر الأحمر الى موانىء الحجاز ، وكان يأمل أن يرفع نجاحه فى اخماد الحركة السلفية ذكره فى العالم الاسلامى، ويوطد مركزه لدى السلطان العثمانى .

وكانت سنة (١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م) هى بداية التفكير الجدى فى انشاء أسطول بحرى قوى ، يســـــتطيع الوقوف أمام الدولة السعودية فى دورها الأول والقضاء عليها .

استعدادات محمد على البحرية :

وقد حاول محمد على ــ قبل أن يتورط فى الحملة ــ أن يجس نبض بريطانيا للوقوف على نواياها ازاء هذه الحلمة ، فطلب منها ــ عن طريق الدولة العثمانية ــ السماح له بشراء سفينتين من سفن بريطانيا الموجودة فى مالطة ، يزود بها أسطوله الجارى انشاؤه ، الا أن سفير بريطانيا فى استانبول عندما طلب منه ذلك أفاد أن بريطانيا « لا يمكنها بيع سفينة ما لأنها فى أشد الحاجة الى السفن ، بل من الممكن اعطاء السفينة على سبيل الاعارة » .

غير أن ذلك لم يعجب الدولة العثمانية فرفضت ذلك ، الا أن هذا العرض من قبل بريطانيا أكد لمحمد على أن بريطانيا لا تعارض فى قيامه بالحملة ، خاصة أن أحد الباحثين يرى أن السلفيين كانوا يهددون تجارة بريطانيا فى البحر الأحمر والخليج العربى ، وأن ما كانت بريطانيا تعتزم القيام به من أعمال حربية سيتولاه والى مصر بنفسه ، لاسيما أن قوة محمد على البحرية فى ذلك الوقت لم تكن لتكترث بها بريطانيا أو تعمل لها حسابا .

وعلى الرغم من ذلك ، فمن المحتمل أن بريطانيا خشيت برفضها بيع سفينة لمحمد على أن تتخذ مصر من الحرب ضد السلفيين ذريعة للتوسع فى انشاء أسطول تجارى وحربى كبير ، ينتزع تجارة الهند من أيدى شركة الهند الشرقية البريطانية ، وكانت الحكومة البريطانية حريصة على أن تظل التجارة الهندية فى يد هذه الشركة لا ينازعها فيها منازع .

« وفى (محرم ١٢٢٥ هـ / فبراير ١٨١٠ م) ارسل محمد على الى الباب العالى ، يطلب منه عددا كبيرا من عربات المدافع ، وقليلا من المهمات ، كما أخبر السلطان بأنه جار انشاء عشرين مركبا فى

جهة السويس ، لأجل العساكر والذخائر الذاهبين الى الحجاز ، الى جانب ثلاث سفن حربية ، كما أخبره بأنه أحضر أخشابا وآلات، وذلك لبناء سفينة تبلغ احدى وثلاثين ذراعا ، وأرسلت الى السويس محملة على الجمال » .

وقد قررت الدولة العثمانية ارسال المهمات اللازمة لمحمد على ، واستأجرت سفينة لنقل احد عشر ألف قنبلة وعشر عربات مدافع الى السويس ، وبدأت فى تصنيع ما هو غير موجود من القنابل المطلوبة ، لارسالها الى السويس عند اتمامها ، الا انها كتبت الى محمد على بأن الموافقة على جميع مطالبه ، تتوقف على على عزل طوسون باشا بن محمد على المقرر قيادته للحملة والذهاب فى وقت قريب الى السويس .

وأراد محمد على أن يثبت للدولة العثمانية جديته فى القيام بالحملة ، فانشأ ست سفن حربية ، ثلاث منها كبيرة ، وثلاث منها من صنف الفرقاطة(٩) ، وحملت هذه السفن مفككة على ظهور الجمال الى السويس ، حيث أعيد تجميعها مرة أخرى ، ووضعت فيها الأشرعة والمدافع وسائر الأدوات ، وتم انزالها فى البحر الأحمر عند السويس ، الا أن صواريها وأعمدتها لم تكن موجودة ، فأوصى محمد على الكتخدا(١٠) « نجيب أفندى » الموجود بالآستانة ، بأن يرسل تلك النواقص حتى يتمكن من القيام بالحملة ضد السلفيين ، كما شرع محمد على فى بناء سفينة بالاسكندرية تبلغ ستا وثلاثين ذراعا ، وأركب فيها اسماعيل قبودان(١١) ، من أجل أن يصل الى السويس بعد أن تمر هذه السفينة ، ومعها سفينة أخرى — جرى شراؤها — بقارة أفريقيا(١٢) .

وحيث انه بالنظر الى عدم وجود شجر غير النخيل باقليم مصر ، فكان محمد على يأمر بقطع ما يصلح لبناء السفن من أشجار

التوت والنبق(١٣) وغيرها ، ويحضرها الى دار صناعة ومعامل المدفعية ، فكانت ابتداء لانشاء ترسانة بولاق البحرية ، وذلك فى عام (١٢٢٤ هـ/١٨٠٩ م) ، وبعد الانتهاء من صنع السفن تنقل الى السويس على الجمال ، وهناك كان العمال يهيئونها للابحار ، كما شيد والى مصر بالسويس مبانى أخرى لصناعة بعض السفن ، انشأ بها أربع سفن من نوع الأبريق ، واحدى عشرة سفينة من نوع السكونة(١٤) .

وقد قام محمد على بارسال تلك السفن المستحضرة فى البحر الأحمر مصحوبة بتجار جدة وينبع القاطنين بمصر الى اليمن لأخذ ما يصادفونه فى البحر الأحمر من السفن والمراكب المعبر عنها بالضاو(١٥) ، وجلبها الى مرفأ السويس ، كما شرع فى انشاء بقية السفن حتى تكون جاهزة بالسويس عند عودة سفن الضاو ، وبدأ يضع فيها الغلال وسائر المهمات اللازمة والمخزونة فى المرافىء ، كما جهز سبعة آلاف من العساكر المشاة لارسالهم الى الحجاز .

واستطاعت السفن التى أرسلها محمد على والسالفة الذكر الى ضبط سفن الضاو الموجودة بالبحر الأحمر من ضبط خمس سفن فى مرفأ القصير ومرفأ السويس ، ثم انزل محمد على فى البحر الأحمر ثمانى سفن من نفس النوع ، وحمل على الثلاث عشرة سفينة مائتى ألف أردب من القمح ، فى الوقت الذى كان يتعاقب فيه على مرفأ السويس والقصير غلال أخرى وتوضع فى المخازن ، وعندما أحست الدولة العثمانية بجدية محمد على فى اعداد الأسطول الذاهب الى الحجاز ، صدرت الأوامر الى « حسن بك » متصرف رودس بارسال الصوارى والأعمدة السبعة اللازمة للسفن ، والتى سبق أن طلبها محمد على .

واذا كان محمد على قد وجد صعوبة كبيرة فى بناء السفن اللازمة للحملة ، فان العثور على عنصر وطنى يصلح للعمل على ظهور تلك السفن كان أكثر صعوبة ، ولهذا كان اعتماد محمد على منصبا على البحارة التجاريين من الفرنسيين والبريطانيين واليونانيين ، بالاضافة الى بعض العبيد والأتراك الذين أرسلوا اليه من الدولة العثمانية .

تحرك القوات بقيادة طوسون :

بعد ان أتم محمد على استعداده البحرى ، أخرج الجيش بقيادة نجله طوسون باشا خارج مصر الى بركة الحاج(١٦) ، وفى (١٥ رمضان ١٢٦٢ هـ / ٣ أكتوبر ١٨١١ م) تحركت القوات من بركة الحاج بقيادة طوسون على رأس ثلاثة آلاف فارس ، وحضرات مفتى المذاهب الأربعة ، بغرض استجلاب قلوب قبائل العربان والعشائر الموجودين باقليم الحجاز وتزويدهم بما يلزم من تعليمات الى السويس ، فى انتظار عودة السفن التى أرسلها والى مصر جهة ينبع بحمولة العساكر والغلال بعد تفريغ شحناتها بالمحل المذكور ، وكان قد تأخر مجيئها بسبب صعوبة سيرها مخالفة للهواء لتحميل جميع الذخائر والمهمات المخزونة فى مرفأ السويس والقصير ، واركاب عساكر الحملة بحرا ومعهم مدافعهم ، والخيول اللازمة بخياليها ، على أن يرسل العساكر البرية بخيولهم وأثقالهم بطريق البحر أفقيا .

تقسيم القوات المتجهة بحرا الى الحجاز :

قام محمد على والى مصر بنقل العساكر المشاة المقرر ارسالهم الى الحجاز بحرا والبالغ عددهم سبعة آلاف جندى الى مرفأ السويس ، ثم شرع بنفسه فى اركابهم فى ثلاث وستين

سفينة(١٧) ، وهو مجموع السفن الذى استطاع محمد على تجهيزها بمرفأ السويس بناء واستئجارا وقام بتقسيمها الى قسمين :

القسم الأول : أرسله من السويس فى اليوم (التاسع عشر من رجب ١٢٢٦ هـ / ١٠ أغسطس ١٨١١ م) ، على أن يتجهوا الى مرفأ ينبع .

القسم الثانى : أرسله فى (اليوم الخامس من شهر شعبان ١٢٢٦ هـ / ٤ سبتمبر ١٨١١ م) ، على أن يجتازوا ويمروا بمرفأى مويلح والوجه(١٨) ، وأمرهم أن يفرغوا فيها مقدارا من العساكر والذخائر ثم يذهبوا بالباقى الى مرفأ ينبع ، وعليهم اتخاذ التدابير بما تقتضى المصلحة لدى الجيشين(١٩) ، وكان بصحبة عساكر المشاة هذه خمسة عشر مدفعا من المدافع السريعة .

قوات محمد على المتجهة الى الحجاز برا :

أما العساكر المرسلة برا ، فكانت تتمثل فى الفرسان ، حيث يسيرون من برزخ السويس الى العقبة ، ثم يسيرون بمحاذاة الشاطىء الشرقى للبحر الأحمر حتى ينبع ، حيث يلتقون بقوات المشاة ، ومن ينبع يسير الجيش بفرسانه ومشاته الى المدينة المنورة .

وقد كانت حملة طوسون هذه تتكون من أربعة عشر ألفا من الأتراك والمغاربة ، ولم يشارك فيها جنود مصريون ، ولم يغفل محمد على حراسة السواحل ، فأبقى ثلاث سفن من قبيل الاحتياط، احداها من نوع (البمبة) Bomb (٢٠) واثنتان من نوع (الفرقاطة) .

سيطرة القوات على الساحل الشرقي للبحر الأحمر :

وفى (١٤ شعبان هـ / ٣ سبتمبر ١٨١١ م) خرجت الحملة يتقدمها قوات الخيـــالة بالطريق البرى عبر العقبة الى (ينبع) ــ ميناء المدينة المنورة ــ وفى (غرة رمضان ١٢٢٦ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨١١ م) وصلت قوات المشاة بقيادة طوسون بالطريق البحرى ، فى الوقت الذى كان قد جمع فيه سعود زعيم السلفيين خمســة عشر ألف مقاتل بقيادة ابنه « عبد الله » وعثمان المضايفى ، وعهد الى الشريف غالب بالدفاع عن جدة وينبع ، وكان بين الشريف غالب شريف مكة ومحمد على والى مصر اتفاقات ســرية ، قصد بها الانتقام من السلفيين لتغلبهم عليه واهانتهم اياه .

ولم تجد طلائع الحملة المصرية ادنى صعوبة فى النزول الى ثغر (ينبع) والاستيلاء عليه فى (رمضان ــ شوال ١٢٢٦ هـ / أكتوبر ١٨١١ م) ، وذلك بعد أن أسرع الشريف غالب فى الارتداد نحو جدة ، ولم يكن فى ينبع سوى حامية صغيرة من السلفيين ، قدرها عددها بثلاثمائة مقاتل ، ثم اســتولت قوات الحملة على السفن الراسية فى الميناء ، وشـــحنت بمقادير وفيرة من البن والتوابل ، وأرسلت الى السويس حيث أفرغت شحناتها ، وضمت هذه السفن الى وحدات الأسطول لنقل الجنود والمشاة(٢١) ، وتوسعت الحكومة المصرية بعد ذلك فى عمليات الاســتيلاء على السفن .

ولعل من أهم العوامل التى ساعدت على سيطرة القوات على ينبع البحر سوء الأحوال الاقتصـــادية التى ألمت بسكان الثغور الحجازية والقبائل القاطنة على طريق الحج على اثر انقطـــاع المحامل ، فقد تمكنت قوات المشــــاة لدى نزولها ميناء ينبع من

اغراء بعض القبائل القاطنة باهدائهم الخلع والأموال ، واستغلال هذه القبائل فى توصيل الرسائل الى مشايخ القبائل الأخرى ، بقصد استمالتهم الى جانب قوات الحملة ، وقد نجح هذا الأسلوب فى استعماله مع القبائل كثيرا .

وقبل سقوط قلعة ينبع كانت الفرقة الثانية من المشـــــاة المرسلين بحرا قد استولت على مرفأى مويلح والوجه ، أما الفرقة الأولى التى كانت مهمتها الاســـــتيلاء على ينبع ، فقد تمكنت من الاستيلاء على القلعة ، بعد أن سقط ما يزيد على ثلاثمائة جندى ما بين قتلى وجرحى من عساكر الحملة ، فى حين بلغ عدد القتلى من السلفيين حوالى الفين وثلاثمائة رجل .

وبعد الاستيلاء على قلعتى المويلح وينبع ، أقامت القوات فيهما منتظرين قدوم الـــ (سرعسكر) طوسون باشا .

وعند وصول طوسون باشا انضم اليهم ، وأخذ يبعث الى العربان برسائل التاليف والاســـــتمالة ، وبعد ذلك حملت قوات الحملة ما يكفيها من البقسماط والماء والذخائر الحربية ، واتجهت نحو ينبع البر ، فوصلت قرب ينبع ثلاث ساعات ، ثم نظم القواد خمس أورط ، وزحفوا الى ينبع البر ، فوجدوا حاميتها قد فرت ، مما سهل لقوات الحملة السيطرة عليها دون قتال ، « وأتت اليهم العربان أفواجا وقابلوا طوسون باشا وكساهم وخلع عليهم » .

التقهقر الى ينبع البحر :

بعدالاستيلاء على ينبع البر ، أقامت العساكر هناك ، حتى أدركتها عساكر البر ، فساروا جميعا الى الصفراء ، التى لجأ اليها العدو وتحصـــن بها ، وكان السلفيون آنذاك يقدر عددهم بثمانية عشر ألف مقاتل وثمانمائة فارس ، وبدأ طوسون بالهجوم ،

وكانت الغلبة له فى أول الأمر ، الا أن جماعة كثيرة من السلفيين وصلت من (نجد) . فاضطرته الى التقهقر تاركا وراءه الجمال والمهمات والمدافع ، وكل ما كان معه هو وجيشه ، وتشتت الجند وتراجعوا يرمى بهم الرعب قاصدين الساحل .

وكانت هذه الواقعة هزيمة كبرى ، فقد فيها طوسون باشا نحو ستمائة قتيل من جنوده ، وفقد معظم مدافعه وذخيرته وأرزاقه، ورجعت قواته الى ينبع ، وقتل منهم عدة آلاف فى الطريق ، بحيث لم يبق فى الجيش بعد عودته الى ينبع غير ثلاثة آلاف جندى ، ولو أن السلفيين استغلوا نجاحهم باقتفاء اثر قوات الحملة التى تقهقرت نحو البحر الأحمر ، لكانت الكارثة حيث البحر ، ولكنهم لجأوا الى جبالهم .

طوسون يطلب المدد بعد هزيمة الصفراء :

بعد هزيمة الحملة المصرية فى الصفراء ، وتقهقرها الى ينبع البحر ، أرسل قائد الحملة طوسون باشا الى والده يلتمس العون والمدد من عنده ، وجد محمد على فى ارسال المدد الى ابنه طوسون فى الوقت الذى أرسل فيه الى رؤساء الجند يحثهم على التمسك بينبع الى حين وصول المدد اليهم .

ارسال المدد الى طوسون بالحجاز :

وقد واجهت محمد على عقبة فى ارسال المدد ، وهو دخول فصل الصيف ، الذى من الممكن أن يؤدى الى اجهاد العساكر وخيولهم من شدة حرارة الشمس ، الى جانب قلة الماء ، ولم يكن محمد على بالرجل الذى تثنيه الصعاب ، فاستطاع أن يتغلب على هذه العقبة ، بارسال ألفين وخمسمائة فارس ، وثلاثة آلاف جمل ،

وستمائة من الخيل ، وألف هجان مع مصطفى بك رئيس قواد الفرسان برا ، كما أرسل عدة مئات من الفرسان عن طريق البحر الأحمر تحت قيادة عابدين بك وأبو بكر بك وأحمد أغا ، هذا الى جانب مقدار من الجمال لنقل الغلال والذخائر من ينبع البحر الى ينبع البر ، ولنقل الماء من ينبع البر الى ينبع البحر ، كما أرسل كميات كبيرة من الذخائر والغلال والسمن ، وما يشبه ذلك من سائر الأرزاق ، عن طريق مرفأى القصير والسويس .

محمد على يدعم قواته على الساحل الشرقى للبحر الأحمر :

وبعد وصول المدد الى طوسون ، استطاع أن يستولى على مكة والمدينة ، وغيرهما من المناطق المجاورة لهما ، ولكن حملة طوسون هذه لم يقدر لها النجاح الذى كان يبغيه محمد على ، فعزم على أن يسافر بنفسه الى الحجاز ، وكان حريصا على ألا يفشل فى حملة الحجاز ، التى من الممكن أن يترتب عليها ضياع هيبته فى الداخل والخارج .

من أجل ذلك خرج محمد على مسافرا الى الحجاز فى (٢٨ شعبان ١٢٢٨ هـ/٢٦ أغسطس ١٨١٣ م) ، وحمل لوازمه من مصر على السفن المرتبة بالسويس والقصير ، وقد وصلت حملة محمد على الى ينبع البحر بعد اقلاعها من مرفأ السويس بستة أيام ، وكان قوام هذه الحملة ستين من رجال حاشية محمد على ، واثنين من مشاته أرسلوا عن طريق البحر الأحمر ، أما القوات واللوازم التى أرسلت برا فكانت عبارة عن ألفى فارس ، وثمانية آلاف جمل محملة بالأثقال .

وبعد وصول محمد على الى الحجاز ، اخذ يدرس الحالة عن كثب لوضع الخطة الملائمة التى تضمن له الفوز والغلبة ، فوضع خطة تقوم على عدة مبادىء مهمة :

أولا : تخفيف الضرائب عن العربان ، واظهار مناصرته لهم حتى يقضى على أى تذمر بينهم .

ثانيا : جعل ثغر جدة المستودع الرئيسى لعتاد الحملة .

ثالثا : ترتيب الوسائل الكفيلة بنقل هذا العتاد الى داخل البلاد على أحسن حال .

رابعا : استئجار عشرين سفينة من سلطان مسقط لمدة عام واحد .

خامسا : صرف رواتب شهرين للعربان الموكول اليهم حفظ الأمن فى الطرق .

سادسا : اقامة حاميات عسكرية فى النقاط المهمة لاجتناب عنصر المفاجأة .

وكانت السفن التى حصل عليها محمد على من سـلطان مسقط تمتاز على سفن الضاو التى يمتلكها ، فقد سبق لها الابحار الى الهند شرق أفريقيا ، ويمكنها أن تخدم تجارتها بين السويس وموانىء جنوب البحر الأحمر .

وبعد وضع الخطة ، اتخذ محمد على من مكة قاعدة للزحف الى (تربة)(٢٢) ، اذ أن فتح هذه الجهة يسهل فتح الدرعية عاصمة السلفيين .

محـاولة محمد على احتلال قنفدة :

بعد أن فشل طوسون فى الاستيلاء على تربة ، بعد هزيمته من السلفيين ، تأكد لمحمد على أن السـلفيين يعتمدون على أهل عسير فى مناوشة الجيش المصرى ، فاستقر رأيه على انفاذ حملة للاستيلاء على (قنفدة) ، وكانت هى الميناء الرئيسى لمنطقة عسير،

والقاعدة الرئيسية لسفن السلفيين فى البحر الأحمر ، ولذا كان من الضرورى لمحمد على أن يستولى على هذا المنفذ الحيوى ، لضمان النجاح فى السيطرة على شبه الجزيرة العربية .

وقد استطاعت قوات محمد على احتلال ميناء (قنفدة) ، وأمر محمد على بتحصينها توطئة للزحف داخل البلاد ، وأبقى بها حامية تتكون من ألف ومائتى جندى ، ولكن هذه الحامية لم تلبث أن اضطرت الى اخلائها ، ذلك أن قومندان الحامية « زايم أغلو » Zaim Oglou فاته أن يحتل عين الماء التى تستقى منها البلدة، فاحتلها أنصار السلفيين ، وردوا الحامية على أعقابها ، ولم ير قائد الحامية سوى اخلاء المدينة والرجوع الى جدة ، وبذلك فشلت الحملة فى الاستيلاء على قنفدة .

وتعويضا لما فقده محمد على فى قنفدة ، أرسل محمد على الى مصر ، يطلب أدوات ومهمات وذخائر حربية وأموالا ، وسبعة آلاف من العساكر لزوم الحملة(٢٣) ، ونظرا لعدم وجود السفن الكافية لارسال الجنود ، وزيادة عدد الحجاج فى هذا العام الى أكثر من عشرة آلاف حاج ، فقد تأخر وصول المدد الى محمد على بالحجاز ، كما التمس كتخدا بك (محمد لاظوغلى) من محمد على أن يتكرم بارسال أمر الى (على العشـــــاقى) مأمور جمرك جدة بارسال سفن (الضاو) الى السويس والقصير .

وعندما اكتملت السفن قام (محمد لاظوغلى) بارسال المدد الى محمد على ، فبعث بجملة أخشاب ، كان قد سبق أن طلبها محمد على ، وسبعة آلاف من الجنود ، وسبعة آلاف كيس ، وتحملت مصر فى سبيل ارسال هذا المدد تضحيات جسيمة ، « فشرع كتخدا بك فى استكتاب الأشخاص من أخلاط العالم العربى ، ما بين مغاربة وصعايدة ، فكان كل من ضاق به الحال فى معاشـــه يذهب ويعرض نفسه فيكتبونه » .

وبعد أن وصلت الامدأدأت(٢٤) الى محمد على ، أخذ يعد العدة للزحف على أماكن تجمع السلفيين ، وقد ساعد على ذلك وفاة سعود الكبير فى (جمادى الأولى ١٢٢٩هـ/ابريل ١٨١٤ م) أمير الدولة السعودية الأولى ، فاستغل محمد على الفرصة ، وشدد هجماته على نواحى شبه الجزيرة العربية ، وسير حملة لاحتلال وادى الزهران (حصن عسكرى للسلفيين بين اليمن والحجاز) ، وبعد حصارها استطاع القائد السلفى (طامى بن شعيب) أن يحول الدفة لصالحه ويهاجم الطائف ، وانسـحب جيش (ابن شعيب) ، وعاد محمد على وابنه طوسـون الى جدة لقضاء فترة تدريبية .

وعلى أية حال تمكن محمد على من السيطرة على (تربة) و (دبنة) ثم (بيشة) ، ثم رجع الى الشاطىء واستولى على ميناء (قنفدة) ، وأبقى فيها حامية مصرية ، وذهب منها الى جدة ، ومن جدة الى مكة .

وبعد ذلك اضطر محمد على لمغادرة الحجاز والعودة الى مصر ، فأبحر من جدة فى (١٠ جمادى الثانية ١٢٣٠هـ/٢٠ مايو ١٨١٥ م) ، ووصل القصير فى (٦ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٤ يونيو ١٨١٥ م) .

وفى تلك المعارك الأخيرة لم تزد خسارة قوات محمد على على مائة وثمانين قتيلا ، وثلاثمائة جريح ، أما المرضى فكانوا كثيرين وقد عاد معظمهم الى مصر للعلاج والراحة ، وفى أثناء ابحار محمد على الى مصر ، تمكن ابنه طوسون من الاسـتيلاء على بلدة (الرس)(٢٥) ، ثم اتجه فى الطريق الى الدرعية ، فاستولى على بلدة (الشبيبة) الواقعة على طريق الدرعية عاصمة السلفيين .

ثم خطر على ذهنه فكرة عقد صلح مع السلفيين ، الا أن محمد على عندما علم بذلك أصر على تحطيم الدرعية ، وفى ذلك

الوقت عاد طوسون الى القاهرة فى (أواخر ذى القعدة ١٢٣٠ هـ/ أوائل أكتوبر ١٨١٥ م) .

الساحل الشرقى للبحر الأحمر فى قبضة والى مصر :

بعد عودة طوســــــون ، لم تنقض فترة طويلة حتى جاءت الأخبار من الحجاز بتمرد بعض القبائل بتحريض من السلفيين ، وكان طوسون قد توفى فى مصر فى تلك الأثناء فى (٧ ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م) ، فأسند محمد على قيادة الحملة الجديدة الى نجله ابراهيم باشا(٢٦) ، وشهدت الموانىء المصرية على البحر الأحمر (السويس والقصير) نشاطا متزايدا ، حيث كانت تنقل الغلال والمهمات من القاهرة خاصة ، ومن أنحاء القطر المصرى عامة ، وتخزن فى السويس قاعدتها الأولى ، بينما كانت السفن المحملة بالمدافع والذخائر والبقسماط تتجه الى قنا ، ومنها تحمل على ظهور الجمال الى القصير .

وكان محمد على قد أعد أسطولا وافيا بغرضه ولوازمه ، وجمعه فى مينائى السويس والقصير ، وفيه أيضا حشد جيشه المكون من ألفين من المشاة بقيادة البكباشين قاسم ومصطفى أغا ، بينما اتجهت قوة من الفرسان تعدادها خمسمائة بقيادة (حسن كاشف) الى ينبع ، لتنتظر وصول القائد (ابراهيم) اليها .

وفى (أول ذى القعدة ١٢٣١ هـ/٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م) ، سار ابراهيم باشا بحملته من القاهرة فى النيل الى قنا ، ومنها فى الصحراء الى القصير على شواطىء البحر الأحمر ، ومنها بحرا الى ينبع ، مصطحبا معه عددا من الاوربيين ، نذكر منهم الضابط المهندس « فيسير » vaissre ، الذى كان بمثابة أركان حرب

لابراهيم باشا ، ثم بعثة طبية كان قوامها أربعة من الايطاليين(٢٧)، كانوا على الأرجح أول من اخترق نجد من الأجـــانب ، ولكنهم للأسف لم يتركوا مؤلفات أو مذكرات عن تجاربهم ومشاهداتهم فى قلب الجزيرة .

ابراهيم باشا فى الدرعية :

وصـــلت الحملة ينبع فى (٧ ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م) ، والتقى رجالها بأخوانهم الذين تركهم طوسون باشا للمحافظة على الثغور والمدن الكبيرة ، والذين ألموا بطبيعة هذه الأراضى وأخلاق أهلها ، وما هم عليه ، وكان لهؤلاء مزية كبيرة ، حيث أوقفوا ابراهيم باشا على مواطن الضعف والقوة فى هذه البلاد .

ولم يكد يستقر بابراهيم المقام فى ميناء ينبع ، حتى سار الى المدينة المنورة ، ولما علم عبد الله بن سعود بقدوم ابراهيم ، جمع ٤٠ ألف مقاتل ، ولكن أســـلحتهم كانت من الطراز القديم المتمثلة فى السيوف والرماح والبنادق ذوات الفتائل ، فلم يقووا على الوقوف أمام نيران قوات ابراهيم باشا المتواصلة ، فانهزمت طلائع السلفيين .

ثم سار ابراهيم الى (الرس) ، التى اتخذها السلفيون معسكرا لهم ، فهزم طلائعها وحاصرها لفترة قصيرة ، ثم اضطر الى المواغقة على شروطهم لوقف القتال فى (الرس) ، وذلك خوفا من نقص الذخيرة والمؤن اذا طال حصارها ، وبعد ذلك ســـار بجيشه قاصدا (عنيزة) فحاصرها ستة أيام حتى استسلم حاكمها محمد بن حسن ، ووافقه على تسليم المدينة بشروط ، أهمها :

١ ــ السماح للحامية السلفية المعسكرة فى المدينة بالخروج منها .

٢ ــ أن يتخلى السلفيون فيها عن الأسلحة والذخائر والمؤن

ووافق ابراهيم باشا على هذين الشرطين ، ودخل عنيزة ظافرا ، وعلى الرغم من أن قوات محمد على قد عانت من صعوبات جمة فى الحجاز : فانها تمكنت فى النهاية من الاستيلاء على (الشقراء) ، التى تعتبر أمنع بلاد نجد ، وذلك فى (١٤ من ربيع الأول ١٢٣٣ هـ / ٢٢ يناير ١٨١٨ م) ، ولم يبق أمام ابراهيم باشا سوى الدرعية عاصمة السلفيين وآخر معاقلهم (تقع على مسافة ٨٠٠ ميل من ميناء ينبع على ساحل البحر الأحمر) ، واستطاع أن يسيطر عليها فى (٨ ذى القعدة ١٢٣٣ هـ / ٩ سبتمبر ١٨١٨ م) ، وذلك بعد حصار دام سبعة شهور .

والجدول التالى يوضح مقدار قوات ابراهيم باشا أثناء حصاره للدرعية .

الفرسان	نوعية العسكر	المجموع
٨٥٠	ترك وأرناؤوط مع ابراهيم باشا	
٤٠٠	ترك وأرناؤوط مع آزوك على (وأكثرهم من نواحى الشام وجبال الدروز)	
٣٠٠	ترك وأرناؤوط مع رشوان أغا	
٤٠٠	بربر (مغاربة)	١٩٥٠

المشاة	نوعية العسكر	المجموع
١٢٧٢	أرنئاؤوط	
٢٥٧٥	ترك	
١٣٠٠	بربر (مغاربة)	٥٦٠٠

وبالاستيلاء على الدرعية ، ضاق الخناق على السلفيين ، فجنحوا الى الصلح والتسليم ، وبذلك انتهت الحرب السلفية بانتصار جيش محمد على ، وسيطرته على بلاد العرب ، بفضل الأسطول القوى ، الذى أصبح نواة لاسطول كبير احتل المركز الثالث بين أساطيل العالم ، وقد لعب البحر الأحمر دورا خطيرا فى هذه الحرب ، ولولاه لما نقلت الجنود والمؤن والغلال بالسرعة التى وجدناها ، ولما حقق محمد على هذا النجاح ، وربما سيطر السلفيون على هذه البلاد ، وخرجت من أيدى الدولة العثمانية لولا تدخل محمد على .

وبعد سقوط الدرعية ، عادت معظم قوات محمد على الى مصر ، وبقيت وحدات قلائل للقيام بعمل الحراسة والأمن ، معظمها فى الجزء الشمالى من شبه الجزيرة العربية ، وكانت تحت أمرة الميرميران (الفريق) أحمد شكرى يكن باشا ، ابن أخت محمد على .

نتائج حملة شبه الجزيرة العربية :

كان لانتصار جيش محمد على فى الحجاز نتائج مهمة يجب أن نذكرها ولا نغفلها ، حيث كان لها أكبر الأثر فى توجيه سياسة

محمد على القادمة فى البحر الأحمر ، وأحداث وردود فعل دولية وعالمية ، أهمها :

أولا : ضمت بلاد العرب الى الولاية المصرية ، وأصبحت جزءا منها ، ومنفذا لجزء من منتجاتها .

ثانيا : القضاء على القوة السياسية والحربية النجدية ، التى اســـتندت اليها السلفية ، وانتقال الاشراف على بلاد العرب للقاهرة ، بعد اسناد ولاية الجيش الى مصر عام (١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م) .

ثالثا : نشر محمد على اسمه فى العالم ، وكون أول نواة للاسطول المصرى .

رابعا : أصبحت مصر قوة جديدة يحسب لها حساب فى عالم السياسة الدولية ، بل أصبحت عماد الدولة الاسلامية ، ودرعها الواقية ، تتطلع اليها الدول الاســـلامية كزعيمة ومنقذة ، وأخذت الدول الأوربية ترصدها بعين الحسد والطمع .

خامسا : اعادة مياه العلاقات التجارية بين الحجاز وبقية الولايات الاسلامية الى سابق مجراها ، وتخليص الدولة العثمانية من القلق الذى استحوذ عليها .

سادسا : أعاد ضم بلاد العرب لخلافة آل عثمان هيبتها أمام العالم ، وجمع الى لوائها البلدان المقدسة .

سابعا : تكوين قوة لمحمد على تعمل على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، وجعل ميناء السويس قاعدة لاســـطول مصـــر ، ترسو بها السفن الزائدة على الحاجة .

ثامنا : أن المصريين لم يكن لهم أى شرف يدعى فى المعارك التى خاضها عسكر محمد على ، والتى انتهت بسقوط الدرعية ،

لأن الجيش المصرى كان فى عالم الغيب ، لم يولد بعد ، حيث كان الجيش فى هذا العهد أخلاطا من العناصـــر المفطورة على التمرد والفوضى ، يطلق عليهم لفظة (باشبوزق) أى الجنود غير النظاميين ، ومثل هذا الجيش لم يكن جديرا بالاعتماد عليه فى رفع هيبة مصر والدفاع عن كيانها وتوسيع حدودها .

وكان من أسباب قبول محمد على القيام بالحملة التى كلفه السلطان بها ، التخلص من طوائف الجنود الأرناؤوط (الألبان) والدلاة (دروز الشام) الذين ألفوا التمرد والشغب ، فكانت الحملة خير فرصة انتهزها محمد على ليقذف بتلك الطوائف المتمردة الى الأصقاع النائية من جزيرة العرب ، لعله فى غيبتهم يستطيع أن يدخل النظام الجديد فى الجيش المصرى .

تاسعا : لم يكن سقوط الدرعية خاتمة الحوادث فى شـبه الجزيرة العربية ، بل استمرت مناوشات قليلة ، انتهت بأن خيم الهدوء على البلاد فترة ليست قصيرة .

وقد عنى ابراهيم باشا بمسألتين مهمتين :

أولاهما : تنظيم التموين فى مكة والمدينة بجلب الأغنام والسلى والمؤن والبضائع من الاقاليم الصعيدية .

ثانيتهما : العناية بالحجاج وتأمين الطرق حتى يشعر المسلمون فى العالم كله بفضل ادارة محمد على فى الحجاز .

وبعد الانتهاء من هاتين المسألتين : أخذ ابراهيم باشا فى تدعيم الوضع المصرى فى بلاد العرب ، وتأمين السكان على أموالهم وأملاكهم ، وعنى بتعيين أنصار الحكومة فى الوظائف المحلية ، ولم يدخر وسعا فى تنفيذ سياسة أبيه ، من حيث مكافأة الموالين له ،

بمنحهم المرتبات والعلاوات ، حتى بلغ اهتمامه بهم أن عرض على بعضهم ان يرسلوا أولادهم فى بعثات تلحق بالأزهر على نفقة والى مصـــــر .

وصول قوات محمد على الى الخليج العربى :

وصلت قوات محمد على الى الخليج العربى بعد ســـــقوط الدرعية ــ مركز السلفيين ــ وبعد أن وجد ابراهيم باشا الطريق مفتوحا أمامه الى الخليج العربى ، حيث تقدم بقواته الى منطقة (الاحساء) فى طريقه الى ســـــاحل الخليج العربى ، فانزعج القواسم لما سمعوه عن النجاح السريع الذى لازم ابراهيم فى الحجاز ، فتوقعوا أن تكون الخطوة التالية لابراهيم بعد الاستيلاء على القطعة تدمير مركزهم فى رأس الخيمة ، ففكروا فى مغادرتها الى احدى الجزر النائية بالخليج .

وقد وصلت هذه الأنباء الى حكومة الهند ، فأصـــدرت أمرا للاسطول البريطانى فى (الخليج العربى) بالاســـــتعداد لمنع (القواسم) القراصنة من التحرك داخل الخليج ، وقامت قوة عسكرية من (بومباى) تحت قيادة سير (جرانت كير Grant Kier استطاعت أن تستولى على رأس الخيمة فى (٢ صفر ١٢٣٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨١٩ م) ، بعد حصار دام ستة أيام ، وأحرقت جميع سفن القراصنة ، ثم عاد الأسطول الى (بومباى) بعد أن قضى على أقوى معقل للقراصنة .

وتجدر الاشارة الى أن « هوسكينز Hoskins » ، يرى أن وصـــــول قوات محمد على الى الخليج العربى ، كان من أهم الأهداف التى ســـعى اليها محمد على ، لتحقيق أمله فى تأسيس امبراطورية عربية كبيرة ، تجعله متحكما فى كلا المنفذين (البحر

الأحمر والخليج العربى) الموصلين الى المستعمرات البريطانية فى الشـــــرق .

وأرى ان هذا الهدف لم يكن فى خلد محمد على ، الا بعد ان تحسن الموقف فى صالح قوات محمد على فى اليمن .

حين ذاك اتجه خورشيد باشا ـ قائد القوات فى شـــــبه الجزيرة العربية ـ عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٢٣ م) بجيشه شمالا ، حتى وصل الى الاحساء ، حيث أحرز نجاحا كبيرا فى اخضاع القبائل العربية ، وعند مصـــــب شط العرب كان مقدرا أن تلتقى قواته بالاسطول المصرى ، الذى كان قد أبحر عن طريق البحر الأحمر ، لتحقيق أهداف محمد على التوسعية فى سواحل الخليج العربى .

وقد كانت هذه المرحلة من مراحل التوســـــع فى الخليج ، تختلف عن سابقتها من حيث موقف بريطانيا ، فبينما اســـــتغلت بريطانيا المرحلة الأولى من وصول قوات محمد على الى الخليج عام (١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م) ، فقامت بقمع النشاط البحرى للقواسم ، نجد أنها وقفت فى المرحلة الثانية موقفا معارضا للتوسع المصرى حتى اضطرته الى الانسحاب من الخليج وشبه الجزيرة العربية بموجب اتفـــــاقية لندن (١٢٠٦ هـ / ١٨٤٠ م) ، والفرمانات الصادرة على أساسها والتى وضـــعت نهاية لمخططات محمد على التوسعية ، بعد أن توالت الهزائم على الجيش المصرى من قبل قوات التحالف المشتركة (الدولة العثمانية ، والنمسا ، وبريطانيا ، وروسيا ، وبروسيا) .

التجارة بين مصر والحجاز عبر البحر الاحمر :

بعد أن نجح محمد على فى بسط نفوذه على معظم شـــــبه الجزيرة العربية ، أصبح هناك اتصال ملاحى عبر البحر الأحمر ، ونشطت السفن التجارية بين رمضان وذى الحجة من كل عام ،

حيث يصل أغلب الحجاج قبل أو اثناء رمضان للتجارة أو لقضاء شهر رمضان فى الأراضى المقدسة ، وتزداد الحركة التجارية ليلا فى رمضان ، حيث يعتبر أكثر شهور السنة حركة فى عمليتى البيع والشراء ، ثم تعود حركة التجارة للهبوط بعد شهر ذى الحجة حيث تغادر اغلب السفن ، ويغادر الحجاج الذين كانوا يفضلون القدوم الى جدة ومكة والمدينة المنورة بالذهب ، ليبيعوه هناك الى التجار العرب .

الصادرات المصرية الى الحجاز :

كانت البضائع الأساسية التى تصدر الى الحجاز عن طريق ميناءى جدة وينبع ، تتمثل فى المواد التموينية الأساسية ، كالأرز والعدس والدقيق والقمح والسمن والسكر والشعير والفول والبقسماط والفريك والزيتون والحمص واللوبية ، وكانت هذه اللوازم والمهمات ترسل من ميناءى القصير والسويس الى ميناءى جدة وينبع ، ومنهما الى المدينة المنورة ومكة .

وكانت مصر تصدر الغلال الى الحجاز على السفن الأميرية، وسفن التجار الموجودة بالقصير الى جدة ، والموجودة بالسويس الى ينبع .

وحينما كان يحدث نقص أو عجز فى الغلال المرسلة الى الحجاز ، كان المحافظون يسرعون بطلب ما يلزمهم من الغلال ، ومن ذلك فان أحمد باشا محافظ مكة فى عام (١٢٣٣ هـ / ١٨٢٨ م)، كتب الى والى مصر يطلب ما يلزمه من الدقيق والبقسماط والفول والشعير ، لسد النقص الحاصل فى ميرة الجهادية ، فقام محمد على بتكليف الكتخدا المنتدب لصالح الاقاليم الصعيدية ، بأن يرسل

الى محافظ مكة ما يحتاج اليه من الغلال ، وقد أسرع الكتخدا فى سوق هذه الغلال من ميناء القصير الى ميناء جدة .

وأهم ما اشتملت عليه تلك الغـلال الحنطة ، لأهميتها فى صناعة الخبز كغذاء أساسى للانسان ، فعلى هذا الأساس كانت ترسل منه كميات كبيرة ، ومن ذلك الأمر الذى صدر الى حضرة الدفتردار فى (٦ رمضان ١٢٣٤ هـ / ٢٩ يونيو ١٨١٩ م) بارسال عشرة آلاف أردب حنطة الى الحجاز ، وقد كتب له « وان من مقتضى المصلحة أن تشعروا محافظ القصير بأن يحملها على السفن التى ستأتى من قبل على عشاقى » ، والتى سيقوم بارسالها الى جدة بلا توقف ، وكانت هذه الغلال تمنح تسهيلات عند مرورها ، فلا تؤخذ عليها رسوم جمركية .

ونظرا لحاجة سكان الحجاز بصفة عامة الى الأرز كغذاء أساسى ، فان الكميات التى كانت تصدر منه سنويا الى الحجاز ، تقدر بخمسمائة أردب سنويا ، أما الكميات الأكثر فكانت ترد الى الحجاز من الهند .

وتقدر الغلال التى كانت ترسل من ميناء القصير وحده الى الحجاز بحوالى ٢٢ الف أردب ، وكان محمد على حريصا على ان يكون القدر المرسل من الغلال الى ينبع ، هو نفس القدر المرسل الى جدة ، ويتضح ذلك عندما أرسل من مصر الى جدة ٧٩٢٣ أردبا ، والى ينبع ٧٣٩٢ أردب غلال ، وذلك فى (ربيع الآخر ٢٣٤ هـ / فبراير ١٨١٩ م) ، فنجد أن محمد على غضب من ذلك ، وكتب الى محافظ القصير قائلا له « فبالقدر الذى يرسل الى ينبع من أجناس الغلال ، فلتعتنوا بأن يرسل الى جدة أيضا مثله » .

ولم تقتصر صادرات مصر الى الحجاز على الغلال فقط ، فقد كانت هناك بعض الذخائر والمهمات ، تصدر من مصر الى

الحجاز عن طريق البحر الأحمر ، ومن أهم هذه الصادرات السجاد والصابون والقماش من نوع الكتان منفصلا على هيئة أثواب والشيلان والطرابيش والأحذية والدخان والقمصان وبعض الصناديق التى يصنعها النجارون والحدادون فى مصر ، والتى تستخدم كخزانة أو سحارة لوضع الأشياء فيها .

هذا الى جانب بعض اللوازم التى كانت ترسل الى الحجاز لحاجتها اليها ، ومنها القرب والجوالات لرحول الجمال والدوبار وشبيكة الجمال وليف النخيل .

ومن البضائع المصرية التى كانت تلقى رواجا كبيرا فى الحجاز المرجان ، والحرير المحلول الذى يقال له (اسكندرانى) وهو من القطن الملحوم بخيط الهند ، وبملاحق الدراسة عدة جداول توضح الاصناف المصدرة الى الحجاز عن طريق البحر الأحمر .

وكانت الاصناف المصدرة الى الحجاز عبر البحر الأحمر تزيد حسب حاجة الحجاز اليها .

ولم تقتصر حركة الملاحة المصرية فى البحر الأحمر على تصدير الغلال والمهمات المصرية الى الحجاز ، بل كانت هناك جنود (من الأتراك والألبان والمغاربة والأرناؤوط) ترسل الى الحجاز دائما ، ولم تنقطع هذه الرحلات طوال وقوع المناطق الحجازية تحت ادارة محمد على ، وذلك منذ ارسال حملة طوسون باشا للقضاء على السلفيين ، حتى الحملات التى أرسلها محمد على الى اليمن كانت تخرج من السويس والقصير قاصدة موانىء الحجاز ، ومنها برا الى اليمن ، أو بحرا الى الموانىء اليمنية .

الواردات المصرية من بلاد الحجاز :

كانت الواردات التى تأتى من ميناء جدة الى السويس ، تقدر بحوالى خمسين أو ستين مركبا محملة بالبضائع ، وأهمها البن والسنامكى والبخور والتوابل والعقاقير المختلفة والمنســـوجات الهندية ، وكان من أهم ما يرد الى ميناء القصير البلح والبن اليمنى، فقد أشارت الوثائق الى أنه فى (جمادى الأولى ١٢٣٩هـ/يناير ١٨٢٤م) ورد من طريق جدة القصير حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة شجرة من أشجار البن ، حيث كان البن يأتى من الحديدة باليمن الى جدة ، ومن جدة يرسل الى السويس موزعا فى المراكب التى تقصد مصر، ويرسل الى القصير ، ثم ينقل على الجمال الى قنا ، وهنا يدفع على القنطار ضريبة مقدارها ٥ر٣ قرش ، ثم ينقل الى القاهرة عن طريق النيل ، ويدفع على شحن الأردب من ٢٠ الى ٤٥ بارة ، وفى القاهرة يباع القنطار بمبلغ يتراوح بين ٢٩ و ٣٠ قرشا .

وكان يرد الى مصر من الحجاز الحناء ، التى كان يحملها التجار أو الحجاج عند عودتهم ، ويؤخذ رسم جمركها عشرة قروش وثلاثون بارة ، وذلك بمقتضى التعريفة التى أصدرها مجلس الملكية فى (٢ جمادى الأولى ١٢٤٥ هـ/١٨ نوفمبر ١٨٢٩ م) ، حيث كان الجمرك يؤخذ على الحناء التى تزيد على القنطار اولاحد ، وكان ميناء جدة هو الميناء الرئيسى لاستيراد المواد الضرورية ، وتنقسم التجارة القادمة الى مصر الى قسمين ، هما تجارة البن ، وتجارة المنتجات الهندية ، حيث يرتبط هذان النوعان بالحركة التجارية فى مصـــــر .

وكانت تجارة البن تتعرض للكثير من التقلبات ، عكس السلع الهندية ، التى امتازت بقلة المخاطرة وكثرة الربح .

الرســـوم الجمركية(٢٨)
المفروضة على الغلال المرسلة الى الحجاز :

كانت هناك رسوم أو ضرائب يحصلها محمد على من الجمارك القائمة فى موانىء البلاد المهمة ، ومنها جمرك السويس والقصير ، وكانت هذه الجمارك تدر دخلا كبيرا للدولة ، فمصر مثلا كانت ترد اليها بضائع من الحجاز واليمن والهند ، وكانت الجمارك فى عهد محمد على معطاة بالالتزام لتجار من الأتراك والأرمن(٢٩) ، مقابل دفع مبلغ من المال الى الحكومة المصرية .

وكان محمد على قد التزم ادارة الجمارك المصرية من السلطان العثمانى مقابل ٧٥٠٠ كيس فى (١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م) ، ثم رفعت الى ٩٩٠٠ كيس فى (١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م) ، تدفع لخزانة البحرية العثمانية على أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر .

وكانت الرسوم الجمركية التى تحصل على التجارة الواردة الى بلاد العرب من الهند ١٠٪ من الأشياء التى ترد اليها ، وذلك من التجار الذين يستطيعون دفع ذلك ، ويؤخذ بضاعة بحساب ١٠٪ ممن لا يستطيع الدفع نقدية .

وكانت هذه الرسوم تحصل بالريال الفرنسى عينا ، أو ما يعادله من القرش ، بينما كانت هذه الرسوم خمسة فى المائة فى السويس والقصير ، وكان كل مدير مصلحة يقدم حساب المصلحة التى فى عهدته كل عام ، وحينما كان يتأخر أى منهم ، يرسل محمد على اليه ليستعجله فى ذلك .

وكانت أجرة القوارب التى تقوم بنقل الغـلال الأميرية فى السفن الى الميناء وتحصل من أصحاب السفن ، أما أجرة النقل

من الميناء الى محل الكيل ومنه الى الشونة فكانت تحصل من الشونة ، وكانت البضائع المهربة تؤخذ عليها رسوم جمركية ضعفين ، وذلك طبقا لقرار مجلس الملكية الصادر فى (رجب ١٢٥٠ هـ / نوفمبر ١٨٣٤ م) ، ونلاحظ أن محمد على قد أعد مراكب فى البحر الأحمر لمكافحة التهريب ، فجعل مراكب الصيد قائمة بعد الغروب حتى الشروق ، لا تغادر الميناء ، لمراقبة حركة السفن .

وكانت الجمارك المصرية تعد مصدرا من مصادر التمويل التجارى حيث احتكرت الحكومة المصرية ٩٥٪ من الصادرات ، وكانت تشترى لحسابها ثلث الواردات ، أما الرسوم التى كانت لا يمكن تحصيلها لوفاة أصحابها أو انتقالهم الى جهات أخرى ، فتحصل من عهد المحافظ ومن ناظر السفن وأمير البحر .

وقد وصل اجمالى الايرادات من الجمارك ٢٦١٤ كيسة ، واجمالى المصروفات ٥٢٦ كيسة ، والصافى ٢٠٨٧ كيسة .

الاعفاءات الجمركية عبر البحر الأحمر :

كانت هناك بعض الغلال والمهمات التى أصدر الوالى محمد على أوامره باعفائها من الجمارك ، وهى تتمثل فى لوازم الحرم ، من حبوب وغير ذلك(٣٠) ، كما كانت تنقل لوازم الحرم من ينبع الى المدينة المنورة على الجمال بدون أجرة ، كما طلب محمد على من محافظ جدة عدم أخذ مقدار العشر من الغلال التى تؤخذ من السويس والقصير الى جدة من طرف الحجاج رؤساء المراكبية .

ولقد شملت الاعفاءات الجمركية أيضا الأشياء التى كان يرسلها محمد على الى أشراف جدة ، كالكسى والخيام والخزائن الخشبية والحديدية ، وغير ذلك من الأشياء المراد منحها لأشراف جدة كل عام .

هذا الى جانب الحنطة التى كان ينعم بها السلطان على أهالى مكة ، والبن الذى كان يرسل الى السلطان من جمرك جدة ، والمقدر بأربعمائة اقة كل عام .

الحركة الملاحية فى البحر الأحمر :

كان محمد على والى مصر حريصا على مراعاة النظام فى تحميل السفن من السويس أو القصير الى موانىء الحجاز والعكس، فقد أصدر أمرا بأن السفينة التى يأتى عليها الدور ، تحمل بضاعتها حتى لو كانت خاصة به ، أو بنجله ابراهيم باشا ، لأن سفنهم « فى حكم سفن التجار » ، وهذا الحرص من محمد على يدل على مدى النظام السائد فى عهده لحركة الملاحة فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

ولم يكن اهتمام محمد على مقصورا على تنظيم الملاحة فى البحر الأحمر فقط ، بل اهتم بترميم السفن عندما بدأت تظهر الأعطال فى بعضها ، وذلك حين أرسل اليه محافظ القصير يخبره بأن السفن التى تعمل فى البحر الأحمر بين مصر والحجاز ، قد تعرضت لبعض التلفيات ، ولا تعمل الا سفرا واحدا فى مدة تصل فيها سفن التجار سفرين ونصف سفر ، فأصدر محمد على أوامر بتعمير تلك السفن الخربة ، وكان هذا الترميم أو التعمير يتم فى ميناء السويس .

ويرى « دودويل » Dodwell أن السلفيين أنشأوا أسطولا للقرصنة فى (قنفدة) الى جنوب جدة ، وفى عام (١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م) وقعت احدى السفن البريطانية فى أيدى القراصنة السلفيين ، الذين قتلوا الملاحين عن بكرة أبيهم ، وفى نفس العام

استولى القراصنة السلفيون على السفينة المسلحة التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية واسمها « سيلف » ، كما طالب محمد على من القنصل البريطانى « سولت » فى مصر عام (١٢٢٥ هـ/١٨١٠م) ـــ بعد فشل الاتفاقية المؤقتة التى أبرمها مع بريطانيا ـــ بضرورة ارسال قوة بحرية للرد على القراصنة السلفيين ، « وألا أصبح من غير المأمول أن يطلب الى أولاده النقل من الحجاز واليمن » .

ولكنى لم أعثر ضمن الوثائق التى اطلعت عليها ما يؤيد ذلك ، ويشير الى اتساع نطاق القرصنة فى ابلحر الأحمر بهذه الصورة السالفة الذكر ، بل كل ما هنالك أنه كانت هناك سفينة صغيرة فى البحر الأحمر ، تقوم بأعمال القرصنة ، وعندما علم (جمعة أغا) أمير القنفدة بذلك ، جهز خمس سفن من طراز (شالوية) ، ووضع فيها ٢٥٠ نفرا من الحضارمة ، وارسلها فى البحر الأحمر ، لمنع الأضرار التى ينزلها أصحاب السفينة الصغيرة بالسفن البخارية التى تسير فى البحر الأحمر .

هوامش الفصل الثانى

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف ، ولد فى « العيينة » من بلاد نجد ، واختلف المؤرخون فى سنة ميلاده ، فذكر البعض أنه ولد فى عام (١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م) ، وذكر آخرون أنه ولد فى عام (١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م) وهذا هو الأصح وقد قام بالسفر فى طلب العلم الى الحجاز والبصرة والاحساء ثم عاد الى نجد ، ولعل أهم ما تهدف اليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب افراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، ومحاربة الشرك ، والقضاء على البدع فى الدين .

(٢) من الملاحظ أن الوثائق أطلقت كلمة « الوهابيين » على أتباع محمد بن عبد الوهاب الذى قام بالدعوة السلفية ، ولأنهم ليسوا أصحاب مذهب جديد ، وهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فسنطلق عليهم لفظ « السلفيين » ، وهم من سكان نجد وبعض جهات أخرى من شبه الجزيرة العربية القريبة من نجد .

(٣) المحمل يطلق فى الأصل على الجمل الذى يحمل الهدايا الى الكعبة ، وكان يزين بأبهى زينة ، ولما بالغوا فى زينته ، أصبح الجمل لا يستطيع أن يحمل سوى كسوته ، فقد أصبحت كسوة المحمل فى عام (٨ — ١٣ هـ/٦٢٩ — ٦٣٤ م) مع هيكله الخشبى لا تقل عن أربعة عشر قنطارا ، وصار ما كان يحمل عليه من الهدايا يحمل فى صناديق على جمال أخرى .

— د . مصطفى محمد رمضان : مصادر تاريخ مصر الحديث، دراسة نشرت بكلية اللغة العربية ، القاهرة ، د.ت. ، ص ٧٢ .

(٤) وكتب يقول له « نأمل وننتظر من ذاتكم العلية التثبتات ببيان تفضلكم فى مداومة بذل الهمة بعد الآن أيضا بخصوص دفع غائلة الوهابيين والاقدام فى سائر الأمور التى أمرتم بها التى هى منتظرة من شيم رؤيتكم » .

(٥) بيير كرابيتس : ابراهيم باشا ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ١٩ .

(٦) تولى لمدة عام واحد بعد السلطان سليم الثالث ، وعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهراً ، من ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ الى جمادى الأولى ١٢٢٣ هـ/ من يونيو ١٨٠٧ الى يوليو ١٨٠٨ م) .

(٧) أى القائد العـــام .

(٨) ابن السلطان عبد الحميد الأول ، ولد فى عام (١١٩٩ هـ/١٧٨٤ م) ، وتولى فى (ربيع الثانى ١٢٥٥ هـ/يوليو ١٨٣٩ م) ، وكانت مدة خلافته احدى وثلاثين سنة وعشرة شهور ، ومات عن أربع وخمسين سنة تقريبا .

(٩) الفرقاطة هى سفينة حربية خشبية (اذ أن السفن الحديدية لم تكن قد عرفت بعد) ، ويصل طولها بين ٢٥ و ٢٧ ذراعا ، وحمولتها حوالى ٢٠٠ طن ، وهى من السفن ذات الثلاثة صوارى ، احدها هو الصارى الرئيسى بطول ٢٧ ذراعا ، والثانى صارى منجانة (عند خزان المياه) بطول ٢١ ذراعا ، والثالث صارى برده (عند مؤخرة السفينة) بطول ٢٣ ذراعا ، وكان سفن الفرقاطة التى تم انشاؤها بالسويس من أحجام ثلاثة وبالأطوال السابقة .

(١٠) اصل هذه الكلمة (كتخدا) وتعنى رب البيت ولها دلالات كثيرة منها أنها تطلق على نائب الوالى أو مدير المزرعة أو القرية أو شيخ طائفة أو حرفة أو نائبه ، وهى هنا تطلق على نائب الوالى ، وكان يعين من قبل السلطان ، ويتغير بتغير الولاة ، وكان له سلطة الاشراف على الأسطول والترسانات السلطانية .

(١١) اسماعيل قبودان هو القائد البحرى الذى تلقبه المصـــادر التاريخية الأجنبية اسماعيل جبل طارق Ismail Dgebal Tark وتارة باسم اسماعيل جبل الأخضر Ismail Dgebal Akdar ، وهو أول قائد بحرى ورد اسمه فى تاريخ البحرية المصرية ، عندما صح عزم محمد على على تكوين اسطول قوى ليساعده على بسط سيادته فى البحر الأحمر حتى موانىء جزيرة العرب ، وذلك أن الوالى بعد أن صنع السفينة (أفريقيا) فى ميناء الاسكندرية ، وذلك فى (المحرم ١٢٢٥ هـ/فبراير ١٨١٠ م) ، استدعى محمد على القبودان اســماعيل جبل طارق وقلده قيادتها من الثغر السكندرى حتى السويس فى رحلة طويلة حول القارة الافريقية ، بعد استكمالها وتركيب الآلات الحربية فى لندن ، نجد انه لم يكتب

لتلك السفينة أن تمخر عباب البحر ، اذ تدخلت السياسة البريطانية فى الأمر ، بناء على احتجاج شركة الهند الشرقية البريطانية ، وحالت دون أبحار السفينة (افريقيا) الى السويس ، واعادتها الى الاسكندرية مزودة بثلاثين مدفعا جعلت منها نواة أسطول مصر الحربى .

(١٢) انظر الملحق رقم (١) بملاحق الدراسة .

(١٣) النبق شجر يحمل ثمرا يشبه الزيتون وينتفع بخشـــبه فى مختلف الأغراض .

(١٤) الأبريق سفينة بساريتين وقلوع مربعة ، والسكونة سفينة بسارية واحدة لها قلوع مربعة ونصف سارية ذات قلوع مخروطية .

(١٥) الضاو تعرف فى الانجليزية بنفس الاسم وهى سفينة بشراع واحد ، وحمولتها ٢٠٠ طن ، وكانت تستعمل لحمل البن والبوهار وبضائع التجار بين موانىء اليمن وثغور الحجاز المطلة على البحر الاحمر خاصة ينبع والسويس .

(١٦) بركة الحاج اختلف فى موضعها ، فقد ذكرت الوثائق أنها احدى ضواحى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية ، وعرفت بهذا الاسم لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحجاز كل عام ، ونزولهم عند العودة بها ، ومنها يدخلون الى القاهرة ، وكان من العادة أن يقيم ركب الحجاج بهذه القرية خمسة أيام قبل مسيره الى السويس .

(١٧) وكانت متعددة الأنواع والاشكال ، وتشتمل على ثمانى عشرة (قرويت) أى من السفن الخشبية الكبيرة ، وتقدر حمولتها بنحو مائتى طن ، وعشر سفن من نوع (الأبريق) أعدت بميناء السويس ، وهى أصغر حجما من القرويت ، وتقدر حمولتها بنحو مائة طن ، وخمس عشرة سفينة من نوع (الضاو) استولى عليها الوالى من ميناءى السويس والقصير ، وعشر سفن تسير بالمجاديف وتسمى بـ (الزعيمة) شيدت بميناء طرابلس ، وعشر سفن من نوع (الضاو) أرسلها الشريف غالب بن مساعد (شريف مكة) ، مساهمة منه فى أعمال الحملة .

(١٨) المويلح ميناء تابع لامارة تبوك جنوب خليج العقبة ، والوجه ميناء امارة ملحقة بامارة تبوك .

(١٩) انظر الملحق رقم (٣) بملاحق الدراسة .

(٢٠) وهى أقل حجما من القرويت ومزودة بصـــــاريين أحدهما يبلغ ثلاثة وعشرين ذراعا ، وتحمل ثمانية عشر مدفعا بعرباتها ، ومائة قنبلة لكل مدفع زنة الواحدة ثلاث أقات .

(٢١) « وفى شهر رمضان وردت الأخبار بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ونهبوا عدة مراكب وداوات (ضاوات) ، وأرســـل الى المراكب الكائنة بمرساة ينبع بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ويودعوه قلعة الينبع تحت يد وزيره ، وترك معه نحو الخمسمائة من عساكره ، وأخذ المراكب فأودعها من بضائعه وبهاره وأرسلها الى مصر » .

(٢٢) بالقسم الجنوبى من نجد ، بالقرب من حدود الحجاز ، وتقع على بعد ثمانين ميلا من الطائف .

(٢٣) كما طلب توريد السمن من قنا وينبع الى الحجاز ، حيث لا يوجد فى هذا الطرف سمن رغما عن قرب حلول شهر رمضان ، ولا ينبغى شراء الســـمن بالنقد .

(٢٤) أصبح قوام قوات محمد على بالحجاز ٦٢٠٠ جندى ، موزعين على النحو التالى : ٤٠٠ جندى فى الطائف ، ٣٥٠ بين المدينة وينبع ، ٢٠٠ ألبانى فى مكة ، ١٥٠ اعرابيا فى مكة ، ٤٠٠ جندى فى المدينة ، ١٠٠ جندى فى ينبع ، ٢٠٠٠ جندى و ١٠٠٠ جندى ألبانى فى كولاخ ، ٤٠٠ جندى نقط خارجية ، ١٢٠٠ جنوبى الطائف .

(٢٥) تقع الى الشمال الغربى من المدينة المنورة ، وتقدر المسافة بينها وبين الدرعية بحوالى ٢٧٠ ميلا .

(٢٦) أنعم عليه السلطان بالباشوية مكافأة لأبيه على خدماته ، وكان يبلغ من العمر سبعا وعشرين سنة ، وكانت ولادة ابراهيم فى قوله عام (١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م) ، وكان قصير القامة قوى البنية على جانب عظيم من النشاط ، وكان فى وسعه أن يقاوم متاعب اللذات ومتاعب الحرب على السواء ، وكان كثير النشـاط عقلا وجسما ، وكان أشبه بوالده محمد على من حيث الشجاعة المقرونة بأصالة الرأى ، ولكن كانت تنقصه حلاوة حديث أبيه وجاذبية أخلاقه وصدق فراسته ، كما أنه ورث عن أبيه حب النظر فى المسائل بنفسه ، بدلا من وضع ثقته فى أحد .

(٢٧) فيسير Vaissere ضابط فرنسى خدم فى جيش نابليون بونابرت، والتف به حوادث عام (١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م) على ضفاف النيل باحثا عن عمل فى جيش محمد على .

وكانت البعثة الطبية مكونة من طبيب وجراحين وصيدلى هم سكوتو Scoto وجنتيلى Gntili وتود سكينى Tode Schini وسوسيو Socio

(٢٨) كلمة جمرك أصلها كمركية ، وهى كلمة يونانية ، ثم انتقلت الى اللغة اللاتينية ، وحرفت الى اللغة العربية فأصبحت جمرك ، وفى اللغة التركية « كمرك » .

(٢٩) وكان الملتزمون قبل ذلك من المسيحيين أو اليهود ، حيث ان الاعتقاد الذى كان سائدا لدى القائمين على أمور الحكم فى ذلك الوقت ، أن جمع هذه الضرائب ينافى تعاليم الاسلام ، واعتبروه نوعا من الكسب لا يبرره عمل ما يقوم به محصل الضريبة .

(٣٠) نقل الشمعتين المصنوعتين بالآستانة من شمع العسل الأبيض ، وكان يصل وزنهما ١٧٠ أقة ، وكانتا تسلمان لمحافظ المدينة المنورة ، لايقادهما فى روضة النبى صلى الله عليه وسلم ، بموجب وقفية السلطان العثمانى محمود الثانى .



الفصـــل الثـــالث

سياسة مصر على ساحل اليمن

- العوامل التى دعت محمد على الى ضم اليمن
- محمد على والتوسع فى جنوب شبه الجزيرة العربية
- حركة تمرد ضد محمد على
- تقـــوية ينبع
- استيلاء قوات محمد على على اليمن
- القضاء على المتمردين
- حملة ابراهيم باشا يكن على اليمن
- الاستيلاء على العدين
- اليمن تحت ادارة محمد على
- التجارة بين مصر واليمن عبر البحر الاحمر
  = الصـــــادرات
  = الواردات

العوامل التى دعت محمد على الى ضم اليمن :

منذ نزول قوات محمد على أرض شبه الجزيرة العربية فى (١٢٢٦ هـ /١٨١١ م) ، وفكرة دخول اليمن(١) تراوده ، لأسباب اقتصادية مهمة ، وأهمها :

(أ) وجود موانىء يمنية على ساحل البحر الأحمر ذات موقع ممتاز ، تعود بالأموال الوفيرة على اليمن ، ومن الممكن أن تستفيد منها مصر اذا تم دخول اليمن .

(ب) رغبة محمد على فى فتح أسواق جديدة على سواحل البحر الأحمر لتصريف البضائع المصرية .

(ج) تطلع محمد على الى احتكار البن اليمنى .

(د) سيطرة محمد على على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر بعد دخول اليمن .

وقد أصبحت فكرة دخول اليمن رغبة ملحة لدى محمد على ، بعد أن نجحت قواته بقيادة خليل باشا(٢) فى ضم منطقة « أبو عريش »(٣) ، وبعض المناطق والموانىء اليمنية ، التى كان السلفيون قد استولوا عليها فى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م وهى جيزان والحديدة وزبيد(٤) واللحية .

وقد أعاد محمد على هذه المناطق الى سلطة اليمن ، مقابل دفع جزية سنوية يدفعها له المهدى « امام صنعاء »(٥) ، وقدرها مائة الف ريال ، وتستبدل بثلاثة آلاف قنطار من البن ، وترسل اليه سنويا باسم السلطان العثمانى ، وقد قبل الامام ذلك رغم أنفه ، فقد كانت حالة اليمن الداخلية مضطربة ، والامامة فى حالة ضعف شديد لا تمكنها من التصدي لقوات محمد على .

وعلى اية حال ، اكتفى محمد على فى تلك المرحلة ببسط سيطرته ــ كما رأينا ــ على « أبى عريش » ، بعد أن عين عليها حاكما من قبله هو « الشريف على بن حيدر »(٦) ، ويعود عدم افصاح محمد على عن نياته التوسعية فى اليمن الى اعتبارات ، لعل من أهمها :

(أ) تبعيته للسلطان العثمانى ، فهو لايزال تابعاً للدولة ووجوده فى شبه الجزيرة العربية لخوض معارك حربية بأمر من السلطان ، من أجل ذلك سوف نجد أن عملية التوسع فى اليمن ، سوف تؤول الى السيادة العثمانية .

(ب) خوف محمد على من موقف بريطانيا ازاء تحركاته على السواحل اليمنية ، فانها لن تقف مكتوفة الأيدى ، اذا تجاوز محمد على حدودا معينة قد تؤثر على مصالحها فى الشرق .

(جـ) اهتمام محمد على بمشروع ضم السودان ، الذى ــ من وجهة نظره ــ سوف يعود عليه بالكسب الوفير الذى يعينه على تحقيق الامبراطورية التى يحلم بها .

محمد على والتوسع فى جنوب شبه الجزيرة العربية :

بعد الاتفاق مع امام اليمن على دفع جزية سنوية من البن باسم السلطان العثمانى ، تركت قوات محمد على الأراضى والموانىء

الواقعة تحت سيطرتها لامام أليمن ، وقرر محمد على عدم التوسع فى الأراضى اليمنية ، وذلك فى عشرينات القرن التاسع عشر ، الا ان أخبارا وصلت اليه بأن امام اليمن رفض ارسال البن المشروط لمندوبه فى صـــــنعاء ، وذلك لأن قبائل العرب القاطنة فى جوار صنعاء قد عصوا ، وقام رجال قبيلة « يام » بقطع طرق تهامة ، وتحركوا من « زبيد » وهجموا على جهات « لحية » ، وقـــاموا بأعمال مضادة ضد الشريف « على بن حيدر » فى منطقة « أبى عريش » . وهاجمت الموانىء اليمنية ، وانضم اليهم بعض كبار شيوخ قبائل عسير ، فى تذمرهم ضد « على بن حيدر » أمير « أبى عريش » و « محمد بن عون » أمير عسير(٧) ، واستمر الموقف بين الأشراف وقبائل المنطقة ، وأصبح يشكل خطرا على حكم محمد على ، الذى راسله كلا الطرفين يطلب تدخله .

وحينئذ أمر محمد على أحمد باشا يكن « محافظ مكة » بعدم وقوفه مكتوف الأيدى ازاء هذه الأحداث ، والاسراع فى العمل للوقوف الى جانب شريف « أبى عريش » ضد قبائل « يام » ، وطردها من الموانىء اليمنية ، ومنذ هذا الوقت بدأ محمد على يراقب الموقف فى اليمن ، وكلما رأى بادرة خطر تهدد نفوذه ، عمل على معالجتها بالرفق واللين ، تحسبا للظروف ، وتحينا للفرص ، ولكنه ظل يخشى تدخل بريطانيا التى كانت ترصد تحركات قواته فى شبه الجزيرة العربية ، خوفا من امتداد نفوذ محمد على الى سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومدخل البحر الأحمر الجنوبى ، وسواحل الخليج العربى ، لأن ذلك يشـــــكل خطرا على طرق مواصلاتها للهند ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان انشغال محمد على حينئذ فى اكثر من ميدان باسم السلطان العثمانى ، جعله يؤجل مشروعاته التوسعية فى اليمن الى حين .

وكان البن اليمنى حينذاك يحتـل مركزا مهما فى الواردات المصرية ، حيث بلغ مقدار البن الذى تحصل عليه مصر سنويا من اليمن ثلاثة آلاف قنطار ، ينقل بواسطة التجار من اليمن الى جدة ومنها الى مصر ، وكان يخرج من كل ثلاثة زنابيل من البن الوارد من اليمن الى جدة زنبيل واحد يحسب نصفه أجرة مركب ، والنصف الآخر رسم جمرك ، الا أن محمد على قد أمر بعد ذلك باعطاء نول (أجرة السفينة) نقدا ، حيث يكون أهون من اعطائه بنا ، وذلك من « الحديدة » الى « جدة » ، ومن « جدة » الى « السويس ».

وفى سنة (١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م) طلب محمد على من أحمد باشا « محافظ مكة » أن يستدعى « يوسف أغا » المقيم بالحديدة الى مكة ، لعدم الاستفادة من بقائه باليمن ، لأن امام « صنعاء » لا يعطيه منذ ثلاث سنوات شيئا من البن المتفق عليه .

حـركة تمرد ضـد محمد على :

منذ مطلع القرن التاسع عشر ، استحوذت شئون الحجاز على معظم الجهود المصرية فى شبه الجزيرة العربية — كما ذكرنا — مما شغل محمد على عن الاهتمام باليمن ، وعدم القيام بخطوات حاسمة للاستيلاء على اليمن ، وظل مشروع دخول اليمن منطويا حتى عام (١٢٤٨ هـ/١٨٣٢ م) ، حيث حدثت أثناء وجود قوات محمد على فى الحجاز فتنة قام بها أحد الضباط ويدعى محمد أغا(٨) ، انتصارا لزنار أغا (أحد قواد الحجاز) ، ضد خورشيد باشا — والى الحجاز من قبل محمد على — وانضم الى هذا التمرد عدد من السلفيين نكاية فى محمد على .

وكان موقف الأخير متشددا من هذه الفتنة لما تشكله موانىء اليمن والحجاز من أهمية اقتصادية لمصر ، مما جعله يصر على

القضاء عليها ، فكتب الى « حسين أغا » محافظ القصير « بسوق المراكب الراسية بالقصير الى السويس فى أقرب وقت » ، اذ أن رايه قد قر على ارسال احمد باشا ـــ حاكم الحجاز السابق الذى كان قد استدعى من قبل الى القاهرة لتولى منصب ناظر الجهادية ـــ « بقيادة آلايين مشاة وآلاى خيالة من جنود الجهادية والف فارس من فرسان العرب ومعه مهمات حربية وفيرة » .

وكانت أوامر محمد على دائما الى محافظ القصير بألا يتوانى عن ارسال السفن الى السويس ، حتى يكتب اليه محافظ السويس، بأن السفن التى وصلت تكفى للغرض ، كما كتب الى محافظ السويس يأمره بأن يحجز السفن الموجودة بالسويس ، ويضمها الى السفن التى ترد من القصير ، ويعدها للغاية المطلوبة ، وأن يستكمل عدد السفن التى تستوعب العساكر المسافرين .

كما أرسل محمد على الى « حسن اغا » وكيل الحرمين ، بأن يهتم بارسال المراكب الموجودة فى جدة الى السويس ، لشحن الذخائر والمهمات اللازمة للعساكر المتجهة الى اليمن .

ولم يلبث أن تطورت الأمور بسرعة ، اذ استطاع الضابط الثائر أن يضـــع بعض رجاله فى الســـفن المصـــرية الموجودة بجدة ، وأن يستولى على بضعة مدافع منها ، وحينئذ كتب محمد على الى حسن اغا ، يحثه على أن يلجأ الى حيلة تمكنه من «نزع تلك السفن من يد أولئك الخونة » .

وازاء هذه الأمور الاستفزازية من جانب « تركجة بيلمز » ، ارسل محمد على الى رؤساء الجند المتمردين ، يعتب عليهم ذهابهم الى جدة مع العصاة ، ويطلب اليهم أن يعملوا على اكتساب رضاه بطاعتهم للشريف « محمد بن عون » أمير مكة ، الذى انتدب محافظا

لها ، ثم حذرهم من مغبة التمادى فى العصيان مع هذا الثائر ، وجاء فى مرسوم وزع عليهم فى (٢٤ أو ٢٥ صفر ١٢٤٨ هـ/ ٢٣ أو ٢٤ يوليو ١٨٣٢ م) « فان أصـــررتم على زعمكم الباطل فلم تعدلوا عن طريق الفساد الذى أنتم سالكوه فلا ريب أنهم ـــ أى جيش أحمد باشا يكن ـــ سيحملون عليكم حملة تشتت شــــملكم جميعا » .

وقد رأى محمد على أن يســتعمل المكر والدهاء مع الزعيم الثائر خوفا من تضخم ثورته ، فأرسل اليه كتابا يتظاهر فيه بعدم الغضب عليه ، ويستدعيه للحضور الى مصر ، الا أن « تركجة بيلمز » ظن أنه أصبح ندا لمحمد على ، بل أكبر منه مقاما بالنظر الى رضاء السلطان عنه(٩) ، فراح يتصرف فى جدة تصرف الحاكم بأمره ، فقام بنهب متاجرها ووزعها بين جنوده وشيعته ، واستعد للهجوم على مكة .

وحين علم « تركجة بيلمز » باجراءات محمد على ضده ، خشى أن يهاجمه فيقع بين شقى الرحى ، وأقدم على عمل عدوانى ، حيث قام بتخريب جدة ، وأطلق لجنوده العنان فى النهب والســرقة والمصادرة وأكثروا فيها الفساد ، وبهذه التصرفات الحمقاء ازداد غضب محمد على عليه ، وأخذ يتعجل قيام الحملة للقضاء عليه .

تقـــوية ينبـــع :

قبل خروج حملة أحمد باشا يكن الى الحجاز (١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م) ، عمل محمد على على تقوية ينبع ، تحسبا لأية ظروف تحدث فى ظل فتنة « تركجة بيلمز » ، فكتب الى محافظ المدينة يأمره باقامة عبد الله أغا ـــ رئيس المغاربة بالمدينة ـــ وجنوده فى

ينبع وفى هذه الأثناء كانت الأورط المرسلة الى الحجاز على أهبة القيام .

كما صدرت الأوامر بجمع التعيينات التى تكفى الجنود المرسلة الى الحجاز ، حيث عهد محمد على الى اسماعيل أفندى ناظر الشونة الكبرى بصرف تعيينات(١٠) لها تكفى لمدة ثلاثة أشهر ، فأرسلت بعض الغلال(١١) الى السويس وبعضها الى القصير(١٢) هذا عدا بعض الغلال التى لم ترسل (مثل الملح والأرز) لتوافرها آنذاك بالحجاز ، وقد صدرت الأوامر بارسال هذه الغلال الى ينبع رأسا ، ولا ترسل الى جدة لسيطرة « تركجة بيلمز » عليها .

وكان مجموع الجمال التى أرسلت مع الذخائر والمهمات حوالى ٢٧٥٠ جملا ، كما تم صرف ٥٠٠ قرش لشراء حشيش الدواب ، اذ أن العليق المخصص لها لا يكفيها ، وكان عدد السفن التى حمل عليها جنود ومعدات الحملة حوالى ٢٠ مركبا .

استيلاء قوات محمد على على تهامة اليمن :

أسرع محمد على فى ارسال أحمد باشا يكن الى الحجاز ، وذلك بعد أن عينه محافظا لمكة ، على أن يقاتل الذين يخالفونه ويمتنعون من الحضور عنده ، وأن يعيد الأمن والسكون الى بلاد الحجاز ، وذلك فى الوقت الذى وصلت فيه الأخبار الى محمد على بأن « تركجة بيلمز » قد أخذ جنودا ومدافع من جدة ، وزحف على مكة المكرمة لاعمال الفساد فيها .

وعندما أذيع نبأ قرب وصول قوات محمد على ، قويت الروح المعنوية فى صفوف الجند المرابطين فى مكة ، بقدر ما ضعفت روح الثوار وفترت همتهم ، فلما قام « تركجة بيلمز » من جدة بقواته

مجاولا الاستيلاء على مكة ، كانت هناك عوامل كثيرة تعمل على فشل هدفه ، أهمها المعاونة الصادقة التى قدمها « محمد بن عون » شريف مكة — الذى عينه محمد على بدلا من الشريف غالب أثناء وجوده بالحجاز — وما بذله من تقديم كل ما تحتاج اليه القوات التابعة لمحمد على من تســــهيلات ، هذا الى جانب ذيوع أنباء الانتصارات المصرية على الجيوش العثمانية فى سوريا ، وقرب وصول قوات ضارية الى الحجاز .

وعندما وصلت الأنباء بأن « أحمد باشا يكن » فى طريقه على رأس قوة كبيرة الى ينبع ، قام « تركجة بيلمز » بترحيل رجاله بقيادة « زنار أغا » على ست من الســــفن التى استولى عليها ، ووجهها لمهاجمة موانىء اليمن .

أما قوات الحملة ، فقد تقدمت على اثر انسحاب الثوار الى جدة فاحتلتها ، أما « تركجة بيلمز » فتقدم مع عدد من الفرسان برا نحو اليمن وعسكر فى سهل مواجه لـ « قنفدة » ، وتصدت الحامية الموجودة بها له ، فتقدم نحو « الحديدة » وعسكر على بعد ستة أميال منها ، بينما ضرب أسطوله الميناء ، فدخلها فى (ربيع ثانى ١٢٤٨ هـ / سبتمبر ١٨٣٢ م) ، وقام بوضع حامية من ٤٠٠ جندى فى الجزيرة ، ثم تقدم بقواته نحو « زبيد » واستولى عليها فى (٢٦ جماد أول ١٢٤٨ هـ / ٢١ أكتوبر ١٨٣٢ م) ، ثم سقطت « مخا » ، وهكذا سقط اليمن كله فى يديه ، وتمت السلطة الاسمية للباب العالى .

وقد أدرك (بيلمز) حينئذ أن معظم ساحل اليمن قد أصبح تحت قبضة يده ، فكتب الى سلطان « لحج وعدن » يطالبه بتسليم ميناء « عدن » ، فوعده السلطان بالاذعان لأمره ، فأرسل « بيلمز »

قوة لاستلام الميناء فى جمادى الثانية ١٢٤٨ هـ / فبراير ١٨٣٣ م) ، الا أن سلطان « لحج وعدن » قد خدعه ، ولم يسلم قوات « بيلمز » الميناء ، فتركها « بيلمز » مؤقتا ، ثم أصدر أمرا الى قواته بمخا بمنع السفن من التقدم شمالا نحو ميناء « جدة » .

كما قام بالاستيلاء على السفن الآتية من الهند ، التى اعتادت المرور بمخا ، لأخذ ما تحتاج اليه من تموين ، لمواصلة رحلتها عبر البحر الأحمر ، ثم استولى على ما فيها من شحنات ، وأعادها ثانية الى الهند دون مواصلة رحلتها الى موانىء البحر الأحمر ، وكان يقصد من وراء ذلك حرمان « أحمد باشا يكن » من استخدام هذه السفن فى نقل قواته الى اليمن ، ثم حاول أن ينسق جهوده مع الجهات المضادة لحكم محمد على ، فاتصل بثوار عسير بزعامة « على بن مجتل » ، وتم بينهما الاتفاق على القيام بعمل مشترك ضد الوجود المصرى .

ولكن عندما بلغ الأمير « على بن مجتل » نبأ وصول قوات « أحمد يكن » بالجيش المصرى الى « مصوع » لمهاجمة « تركجة بيلمز » ، تخلى « ابن مجتل » عن موقفه خوفا من سوء العاقبة ، وسار لقتاله بدلا من التعاون معه ، واضطر « تركجة بيلمز » تحت شدة هجمات « على بن مجتل » عليه أن يتقهقر الى « مخا » ، وقد كانت قوات « محسن بن فضل » امام اليمن عاجزة عن رد هذا العدوان ، مما جعله مضطرا الى ترك تلك المنطقة نهبا للحوادث بين قوات « تركجة بيلمز » وزعيم الثوار فى عسير « على بن مجتل » ، وقوات محمد على الزاحفة نحو الجنوب للقضاء على المتمردين .

القضاء على المتمردين :

وفى هذه الأثناء عهد محمد على الى « أحمد باشا يكن » بمطاردة « تركجة بيلمز » فى بلاد اليمن ، فتوجه اليه على رأس قوة قوامها خمسة عشر ألف مقاتل سنة (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م) ، الى جانب أسطول بحرى يحمل سبعمائة جندى يحملون المؤن والذخائر ، فضلا عما كلفوا به من مهام عسكرية .

وقد اشترك حاكم عسير مع قوات محمد على ، التى توجهت نحو ساحل اليمن ، وحاصرت « مخا » ، وذلك حتى يحظى بأى كسب فى تهامة على حساب قوات محمد على هناك ، وقد ضرب اسطول « أحمد يكن » ميناء « مخا » من جميع الاتجاهات من ناحية البحر ، فى الوقت الذى كانت فيه قوات « ابن مجتل » تزحف اليها عن طريق البر ، وتمكنت قوات محمد على بقيادة أحمد يكن ومعها قوات حاكم عسير من الاستيلاء عليها فى (٣٠ رجب ١٢٤٩ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٣٣ م) ، كما استولت على ميناء الحديدة .

وحاولت جموع من قوات « تركجة بيلمز » الهرب عن طريق البحر وعلى ظهر قوارب غير مجهزة ، حاولوا بها الوصول الى السفن البريطانية الراسية فى الخليج ، وكانت الرياح شديدة ، فغرق الكثيرون ، وأمكن لبعض السفن البريطانية أن تنقذ مائة وخمسين شخصا منهم ومن بينهم « ترجكة بيلمز » ، ونقل هؤلاء على ظهور السفن التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية الى « بومباى » ، ويتضح من هذا تعاطف بريطانيا مع أعداء محمد على ، حيث كانت غير راضية لتقدم قواته الى جنوبى الجزيرة العربية والخليج العربى ، لأن تمركز تلك القوات فى تلك النقاط الاستراتيجية يشكل خطرا كبيرا على المصالح البريطانية فى هذه الجهات ، وخاصة مواصلاتها مع الهند .

وبذلك استطاعت قوات محمد على تحقيق النصـــر على المخـــالفين المتمردين الموجودين فى الموانىء اليمنية ، وتمكنت من الاستيلاء على سفنهم .

وبعد أن علم محمد على باستيلاء قواته على ميناءى « مخا » و « الحديدة » استدعى آلايا من الآلايات الموجودة بالشام ، واورطة من الأورطات الموجودة بمصر ،وأرسلهم الى هذين الميناءين ، لكى يقوموا بحمايتهما والدفاع عنهما ، كما أمر بتعيين « محمد أفندى » محافظ للحديدة وامينا لجمركها .

وقد طلب « أمين بك » معاون أحمد باشا ــ القائد العام للأقطار الحجازية ــ مائة مدفع وعشرة مدفعجية (جبخانجية) من الترك ، لوضعهم فى قلاع « الحديدة » و « مخا » و « زبيد » و « بيت الفقيه »(١٣) فى سواحل اليمن ، فأرسلت هذه المهمات الحربية بأمر من محمد على للدفاع عن هذه القلاع وتأمينها .

حملة ابراهيم باشا يكن على اليمن :

على الرغم من نجاح قوات محمد على فى القضاء على فتنة « تركجة بيلمز » فى الحجاز واليمن ، فان محمد على رأى أن يجتث جذور المتمردين فى شبه الجزيرة العربية ، فأرسل قوة جديدة الى اليمن ، كانت تضم ثلاثة آلايات من المشاة ، وألفين من الفرسان يقودهم « ابراهيم باشا يكن »(١٤) ، الذى عينه محمد على (سر عسكر) على اليمن ، عندما توجه اليها فى (رمضان ١٢٥٠ هـ / يناير ١٨٣٥ م) وكان يسانده فى تحركه الشريف « محمد بن عون » شريف مكة ، وقد انقسمت حملته الى قسمين :

ــ حملة بحرية : قادها حافظ بك .

— حملة برية : قادها ابراهيم باشا يكن بنفسه .

وقد استطاع الأسطول بقيادة « حافظ بك » أن يستولى على « كمران »(١٥) ثم اللحية ، وبعد ذلك تقدم واستولى على ميناء الحديدة ، وفى تلك الأثناء تمكنت القوات البرية من السيطرة على بيت الفقيه ، التى تعتبر سوقا من أسواق اليمن لتجارة البن ، ثم استولت على « زبيد » ، ووضعت فى كل هذه الأماكن والموانىء حاميات قوية تحت قيادة أحد كبار الضباط الذى عين محافظا للبلدة بينما أخذ ابراهيم يختار موظفين ليعينهم للعمـــــل فى الجمارك والموانىء اليمنية .

وقد غمرت السعادة قلب محمد على ، عندما علم بأن ساحل البحر الأحمر من « السويس » الى « باب المندب » ، أصبح ساحلا مصريا ، ولم يبق من الموانىء المهمة سوى « عدن » .

ولما اطمأن ابراهيم يكن الى أن الساحل اليمنى قد دخل فى حوزة محمد على ، تهيأ للقيام بحملته داخل اليمن ، فاستمال عددا كبيرا من ثوار اليمن ، على رأسهم « السيد قاسم » — عم على بن المهدى امام صنعاء — الذى كان طامعا فى الامامة ، وبدأ ثورته فى « تعز »(١٦) ، وحاول جمع الناس حوله وأخذ البيعة لنفسه ، ولكن ابراهيم يكن بذل الأموال بسخاء لقبائل اليمن ، مما جعله يكسب تعاطف (السيد قاسم) ، ويستولى على اقليم « تعز » فى (أوائل جمادى الأولى ١٢٥٣ هـ / أغسطس ١٨٣٧ م) ، بعد ست معارك حسمت الموقف لصالح قوات محمد على .

الاســـــتيلاء على العدين :

كان ابراهيم يكن يعتبر « تعز » مفتاح صـــــنعاء ، وكان يتطلع الى الاستيلاء عليها ، وقد أكد لمحمد على أن زيادة محصول البن لا تتم الا بالاستيلاء على (صنعاء) ، وكان ابراهيم يهدف من وراء هذا الاغراء أن يرســـل محمد على الامدادات اللازمة لفتح صنعاء ، فلما تأخر عليه المدد ، رأى عدم اضاعة الوقت ، فأمر البكباشى (محمد صادق) أن يستولى على جبل (رأس) الذى يعتبر باب اقليم العدين ، فسار (محمد صـــــادق) على رأس خمسمائة جندى من قوات محمد على الموجودة بالحجاز ، ومائة من الجند العــرب ، وتم الاســـــتيلاء عليه فى (١٨ جمادى الأولى ١٢٥٣ هـ / ٢٠ أغسطس ١٨٣٧ م) .

وتوافد مشـــــايخ القرى والأهالى فى ذلك الاقليم يطلبون الانضواء تحت لواء حكم محمد على ، وفى (٣٢ جمـــادى الأولى ١٢٥٣ هـ / ٢٥ أغسطس ١٨٣٧ م) استولت قوات (محمد صادق) على بلدة (عدين) ، الا أن توزيع قوات الحملة بين أقاليم اليمن الداخلية وموانيها الساحلية ، لم يسمح لقوات (محمد صادق) التى دخلت عدين ان تفتح ما بين « زبيد » و « أب » فى جنوب الشطر الشمالى من اليمن بالاتجاه نحو الساحل لاحتلال ميناء عدن.

اليمن تحت ادارة محمد على :

لقد بدأت ادارة محمد على فى اليمن منذ عام (١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م) ، واستمرت حتى عام ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م) ، وشملت معظم مناطق تهامة اليمن .

وقد أقام محمد على ادارة منظمة فى اليمن ، أتاحت استقرارا نسبيا للبلاد لم تنعم به من قبل ، كما أنهم ـــ أى المصـــــريين ـــ

اكتسبوا أصدقاء كثيرين من اليمنيين ، ظلوا على وفائهم للمصريين حتى بعد جلائهم عن اليمن ، ولا أدل على ذلك من مطالبة أهل (الحديدة) بالانضمام الى الحكومة المصرية بعد زوال الحكم العثمانى عن اليمن فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وقد وردت الى محمد على من منطقة (حضرموت) وغيرها رسائل تفيد مطالبة أهل هذه البلاد بالانضمام لادارة محمد على ، التى أقامها ابراهيم باشا يكن فى اليمن ، ومن ضمنها رسالة طالب أصحابها من محمد على ارسال موظفين وجنود لتنظيم أحوال (حضرموت) واعادة الأمن اليها ، وقد حاول امام صنعاء أن يقوى العلاقة بينه وبين محمد على ، فأوفد رسولا من قبله الى حاكم الحجاز (أحمد باشا يكن) ، ليسهل له السفر الى مصر لمقابلة محمد على والتفاهم معه .

وقد اهتم محمد على بالمحافظة على الأمن فى اليمن ، فأرسل الآلاى الثالث) من المشاة ، للمشاركة مع القوات التابعة له الموجودة فى هذه النواحى ، وعندما استدعت الحالة هناك اضافة بعض العساكر على الآلاى السابق ، أرسل قائدين من الأتراك (عثمان أغا) و (حسين أغا الكريدى) بمن معهما من العساكر الى هناك .

وقد استمرت حالة الهدوء النسبى فى اليمن فى ظل الادارة المصرية فى الفترة الممتدة بين عامى (١٢٥٢ و ١٢٥٦ هـ / ١٨٣٦ و ١٨٤٠ م) ، ولم يتخللها سوى محاولة قبائل (يام) اليمنية فرض سيطرتها على المنطقة ونهبها ، وقد وجه اليهم ابراهيم باشا يكن قوة مصرية يقودها شاب يمنى هو (الحسين ابن على بن حيدر) ، الذى كان والده حاكما لـ (المخلاف السليمانى) فى شمال اليمن .

وقد تمكن الحسين من التغلب عليهم ، فكافأه محمد على بتعيينه حاكما على مدينة (أبى عريش) خليفة لوالده ، غير انه سرعان ما توترت العلاقات بينه وبين محمد على ، وانضم الى عائض (حاكم عسير) الذىكان يطمع فى السيطرة على تهامة ، ولكن قبل أن تلتقى القوات اليمنية المتحالفة مع القوات المصرية ، كانت أوامر محمد على قد وصلت الى ابراهيم باشا بتسليم ما تحت يده من البلاد اليمنية الى (الحسين بن على بن حيدر) ، ليتولى الحكم فيها باسم الدولة العثمانية فى عام (١٢٥٦ هـ/١٨٤٠ م) .

وقد كانت جنود مصر النظامية فى اليمن تتمثل فى الآلاى الثالث من المشاة المصريين وعدده ١٥٢٦ جنديا ، والآلاى العشرين من المشاة أيضا وعدده ٢٦٧٧ جنديا ، ثم الآلاى السابع والعشرين من المشاة كذلك وعدده ٢١٢٩ جنديا ، والذى كان يعسكر فى ميناء (الحديدة) مركز الادارة المصرية هناك .

أما القوات غير النظامية فى جيش محمد على فى اليمن فهى تتمثل فى :

الفرسان الأتراك	٥ ضباط	١٩٧٠ جنديا
المشاة الأتراك	٩ ضباط	٧٦٠ جنديا
المدفعجية	—	٢٠٠ جندى
المجموع	١٤ ضابطا	٢٩٣٠ جنديا

ولعل فى هذا الاحصاء ما يؤكد حرص محمد على والى مصر على استمرار المناطق اليمنية تحت ادارته .

التجارة بين مصر واليمن عبر البحر الأحمر :

اولا : الصـــــادرات :

وصادرات مصر الى اليمن تمثل نفس صادرات مصــــر الى الحجاز .

ويتضح من الجدول التالى بعض أنواع الغلال والمهمات التى كانت مصر تقوم بارسالها الى اليمن والحجاز :

السلعة	العدد	النوع
ســـمن	٥٣٨٦	قنطار
عدس	٦٩٨٧	أردب
فـــــول	٣٨٧٧	أردب
بقســـــماط	١٠٦٣٣٥	قنطار
زيت القناديل	٣٠٥٢	قنطار
صــــابون	١٠١٥	قنطار
شـــــعير	٨٢٨٥	أردب

هذا فضلا عن الكثير من أنواع الغلال التى كانت ترسل الى الحجاز ، ومنها الى اليمن ، والتى عرضنا لها فى الفصل السابق .

ثانيا : الـــــواردات :

كانت الناحية الاقتصادية هى الأساس الذى بنى عليه محمد على آماله فى الاستيلاء على اليمن ، هذا الى جانب التحكم فى طريق البحر الأحمر بعد السيطرة على مدخله الجنوبى ، وكانت تجارة البن من الأسباب المهمة التى دعت محمد على الى ارسال حملته عام (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م) حيث استولت قواته على (مخا) قاعدة تجارة البن ، ثم شرعت السلطات الحاكمة التابعة لمحمد على فى تطبيق سياسة الاحتكار بالنسبة لمحصول البن ، كما تحدد سعر البن بواسطتها أيضا ، وأصبح يصدر معظم المحصول الى مصر التى كان عليها أن تدفع ما يطلب منها للباب العالى .

وقد كان محمد على مهتما بتلك التجارة حتى قبل أن تصـــــل قواته الى اليمن ، حيث جعل (جدة) مركزا لاستيراد البن من اليمن منذ عام (١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م) وطلب من مأمور التجارة المقيم فى (جدة) أن يهتم بشراء أكبر كمية من البن اليمنى ســـــنويا وارسالها الى مصر .

وقد بلغ اهتمام محمد على باستيراد البن اليمنى وحرصه على وصوله ، أن قام بانشاء ديوان خاص بتجارة البن جعل مركزه فى (مخا) ، وأطلق عليه اسم (ديوان مصلحة البن) ، وعين له رئيسا وأربعة معاونين من الموظفين (القواصين) يوزعهم ناظر المصلحة على أقاليم اليمن المختلفة لجمع محصول البن ودفع ثمنه الذى حدده محمد على ، وأصبحت مراكب البن تتقاطر من اليمن الى السويس ، وبخاصة بعد أن تم فتح اقليم (تعز) كله .

ومن أهم الواردات الآتية من اليمن الى مصر الجلود التى كانت متوافرة فى قنفدة ، حيث كان يقوم محافظ جدة بارسال النقود اللازمة للحصول عليها سنويا .

هوامش الفصل الثالث

(١) تقع في جنوب الجزيرة العربية ، ويحدها شمالا الحجاز ونجد ، وجنوبا البحر العربى ، وشرقا الخليج العربى ، وغربا البحر الأحمر .

(٢) احد قادة حملة محمد علي في شبه الجزيرة العربية .

(٣) تقع على مسافة ٢٥ كيلومترا من ميناء جيزان شمال اليمن ، وترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٥٠ قدما ، وأمطارها غزيرة ، وتكثر بها المزارع ، وكان الشريف (حمود) يستحوذ على المنطقة الساحلية « أبو عريش » ، حيث كانت عسير وتهامة تقع تحت حكمه .

(٤) تقع (جيزان) في جنوب الحجاز ، وسميت أيضا (جازان) ، وأطلق عليها أيضا اسم المخلاف السليماني نسبة الى سليمان بن طرف الحكمى ، الذى وحد تلك المنطقة تحت امرته عام (٢٧٢ هـ/٩٨٣ م) .

وتقع (الحديدة) غرب اليمن على ساحل البحر الأحمر ، ومعظمها منطقة سهلية ، أما (زبيد) فتقع جنوب الحديدة وتشتهر بالعلم والعلماء ، وبصناعة الأقمشة وبصناعة الحلى الفضية والذهبية وهى مدورة الشكل ، تقع على بعد ٢٥ كيلومترا من ساحل البحر الأحمر ، كما تقع بين واديين « وادى المبارك » في الجنوب ، و «وادى رمع » في الشمال ، وهى كثيرة المياه والفاكهة ، وعظيمة البساتين ، ونخلها وتمرها من كل لون ، وتتميز بوقوعها بين عدن ومكة ، ووجود عدد من الأبنية الأثرية .

(٥) « صنعاء » يحدها من الشمال (صعدة) ، ومن الغرب (الحديدة) و (حجة) ، ومن الشرق (مأرب) و (الربع الخالى) ، ومن الجنوب (اب) و (البيضاء) .

(٦) الذى لجأ الى الحجاز سنة ((١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م)) ، وأقام بها

خشى صحب حملة خليل باشا ، فعينه محمد على بعد أنتهاء العمليات الحربية أميرا على « أبى عريش » .

(٧) يطلق اسم « عسير » على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة الى جنوب الحجاز وشمال اليمن ، وقد كان هذا القسم فى العهد العثمانى غير محدد تحديدا واضحا ، فمع أن العثمانيين قد كونوا متصرفية عسير وجعلوها تابعة لولاية اليمن فى تنظيماتها الادارية فى الجزيرة العربية ، فقد كان أشراف الحجاز يدعون تبعية بعض المناطق العسيرية المجاورة للحجاز ، كما كان أمراء نجد ايضا يدعون ملكية بعض المناطق من الجهة الشرقية .

(٨) وهو المعروف بتركجة بيلمز (أى لا يجيد التركية) وهو أحد مماليك « مصطفى بك » صهر محمد على وأحد قادة قوات الفرسان الخيالة الألبان بالحجاز ، وقد كان سلوكه فى الحجاز غير مرض حتى أن « أحمد باشا » شكاه لمحمد على الذى أمر بنقله الى مصر ، ولكن « أحمد باشا » عاد وطلب العفو عنه تقديرا لبلائه الحسن فى حروب عسير ، ولكن منذ بدأ « محمد على » يرسل جنوده الى بلاد الشام ، أخذت عنايته ببلاد الحجاز تقل وتأخرت المرتبات ، الى جانب وصول بعض الكتائب من الجيش المنظم الجديد ، ولاحظ الجند الأتراك مبلغ عناية محمد على بهذا العنصر الجديد ، فامتلأت نفوسهم بالحقد والغيظ ، ووجد تركجة بيلمز بذلك سببا لاثارتهم .

(٩) حيث ان السلطان كان فى ذلك الوقت فى نزاع مع محمد على الذى بدأ نجمه يعلو وقوته تزيد ويعمل للاستقلال عن الدولة العثمانية ، من أجل ذلك أرسل السلطان العثمانى فرمانا الى « تركجة بيلمز » يعينه فيه واليا من قبله على الحجاز ، فقد ظن السلطان أن هذا الثائر قد أمسك بزمام الأمور فى جدة ، وأنه متجه صوب مكة تمهيدا لاعادة الحكم العثمانى المباشر لشبه الجزيرة العربية ، وعملت الدولة العثمانية على بث الثقة لدى ذلك الثائر ، فسربت اليه خبرا يفيد بأن قوات محمد على قد لقيت هزيمة قاسية فى سوريا ، وأن محمد على فى طريقه الى الزوال ، كما وعدته الدولة العثمانية بتقديم كافة المساعدات حتى يمكنه مقاومة محمد على .

(١٠) الجدول رقم (٧) بملاحق الدراسة ، يوضح كميات الغلال المرسلة الى الحجاز لحملة اليمن .

(١١) مثل السمن والدقيق والصابون .

(١٢) مثل الفول والعدس والبقسماط ، وتتوافر بالاقاليم الصعيدية .

(١٣) سميت ببيت الفقيه نسبة الى أحد الفقهاء اليمن « سيد بن أحمد موسى) الذى توفى ودفن بها واتخذ قبره مزارا للمريدين ، ويحدها شمالا الحديدة ، وجنوبا زبيد ، وشرقا (ريمة) ، وغربا البحر الأحمر .

(١٤) ابراهيم يكن هو ابراهيم باشا توفيق يكن شقيق أحمد باشا يكن محافظ مكة ، وحاكم الحجاز ، وابن أخت محمد على ، ولد بالقاهرة عام (١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م) . واشترك فى حروب الشام ، وعمل ضابطا للاتصال بين ابراهيم باشا « سر عسكر الشام » وكبار الضباط بالشام ، كما اشترك فى حصار « عكا » وأبلى بلاء حسنا فاكتسب ثقة خاله فاختاره لتلك الحملة .

(١٥) « كمران » جزيرة بالبحر الأحمر تجاه « زبيد » باليمن ، وهى حصن لمن ملك تهامة اليمن ، كما أنها محطة بحرية مهمة بين عدن وجدة .

(١٦) مدينة حصينة تقع على ارتفاع أربعة آلاف قدم تقريبا فوق سطح البحر، بها سور سمكه يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ قدما ، وتكتنفه أبراج يتراوح ارتفاعها بين ست وثمانى أقدام ، وتعتبر المركز الرئيسى لتصريف بضائع (التصدير والاستيراد) بين جنوب اليمن وعدن حيث تتوسط بين (المخا) و (عدن) وتبلغ مساحة (تعز) حوالى ٨١٠٠ ميل مربع .



الفصـــــل الرابع

سياسة مصر على الساحل الغربى للبحر الأحمر

- البحر الأحمر تحت السيادة العثمانية
- اسناد ولاية الحبشى الى مصر
- حملة محمد على على الســـــودان (١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م) واهميتها
  = عوامل ضم السودان
  = الحملة على السودان
- نشاط مصر التجارى فى البحر الأحمر عقب ضم السودان
- محاولة محمد على ضم الحبشة
- ضم اقليم التاكا وظهور مشكلة سواكن ومصوع
- جمركا سواكن ومصوع تحت ادارة محمد على
- النشاط المصرى التجارى على الســـاحل الغربى للبحر الأحمر عقب ضم ميناءى سواكن ومصوع
  = الصـــــادرات
  = الـــــواردات
  = الجمـــــارك

البحر الأحمر تحت السيادة العثمانية :

فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى تمكن السلطان سليم الأول (٩١٨ — ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ — ١٥٢٠ م) من فتح الشام ومصر وضم الحجاز الى الامبراطورية العثمانية ، وفى عهد سليمان الأول (القانونى) (٩٢٦ — ٩٧٤ هـ / ١٥٢٠ — ١٥٦٦ م) تمكن من فتح بغداد واليمن وضم البصرة ، وأثناء مواجهة العثمانيين للبرتغاليين استولى العثمانيون على عدن وبعض الموانىء الافريقية وذلك تأمينا لأملاك الدولة العثمانية المطلة على البحر الأحمر .

واستطاع العثمانيون أن يطردوا البرتغاليين خارج البحر الأحمر عام (٩٦٥ هـ/١٥٥٨ م) ، وبذلك سيطروا على مياه البحر الأحمر باسم السلطان الذى تتمثل فيه شخصية زعيم المسلمين .

ولعل سيطرة الدولة العثمانية على الموانىء الافريقية كان تحسبا ضد خطر قيام تحالف فعلى بين الحبشة والبرتغال ، وقطع سبل الاتصال بين الحبشة والهند البرتغالية ، وقد أطلق العثمانيون على هذا الجزء من أملاكهم — الممتد من سواكن الى مصوع — اسم (ولاية الحبش) ، ووضعت تحت اشراف والى جدة أو باشا الحجاز ، مع الاستعانة بأحد الزعماء الوطنيين وهو نائب (حرقيقو) للمعاونة فى أعمال الحكومة بمصوع ، وآخر مثله بسواكن ، للمعاونة

فى عملية جباية الضرائب ، وكان حاكم مصوع يتمتع بسلطة مطلقة فى جزيرة مصوع عدا الاقليم الساحلى ، حيث كان نائب (حرقيقو) يتولى أمر القبائل وفرض الضرائب على القوافل الداخلة الى الحبشة ، ومن ثم فلم يكن للعثمانيين على ساحل البحر الأحمر الافريقى — باستثناء جزيرتى سواكن ومصوع — سوى نفوذ ضئيل ، أو لم يكن لهم نفوذ على الاطلاق .

اسناد ولاية الحبش الى مصر :

بعد قيام محمد على — بناء على طلب الدولة العثمانية — بتوجيه حملته الى بلاد الحجاز عبر البحر الأحمر ، للقضاء على السلفيين بقيادة ابنه أحمد طوسون باشا ، أصدر السلطان العثمانى محمود الثانى (١٢٢٣ — ١٢٥٥ هـ/١٨٠٨ — ١٨٣٩ م) فرمانا الى أحمد طوسون باشا بتوجيه « أيالة الحبش وقائمقامية جدة ومشيخة الحرم المكى لعهدته مكافأة له على صدقه واستقامته وبذل ما فى وسعه فى مأموريته ، وبالتأكيد عليه بتنظيم الأقطار الحجازية والآلايات الموجهة اليه وحماية أهلها من كل طارىء »

وفى (شوال ١٢٣٥ هـ / يوليو ١٨٢٠ م) أسندت ولاية جدة الى ابراهيم باشا بن محمد على — مكافأة له على جهوده العسكرية ومواصلة القتال ضد السلفيين ، حتى تمكن من اسقاط مركزهم فى الدرعية عام (١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م) — ولما كانت هذه الولاية تشمل كذلك اقليمى سواكن ومصوع ، مع ما يتبع قضاءهما من أصقاع ممتدة على طول ساحل البحر الأحمر الافريقى ومن هذه الأصقاع الحبشة ، فقد أصبح ابراهيم باشا يلقب من ذلك الحين بمتصرف جدة والحبش .

وقد سعد ابراهيم باشا بهذا المنصب ، وخاصة بعد أن ضمت اليه شياخة الحرم المكى ، ومحافظة المدينة المنورة ، لما لهما من مكانة سامية فى قلوب المسلمين ، فقدم الشكر الى السلطان العثمانى على ذلك ، وبتعيين ابراهيم باشا على باشوية جدة وملحقاتها ، أصبح لولاية مصر العثمانية نوع من السيادة على جهات السودان الشرقى المتاخمة لساحل البحر الأحمر ، ومن ثم أرسلت الى مصوع حاكما جديدا هو (عابدين بك) على رأس قوة من ستمائة جندى .

ولكن هذه السيادة كانت غير مباشرة ، فضلا عن أنها كانت سيادة اسمية ، وسبب ذلك أن العثمانيين فى تلك الآونة لم يكن لهم أى نفوذ فى هذه المناطق ، ولم يستطيعوا استمالة الحكام الوطنيين فى سواكن ومصوع الى الاعتراف بسيادتهم ، الا بفضل ما كانوا يدفعونه من رواتب لهم ، وظل نفوذ الحكم العثمانى فى جزيرة مصوع ولا يتعداها .

ولكن محمد على أراد أن يجعل من هذه السيادة الاسمية حقيقة واقعة ، فأخذ يفكر جديا فى فتح الحبشة ، منذ تقلد ابنه ابراهيم ولاية جدة .

حملة محمد على على السودان (١٢٣٦ هـ/١٨٢٠ م) وأهميتها :

عوامل ضم السودان :

بعد ضم الحجاز الى ولاية مصر العثمانية ، واسناد ولاية الحبش الى ابراهيم باشا ، داعبت محمد على الآمال فى ضم السودان ، الذى كان يعتقد بأن لا حياة لمصر بغير السودان ، ومن أهم الأسباب التى حملته على الاسراع فى ذلك :

أولا : رغبة محمد على فى جعل البحر الأحمر بحيرة مصرية لا يشاركه فيها أحد ، وبذلك يملك الطريق الى الشرق ، ويسيطر على التجارة الدولية بين الشرق والغرب ، خاصة بعد ان لمس النفوذ المتزايد لشركة الهند الشرقية البريطانية على الساحل الغربى للبحر الأحمر .

ثانيا : الحرص على سلامة مصر وتأليف وحدتها السياسية ، وذلك بالاستيلاء على مجرى النيل .

ثالثا : حفر مناجم الذهب ، ليقرن ثروة مصر الزراعية بثروة معادن السودان .

رابعا : تجنيد السودانيين لأنهم أهل بأس وشدة ، وقد اشتهروا بالحروب ، ومحمد على فى ملكه الجديد بحاجة الى الجيوش .

خامسا : استئصال شأفة المماليك الذين لجأوا الى دنقلة ، وسنار ، مخافة أن يؤلفوا جيشا سودانيا يغزون به مصر ، ففعل ما فعل نابليون قبله بارسال ديسكس للقضاء على بقية المماليك فى السودان ، بعد أن قهرهم فى مصر .

سادسا : تمهيد طريق التجارة بين مصر والسودان ، لأن التجار المصريين كانوا يلقون مشقات عظيمة فى معاملة السودانيين، بل كانوا عرضة للأخطار الشديدة .

سابعا : ومع أن من المقطوع به أن الحصول على الرقيق كان كذلك من أهم الأسباب ، فان محمد على كان يريد فى واقع الأمر أن يدخل شيئا من النظام على تجارة كان من المستحيل عليه أن يقتلع جذورها بعد أن تأصلت فى البلاد منذ أزمان سحيقة .

ثامنا : اتمام تأليف المملكة المصرية بضم سوريا وبلاد العرب اليها بعد ضم السودان .

تاسعا : التمهيد لضم الحبشة الى ممتلكاته بحجة أنه يخشى معونة أمرائها للمماليك الذين نزحوا الى السودان بعد مذبحة القلعة .

من أجل ذلك كله ، سعى محمد على لضم السودان ، على الرغم من وجود عدة عوامل تدعوه للتردد قبل أن يورط نفسه فى عمليات حربية فى السودان ، نذكر منها ما يهمنا فى دراستنا هذه :

أولا : أن محمد على كان يعمل حسابا لمعارضة بريطانيا لمشروعاته فى السودان ، فبريطانيا منذ حملة نابليون بونابرت بدأت تدرك أكثر من ذى قبل أهمية البحر الأحمر بالنسبة لها ، وبدأت ترسم سياستها على هذا الأساس ، ومن ذلك فعلا انها بدأت تحاول الحصول على امتيازات لها فى موانىء البحر الأحمر والموانىء المؤدية اليه ، كما أخذت ترسل البعثات لامبراطور الحبشة لعقد تحالف معه .

ثانيا : كانت بريطانيا تنظر الى محمد على على أنه حليف للفرنسيين أعداء بريطانيا فى ذلك الوقت ، وان كانت القوة الفرنسية التى كان على رأسها بونابرت قد هزمت فى عام (١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م) ، وكان بونابرت نفسه معتقلا فى منفاه فى جزيرة (سانت هيلانة) ، لكن لا شك فى ان الخوف من امتداد النفوذ الفرنسى للشرق الأدنى ، كان من أسس السياسة البريطانية فى ذلك الوقت ، وكان محمد على يدرك ذلك .

وعلى الرغم من ذلك ، كان الاهتمام بشئون البحر الأحمر وسواحله ، والأمل فى اعادة النشاط التجارى فى البحر الأحمر

الى سابق عهده ، من العوامل التى رجحت كفة دخول السودان ، وضمها الى ولاية مصر العثمانية .

الحمـــلة على الســـودان :

بدأ محمد على فى اعداد الحملة فى (رمضان ١٢٣٥ هـ / يونيو ١٨٢٠ م) ، فجمع ثلاثة آلاف من المشاة ، والفين وخمسمائة من الفرسان ، ومدفعية مركبة من اثنى عشر مدفعا ، وعين على راس الحملة اسماعيل (ثالث أنجاله) .

ولما كانت قبائل السودان من المسلمين السنيين — لا شيعة ولا سلفيين — اصطحب محمد على مع الحملة عددا من العلماء ، ليبرروا أغراض الحملة فى نظر المسلمين ، ونجح اسماعيل فى هذه الحملة ، حيث سار بمحاذاة النيل ، ووصــلت الحملة الى (دنقلة) ، فذعر المماليك وفروا الى أقاصى السودان ، ثم استولت الحملة على (كورتى) و (شندى) و (بربر) ، وبعد ذلك سارت الحملة الى (سنار) ، فخضعت بدون مقاومة كبيرة ، وكان لملك (سنار) السيادة على جميع بلاد السودان الشرقى .

وفى (صفر ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م) حضر ابراهيم باشا على راس حملة كحملة أخيه اسماعيل ، وحضر أيضا محمد بك الدفتردار (صهر محمد على) على رأس حملة لفتح (كردفان) ، فســار ابراهيم فى النيل الأبيض الى تلال (دنكا) عند مصب نهر السوباط ، أما اسماعيل فسار شرقا فى النيل الأزرق الى حدود الحبشـة لينقب عن مناجم الذهب ، فلم ينجح الا قليلا ، وأخيرا عاد الى (سنار) ، وكان ابراهيم قد مرض ورجع بعد أن وصلت جنوده الى (دنكا) ، ثم كتب اسماعيل يطلب الرجوع الى مصر بعد أن

بقى سنتين فى السودان ، ولكنه قبل أن يصل اليه أمر الرجوع أحرقه الملك (نمر) صاحب (شندى) ، وكان اسماعيل قد أهانه ، ولكن محمد بك الدفتردار انتصر لموته ، بحرق المدينة وقتل الفين فدية لاسـماعيل، ثم أسس مدينة الخرطوم عام (١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م) ، وجعلها عاصمة للسودان . .

وبذلك أصبح البحر الأحمر بحيرة مصرية ، وضمن محمد على لمصر مراقبة موارد ماء النيل وفتح مجالا واسعا للمصريين للاتجار والاستثمار .

نشاط مصر التجارى فى البحر الأحمر عقب ضم السودان :

لم يكن النقل البحرى بين السودان ومصر عبر البحر الأحمر حديث عهد ، فقد كان بعض التجار المصريين يمتلكون عددا من السفن ، تقدر بحوالى سبع وثلاثين سفينة ، تقوم برحـلات تجارية بين مصر والسودان عبر البحر الأحمر ، ولكن لعدم توافر الدقة فى صناعة هذه السفن ، كانت كثيرا ما تتعرض للغرق ، وتلف البضاعة التى تحملها .

وعقب ضم السودان مباشرة ، أولى محمد على وسائل النقل والمواصلات التى تربط مصر بالسودان اهتماما كبيرا ، ومن بينها الطريق البحرى ، فأنشأ خطا ملاحيا مباشرا على البحر الأحمر ، يربط بين سواكن والسويس ، واستخدم فى نقل سـلع السودان التى تتوافر فى المناطق القريبة من ساحل البحر الأحمر ، ويصعب نقلها بالطرق الصحراوية أو بطريق النيل ، وأهمها الماشية : وكان طريق سواكن يعد أحد طرق التجارة بين مصر والسودان ، حيث كان يبدأ من (سـنار) أو (شـندى) أو (بربر) إلى (سواكن) عبر البحر الأحمر ، ومنها الى مصر .

وقد عزف التجار عن استخدام هذا الطريق بسبب تحصيل الجمارك العالية على البضائع الصادرة والواردة من والى سواكن، والبالغة ثمانية بالمائة (٨٪) ، بالاضـــافة الى ارتفاع نفقات وابورات النقل بين سواكن والسويس ، وعلى الرغم من ذلك كان لاهتمام محمد على بالطريق البرى من السويس الى القاهرة ، الى جانب اهتمام بريطانيا بنفس الطريق ، أكبر الأثر على نشاط حركة التجارة فى البحر الأحمر .

محــاولة محمد على ضــم الحبشـــة :

وفى نفس الوقت ، كانت الحبشة تنظر بعين القلق الى تقدم نفوذ محمد على نحو الجنوب ، ولم تنظر الحبشة بعين الارتياح الى توحيد أجزاء السودان فى ظل الوحدة الجديدة ، ولا لما يقوم به محمد على من تأمين حدوده ، وتعزيز قواته تدعيما لحركة الاصلاح والعمران فى السودان ، وتمكينا له من ادارة شئونها على أسس ادارية صحيحة ، ولهذا يمكننا القول بأن العلاقات بين محمد على والحبشة قد اتسمت بالقلق وعدم الود بين الطرفين وذلك يرجع الى أسباب مهمة :

أولا : ادعاء الحبشة ملكية بعض مناطق الحدود التى فى حوزة محمد على ، وخوفها من وجود دولة فتية على حدودها ، تهدد استقلالها وكيانها السياسى ، أدى الى توتر العلاقات بينها وبين محمد على ، خاصة بعد قيام القبائل الحبشية بارتكاب أعمال السلب والنهب فى الحدود المشتركة بينها وبين السودان ، وذلك بتشجيع من السلطات الحبشـــية ، لخلق المتاعب لمحمد على ، وزعزعة الثقة بمركزه الحربى فى تلك المنطقة .

ثانيا : تشجيع كلا الطرفين (محمد على والحبشة) للفارين من كلا الجانبين ، وبسط حمايته عليهم ، وامدادهم بكل ما يحتاجون اليه من مؤن وسلاح ، ولم يكن هذا الاجراء ــ بطبيعة الحال ــ مما يشجع على استتباب الأمن أو اقرار الأوضاع فى تلك المنطقة .

ثالثا : خوف الحبشة من أطماع محمد على ، ولاسيما بعد أن اشاعت الجرائد الأوربية بعزمه على ضم الحبشة الى ممتلكاته ووقوف الحكومة البريطانية فى وجهه .

وبالفعل بعد سيطرة محمد على على السودان ، سعى الى بسط نفوذه فى ظل التبعية العثمانية على الحبشة وسواحل البحر الاحمر الغربية .

ولكن محاولة ضم الحبشة سرعان ما أثارت مخاوف البريطانيين وقلقهم اذ كانوا يطمحون الى انشاء علاقات تجارية ودية مع الأحباش منذ فترة طويلة ، ولذلك بذلت بريطانيا غاية جهدها عن طريق قنصلها فى مصر (سولت Salt) ، حتى يكف محمد على عن فكرة تسيير حملة الى الحبشة « ذلك البلد المسيحى الذى مازال وحده ــ كما قالوا ــ متمسكا بالمسيحية » ، والذى لا يمكن أن تسلم أوربا عامة ، وبريطانيا خاصة بغزوه ، فعدل محمد على عن مهاجمة الحبشة ، ولكنه استعاض عن ذلك بمحاولة فرض سلطانه على ساحل البحر الأحمر ، فأرسل فى عام (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٦ م) قوة استطاعت أن تحتل مصوع .

وكان واضحا أن الغرض من ذلك انما هو بسط نفوذ محمد على ــ فى ظل التبعية العثمانية ــ على الحبشة ، وجميع الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، ولكن الدولة العثمانية فى ذلك الوقت

رفضت السماح لمحمد على بتوطيد نفوذه على ساحل البحر الأحمر الغربى ، الذى يواجه الأماكن المقدسة فى الحجاز ، وذلك حتى لا يتعرض نفوذها للخطر ، فاضطر محمد على الى اخلاء مصوع ، مكتفيا بسيطرته عليها تحت السيادة الاسمية للدولة العثمانية ، كما سعى فى هذه الفترة الى الصلح مع جيرانه الأحباش ، وذلك حتى يستتب الأمن ، ومن ثم تنشط الحركة التجارية ، فأرسل الى ملك الحبشة يعرض عليه ذلك ، فجاء رد ملك الحبشة مشجعا ، حيث اتضح أنه أيضا يرغب فى هذا التعامل التجارى ، وأرسل رسله الى السودان ، فقوبلوا بترحاب شديد ، ثم عادوا محملين بالهدايا ، وكان من نتيجة هذه الاتصالات أن نشـــطت الحركة التجارية آنذاك ، فقامت الادارة المصرية فى السودان بفتح طريق تجارى عبر فازغولى .

وفى هذه الأثناء عاود محمد على محاولاته حتى تأذن له الدولة العثمانية فى احتلال سواكن ومصوع ، وقلقت بريطانيا بســبب هذه المحاولات ، فأرسلت تعليماتها الى قنصلها فى مصر الكولونيل (كامبل) Campbell فى (١٢٥٤ هـ / ١٨٣٧ م) حتى ينتهز أول فرصة سانحة فيتناول هذا الموضوع مع محمد على ، ويشعره بأن بريطانيا لا تنظر بعين الرضا الى تحرك قوات محمد على لاحتلال ساحل البحر الأحمر الافريقى وأن مثل هذا العمل من شأنه اثارة المناقشات بينه وبين الحكومة البريطانية .

ضم اقليم التاكا وظهور مشكلة سواكن ومصوع :

عقب ضم محمد على للسودان ، بدأ محمد على فى تعيين الولاة على الاقاليم المختلفة ، ومن ولاة السودان الذين برزوا فى عهده (خورشــــيد باشا) ، الذى نجح فى مدة حكمداريته على السودان (١٢٤٣ ـ ١٢٥٥ هـ / ١٨٢٦ ـ ١٨٣٨ م) فى وصوله

الى (القلابات) — الواقعة على شـاطىء العطبرة جنوب اقليم التاكا — و (عطيش) — من المقاطعات الواقعـة على الحدود الحبشية — وبفتح هذين الاقليمين وصلت حدود السودان المصرى الى حدود الحبشة شرقا ، وبعد ضمها للادارة المصرية فى السودان حدثت سلسلة من المنازعات مع رؤوس الاحباش ، الذين استمروا على اعتقادهم أن هذه البلاد من صميم أوطانهم ، ومن حقهم جمع الضريبة من أهلها ، بينما عارضت الادارة المصرية ذلك ، لأن هذين الاقليمين أصبحا من ممتلكاتها .

وفى (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م) أعد حكمدار السودان احمد باشا أبو ودان (١٢٥٤ — ١٢٥٩ هـ / ١٨٣٨ — ١٨٤٣ م) آلايين من الجنود ، واهتم بتدريبهم فى السودان وتعليمهم الفنون الحربية، ثم استطاع أن يضم اقليم (التاكا) ، الواقع بين نهر العطبرة والبحر الأحمر ، وأسست أيضا فى عهد هذا الحكمدار مدينة (كسلا) التى اتخذت عاصمة لاقليم (التاكا) .

على أن ضم (التاكا) للادارة المصرية ، أعاد للظهور مشكلة (سواكن) أو (مصوع) ، الميناءين اللذين ألحقت ادارتهما ولاية جدة من جديد فى عام (١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م) بعد التسوية بين مصر والدولة العثمانية .

ومن أهم الدوافع التى دعت الى ظهور مشكلة سـواكن ومصوع ، ما يأتى :

(أ) حاجة مصر الى منفذ بحرى تشرف عليه الادارة المصرية فى السودان .

(ب) أن هذه الموانىء كانت ثغورا للدفاع عن اقليم (التاكا) كما كانت بعض الكميات البسيطة نسبيا من التجارة ، وأعداد من

الحجاج تمر منها ، وبذلك يكون الاحتفاظ بها مؤكدا لأمن الاقليم ومنعه من الوقوع فى أيدى قوى أجنبية تأتى من البحر وتتمركز فيه ، تمهيدا للهجوم على الاقليم .

(جـ) كان عرب (التاكا) الذين يأبون تأدية العوائد ، يلتجئون الى هذين الميناءين لقربهما من مديرية (التاكا) ، فأراد محمد على أن يقضى على التجاء العرب الى هناك .

(د) كانت (سواكن) و (مصوع) أقرب الموانىء الى مديرية (التاكا) وأنسبها لتصدير غلات السودان الأوسط .

(هـ) أراد محمد على أن يقضى على تهريب المنتجـــات السودانية ، التى كانت قد احتكرها كالصمغ والعاج الى (سواكن)، حيث كان هناك بعض التجار يقومون بتهريب هذه المنتجات الى (سواكن) ، ثم يقومون بتصديرها الى الخارج بدلا من مصر ، وكان السبب وراء ذلك هو أن تجار هذه المدينة كانوا يدفعون أسعارا أعلى بكثير من تلك التى حددها محمد على .

(و) تلك الغارات التى كان يقوم بها الأحباش على ولاية (الحبشى) ، لانتزاع حقوق السيادة العثمانية على ساحل البحر الأحمر الافريقى لأنفسهم ، مما جعل محمد على فى رسائله الى السلطان العثمانى ، ينتقد الادارة القائمة وقت ذلك فى (مصوع) و (سواكن) ، ويقترح الحاق الميناءين بمديرية (التاكا) ، على أن يقوم والى مصر بادارة جمركى (سواكن) و (مصوع) ، ويقدم لوالى جدة ايراد الجمرك السنوى ، بحيث لا يقل عن ١٥٠٪ من ايراد الجمرك الحالى ، هذا الى جانب ضمان النشاط التجارى فى تلك المنطقة ، وجلب المواشى بانتظام ، واستخدام القوة الحربية المصاحبة فى حفظ الأمن بالحجاز عند اللزوم .

ولهذه الدوافع تطلعت أنظار محمد على الى السودان الشرقى وأيالة (الحبش) ، كما شرح محمد على — للباب العالى — فان الادارة المصرية أصبحت الآن تمارس سلطتها على ساحل البحر الأحمر الشرقى المقابل للسودان ، وان الحاجة أصبحت ماسة لتمهيد الطريق من (بربر) الى (سواكن) لنقل الماشية التى زادت الحاجة اليها بسبب الطاعون الذى اصاب الماشية فى مصر ، حتى أن محمد على طلب من (أحمد باشا أبو ودان) أن يرسل من اقليم (التاكا) ما لا يقل عن ثمانين ألف رأس من الماشية لسد حاجة مصر منها .

ورد (أحمد باشا) بأن المواشى التى طلبها محمد على متوافرة فى مديرية (التاكا) ، ولكن ارسالها متعذر عن طريق البر ، والتمس من محمد على ارسالها عن طريق البحر الأحمر ، على أن تشحن من ميناءى (سواكن) و (مصوع) .

وفى نهاية الرسالة اقترح محمد على على الباب العالى حلا مناسبا ، وهو الحاق الميناءين المذكورين بمديرية (التاكا) ، على أن يقوم والى مصر باعادة جمركى (سواكن) و (مصوع) ، وقد التمس الموافقة عليه .

جمركا سواكن ومصوع تحت ادارة محمد على :

فى (١٩ رمضان ١٢٦٢ هـ / ١٢ سبتمبر ١٨٤٦ م) تمت الموافقة على التماس محمد على ، وأحيلت ادارة جمركى (سواكن) و (مصوع) الى محمد على ، فأحال أمر ادارتهما الى مديرية (التاكا) ، وكانت ادارة الجمرك فى مثل هذه الموانىء تمثل السلطة المادية والحربية التى تتحكم فى الميناء والمنطقة المحيطة به .

وهكذا عادت السيطرة المصرية والتنظيم المصرى الى هذه الجهات ، وكان ذلك مقابل ايجار سنوى قدره خمسة آلاف كيس ،

اى خمس وعشرون ألف جنيه ، وأرسل محمد على الى والى جدة يخبره بهذا ، وانه عين البكباشى (اسماعيل حقى) ، مديرا لمصوع و (محمد افندى) مديرا لسواكن ، وطلب اليه تزويدهما بأمر التعيين ، والعمل على تيسير وصولهما الى مقر عملهما .

وكان محمد على قد أصدر أوامره بعدم استيفاء الرسوم الجمركية عن البضائع الواردة الى (سواكن) من الجهات العليا ، مادامت هناك (رفتية)(*) تشعر بدفع الرسوم على البضائع ، وكذا الحال بالنسبة للبضائع المصدرة من سواكن الى تلك الجهات، فقد كتب محمد على الى مدير (دنقلة) يأمره بأن يعطى(رفتية) البضائع المدفوعة رسومها الجمركية فى مديريته لعدم دفعها مرة اخرى .

ومما لاشك فيه أن احالة إدارة جمركى (سواكن) و (مصوع) الى الادارة المصرية قد أحدث تغييرا للنشاط المصرى فى البحر الأحمر ، حيث تحولت (ولاية الجبش) العثمانية الى حكم مصرى قوى قائم فى البحر الأحمر ، سواء على شاطئه الآسيوى أم الافريقى .

وكان محمد على قد كلف (الياس اغا) على رأس قوة تتفقد أحوال ساحل البجر الأحمر الافريقى ، حتى مضيق باب المندب ، وشرع (اسماعيل حقى) فى اعداد أحصاء تقريبى للقبائل المنتشرة على طول الساحل ، بين (سواكن) و (بربرة) ، توطئة لضم كل ساحل البحر الأحمر الافريقى ، حتى (رأس غردفوى) باسم والى مصر .

(*) كلمة فارسية ، وهى رسوم كانت تؤخذ على البضائع التى كانت تخرج من الميناء الذى يحصل فيه الجمرك ، ويطلق عليها رسوم مغادرة ، ويعبر عنها بلفظ (باج) ، ويقدم هذا المستند فى مصر أو أى من الموانىء الواقعة على البحر الأحمر ويعفى حامله من الدفع مرة أخرى .

النشاط المصرى التجارى على الساحل الغربى للبحر الأحمر عقب ضم ميناءى سواكن ومصوع :

عقب ضم ميناءى سواكن ومصوع الى الادارة المصرية عام (١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م) نشطت حركة الملاحة بين موانىء السودان وموانىء الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، وبينهما جميعـــا وبين السويس ، ومما ساعد على ذلك استخدام البخار فى تســـيير السفن ، وما أدى اليه من تطور سريع ، والتنافس الدولى بين بريطانيا وفرنسا ، وتفكير الأخيرة فى ضرب الأولى فى مستعمراتها فى الشرق ، ومحاولة بريطانيا الوصول الى البحر الأحمر ، حتى تسربت اليه من ناحية خليج عدن ، بالاضافة الى ادراك مصـــر لمطامع الدول الاستعمارية ، ومحاولة بسبقها فى الاهتمام بهذه الموانىء لملء الفراغ السياسى والاقتصـــادى الذى تركته الدولة العثمانية ، والذى شمل كل الاقاليم السودانية .

الصـــادرات والـــواردات :

أولا : الصـــادرات :

كانت صادرات مصر الى السواحل الافريقية الواقعة على البحر الأحمر ، التى تقع تحت الســيطرة المصــرية ، تتمثل فى اللوازم العسكرية ، ومن ذلك أن مدير مصوع طلب من الجهادية المصرية فى (رمضان ١٢٦٣ هـ / أغسطس ١٨٤٦ م) ، خمسة عشر صندوقا من الخرطوش عيار سبعة دراهم ، وخمسة براميل من بارود البنادق ، ولأن هذه الكميات المطلوبة كانت لا تســتحق عناء شحنها وتوصيلها من مصر الى مصوع ، الى جانب النفقات التى تتكلفها ، فقد أمر محمد على بارســالها من احدى المديريات السودانية القريبة من مصوع .

ولم تقتصر صادرات مصر على اللوازم العسكرية فقط ، فقد كانت مصر تصدر المنسوجات الأوربية ، والزجاج الفينيسى ، والمرجان والحديد والنحاس والورق والفضـــيات والصـــفيح والرصاص والمرايات الزجاجية والسكاكين ، وكانت هذه اللوازم تحمل على السفن من ميناء السويس الى سواكن ومصوع .

ثانيا : الـــواردات :

أما بالنسبة للواردات المصرية من ســـواحل البحر الأحمر الغربية ، فانه عندما تمكن محمد على من فتح طريق مباشر للملاحة بين سواكن والسويس ، لأجل نقل السلع السودانية القريبة من الساحل الى الموانىء المصرية وموانىء شبه الجزيرة العربية ، فان سواكن أخذت تمد مصر بقطعان الماشية ، والعاج والصمغ والبن والسمسم والصوف والحيوانات من أبقار وأغنام ، والسنامكى والنيلة والسكر .

وقد اهتم محمد على بالبن الحبشى ، وذلك بعد أن لفت نظره اليه أحد التجار الفرنسيين ، ويدعى (فزير) Vizire ، حينما طلب الحصول على موافقة محمد على بأن يجلب عدة مقادير من البن الحبشى عن طريق السودان ، قدرت بحوالى ٢٠ ألف رطل سنويا ، وجنى من ورائها أرباحا طائلة ، حينئذ فكر محمد على أن يحتكر هذه التجارة لنفسه ، ورفض أن يجدد موافقته لهذا التاجر مرة أخرى ، وحينئذ منعت الحبشة تصدير البن الى الســـودان ، مما أدى الى حدوث نقص شديد فى واردات هذه السلعة ، وارتفاع باهظ فى أسعارها فى السودان .

وربما أراد الأحباش من وراء ذلك ألا يستفيد محمد على من تجارتهم بسبب العداوة بينهما ، فتوسط شيوخ الســـودان آنذاك

لازالة الفتور فى العلاقات التجارية بين محمد على والحبشة ؛ كما يمكن اعتبار زيارة محمد على للسودان فى (١٢٤٤ ــ ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٨ ــ ١٨٣٩ م) محاولة منه لعودة العــلاقات التجارية بين السودان والحبشة ، ويبدو أن الطرفين قد رغبا فى ازالة ما حدث بينهما ، حتى تستأنف التجارة بين البلدين .

فقد أسفرت هذه الجهود عن فتح سوق عام فى اقليم القلابات للاشراف على حركة التجارة ، وأصبح يقيم فيه وكيل مشترك لكل من ادارة محمد على والزعيم الحبشى ، الذى يحكم مقاطعة (مكادى) المتاخمة لاقليم القلابات ، وانحصرت مهمة هذا الوكيل المشترك فى تحصيل الرسوم والعوائد الجمركية فى هذه المنطقة ، والتى رغب الطرفان فى أن تكون رسوما رمزية ، وذلك تشجيعا للتبادل التجارى بين الطرفين ، شريطة أن يتم تقسيم الايراد الناتج عن هذه الرسوم مناصفة بين الطرفين .

وطبقا لهذه الســياسة الجديدة بدأت الحركة التجارية تنمو بينهما ، فتم فتح طريق للتجارة بين فازوغلى والحبشـــة فى عهد (أحمد باشا أبو ودان) ، وبدأت القوافل تسير فيه .

وكانت مصر تستورد الصمغ من مديرية كردفان ، وعندما علم محمد على أن العرب يأخذون الصمغ الموجود بكردفان ، كتب الى مدير (التاكا) أن من المستحسن الا يسمح للعرب بجمع الصمغ ، بل تجمعونه أنتم بثمنه وترسلونه » ، وبما أن محمد على أصبح هو المتمكن الوحيد فى الصمغ الموجود فى السودان ، فقد وافق على اخراج الصمغ الذى أنزله التاجر الفرنسى (سيمون) والذى يقدر بأربعمائة وستة وخمسين قنطارا ، من أصــل تســعمائة قنطارا ، وطلب الاذن بالنزول به ، وقد حصلت هذه الموافقة بناء على أن ذلك التاجر قد أنزله قبل صدور الأمر بمنع الاتجار بالصمغ .

ولقى الذهب السنارى طريقه الى مصر ، حيث كان مقدار ما تحصل عليه مصر لا يقل عن الفين أو ثلاثة آلاف أقة فى السنة ، وكان هذا الذهب ينقل غالبا عن طريق ميناء مصوع .

وكانت مصوع ترسل الحشرات التى تستخرج من البحر الى مصر ، وذلك بناء على طلب الأخيرة فى (ذى الحجة ١٢٦٣ هـ / نوفمبر ١٨٤٧ م) .

الجمـــارك :

اما بالنسبة للجمارك ، فانه قد ورد فى احدى الوثائق التى اطلعت عليها ، أن جمرك سواكن ورد الى خزانة جدة التابعة لادائة محمد على فى (١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م) مبلغ ٥٥٢١ ريالا فرنسيا وخمسمائة قرش وكسور .

وحفاظا على عدم القيام بأية عمليات تهريب جمركية ، أرسلت مصـــر الى ســـواكن ســـفينتين (قاربين) تم تصـــــنيعهما فى السويس ، وتزويدهما بمدفعين عيار نصف أقة ذى دواليب ، وكانت مهمتهما التجول فى البحر الأحمر ما بين الجهات القبلية والبحرية لمنع تهريب أى شىء من الجمرك .

وكان من أثر نشاط السياسة المصرية فى عهد محمد على أن تأيدت حقوق السيادة العثمانية على ساحل البحر الأحمر الافريقى من حدود مصر شمالا الى رأس غردفوى جنوبا ، بما فى ذلك حقوق السيادة على بلاد الحبشة ، ويتضح لنا من ذلك أن محمد على قد رسم لخلفائه خطة واضحة لادخال الاقاليم الافريقية المطلة على البحر الأحمر تحت الادارة المصرية .

ولكن مشروعات محمد على من أجل التوسع فى هذه المناطق ،

لم تلبث أن تركت جانبا ، عندما دهم الموت محمد على ، وقبل أن يتمكن من تنفيذها ، وعادت الأمور فيما يختص بالسودان الشرقى فيما بين عامى (١٢٦٦ و١٢٨٢ هـ/١٨٤٩ و ١٨٦٥ م) الى الوضع الذى كان عليه قبل الحاقه بالادارة المصرية ، فقد رأى عباس ، والى مصر (١٢٢٦ — ١٢٧١ هـ / ١٨٤٩ — ١٨٥٤ م) ، أن تكف الحكومة المصرية يدها عن ادارة هذين الميناءين ابتداء من (المحرم ١٢٢٦ هـ/١٨٤٩ — نوفمبر ١٨٥٤ م) ، وأن كان سعيد (١٢٧١ — ١٢٨٠ هـ/١٨٥٤ — ١٨٦٣ م) قد فكر فى استعادة الميناءين ، عندما كون الشركة المجيدية للملاحة فى البحر الأحمر .

ولعل من أهم العوامل التى دعت عباس الى التخلى عن ادارة سواكن ومصوع :

(أ) أنه كان يشعر أن مصر التى أنهكتها حروب محمد على ، بحاجة الى الهدوء والاستقرار .

(ب) أن سياسة التوسع التى تتطلب المصروفات الباهظة ، ينبغى أن تتوقف لتحل محلها سياسة تقوم على الاقتصاد ، والابتعاد عن المشكلات السياسية والحربية .

(جـ) خوف عباس من أن يؤدى احتفاظه بهذين الميناءين الى الاحتكاك بالحبشة .

ومهما يكن من شىء فقد استطاعت مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى — رغم أن الظروف الدولية لم تكن مواتية لها — أن تحيل النفوذ العثمانى فى البحر الأحمر ، من واقع اسمى الى واقع حقيقى ، وأن تدخل تحت السيطرة الجانب الأكبر من البحر الأحمر ، واستطاعت أيضا أن تفتح هذه الآفاق للتجارة العالمية وأن تعيد لمصر مركزها كدولة بحر أحمر ، ودولة بحر متوسط مرة أخرى وأن تعيد الى التجارة الشرقية أهميتها .

* * *

الفصـــــل الخـــــامس

موقف بريطانيا من سياســة مصر

في البحــر الأحمــر

- التنافس البريطانى الفرنسى
- بريطانيا وتعزيز مركزها فى البحر الأحمر
- مناطق الصدام بين محمد على وبريطانيا
= تصدى بريطانيا لأطماع محمد على فى اليمن
= تصدى بريطانيا لأطماع محمد على فى الخليج
= تصدى بريطانيا لأطماع محمد على فى الساحل الغربى للبحر الأحمر

التنافس البريطاني الفرنسي :

زادت أهمية البحر الأحمر بالنسبة لبريطانيا بعد الحملة الفرنسية على مصر عام (١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م) ، لتوجيه ضربة قوية لبريطانيا ، وذلك عن طريق قطع الصلة بينها وبين مستعمراتها في الهند ، والسيطرة بالتالي على تجارة الشرق مع أوربا .

وكان نابليون بونابرت قد أرسل مبعوثيه للتفاوض مع زعماء القبائل في شبه الجزيرة العربية ، حتى تسهل مهمته للسيطرة على البحر الأحمر والاتجاه الى الهند ، كما حاول الاتصال بأمير الدولة السعودية الأولى (عبد العزيز بن محمد بن سعود) ، بغية التفاهم لقطع طريق بريطانيا في الهند .

ومن البدهي أن يكون رد فعل بريطانيا ازاء وجود الفرنسيين في هذه المنطقة اتخاذ العديد من الاجراءات الوقائية ، لابطال خطة الفرنسيين في الشرق ، منها قيام شركة الهند الشرقية البريطانية بنشاط واسع النطاق للسيطرة على المراكز الاستراتيجية في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، للوقوف أمام أية محاولة فرنسية للوثوب الى الهند ، فأرسلت في (ذي القعدة ١٢١٤ هـ / أبريل ١٧٩٩ م) قوة بحرية بريطانية من بومباى ، قامت باحتلال جزيرة ميون (بريم)، الواقعة في أضيق نقطة ببوغاز باب المندب ، وظلت تحتلها حتى

(أوائل ربيع أول ١٢١٤ هـ/ أوائل أغسطس ١٧٩٩ م) ، كما أرسلت قوة بحرية أخرى وصلت الى ميناء القصير لتطويق الفرنسيين من ناحية الجنوب واخراجهم من مصر .

وظلت القوات الفرنسية فى مصر تهدد طريق المواصلات البريطانية الى الهند ، حتى تمكن الأسطول البريطانى من هزيمة الاسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية فى (أوائل ربيع أول ١٢١٤ هـ / أوائل أغسطس ١٧٩٩ م) ، وبذلك صعبت مهمة الفرنسيين فى مصر ، كما أرسل السلطان العثمانى (سليم الثالث) فى نفس السنة سفنا عليها قوات عثمانية الى مصر .

كل هذه الاجراءات جعلت الفرنسيين فى موقف لا يستطيعون معه التهديد بغزو الهند أو حتى تهديد المواصلات البريطانية مع الهند ، حتى تم الانسحاب من مصر فى (١٢١٦ هـ/١٨٠١ م) .

بريطانيا وتعزيز مركزها فى البحر الأحمر :

ومنذ ذلك الحين ، دأبت بريطانيا على تعزيز مركزها بجنوب البحر الأحمر فأوفدت أحد قادتها البحريين السير « هوم بوبهام » Home Popham ـــ الذى عين سفيرا لبريطانيا فى الدول العربية ـــ فى عام (١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م) الى سلطان لحج وعدن « أحمد عبد الكريم » ، للتوصل الى عقد معاهدات تجارية معه ، وقد نجح بوبهام فى عقد معاهدة للصداقة والتجارة(١) فى (٨ جمادى الأولى ١٢١٧ هـ/٦سبتمبر ١٨٠٢ م) . وصدق عليها السير «بوبهام» نيابة عن الحاكم العام للهند ، كما اعتمدها الأمير « أحمد باصهى » أمير عدن نيابة عن السلطان ، وبمقتضى هذه المعاهدة تمتعت بريطانيا ببعض التسهيلات الجمركية .

ويبدو تزايد اهتمام حكومة الهند البريطانية بالتجارة فى منطقة البحر الأحمر ، من خلال التصريح الذى أدلى به اللورد « فالنتيا » Valentia ، الذى وصل الى الهند على رأس بعثة بريطانية فى سنة (١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م) ، موضحا أهمية طريق البحر الأحمر بالنسبة للتجارة الهندية ، ومؤكدا ضرورة العمل على ايجاد أفضل الوسائل لتدعيم قوة بريطانيا فى البحر الأحمر .

هذا بالاضافة الى العمل على زيادة حجم التجارة الهندية ، كما قام « فالنتيا » بزيارة معظم الموانىء المهمة فى البحر الأحمر مبتدئا بعدن ، وجمع معلومات قيمة عن حالة التجارة هناك ، وأخيرا أشار « فالنتيا » الى أهمية احتلال بريطانيا لعدن ، التى اعتبرها « جبل طارق الشرق » ، وأوصى بانشاء وكالة تجارية فى عدن ، مع وجوب وجود مندوب سام لكى يحسن استغلال العمليات التجارية لها ، وخاصة تجارة البن الرائجة من جهة ، واحتكار التجارة من «بربرة» على الساحل الافريقى المواجه ، من جهة أخرى ، كما أنه أوصى باحتلال جزيرة « كمران » Komaron من أجل حماية التجارة مع الحبشة فى البحر الأحمر ، وأوصى أيضا بضرورة التحالف مع السلفيين لضمان حماية التجارة شرق البحر الأحمر .

كما أرسل « فالنتيا » سكرتيره المستر « سولت » Salt فى بعثة الى الحبشة ، وقد أوصى « سولت » عند عودته ببذل الجهد حتى يتحقق للأحباش منفذ على البحر الأحمر ، مما يسمح لهم باتصال حر مع المستعمرات البريطانية فى الشرق ، غير أن هذه الاقتراحات لم يحفل بها أحد ، الى أن اهتم بتنفيذها « سولت » بنفسه ، الذى أصبح بعد ذلك القنصل العام لبريطانيا فى مصر .

أما بالنسبة لتحركات «سولت» ، فانه وصل الى مصوع ، ثم انتقل الى « تيجرى » Tigre فى الحبشة ، ، حيث قدم ما معه

من هدايا الى « بحر نيجوس » Bahr Negos حاكم هذه المنطقة ، وقد فشل « سولت » فى تحقيق مآرب بلاده الاقتصادية ، الخاصة بالتجارة ، وذلك بسبب رفض الأحباش أن يمكنوا بريطانيا من الساحل ، لأنهم يعتقدون أن البريطانيين مثل أى مستكشفين آخرين سيغزون البلد فيما بعد .

ومن هنا شك « سولت » فى نجاح أى تغلغل بريطانى فى الحبشة .

على أن « سولت » قد أرسل ايضا تقريرا سياسيا الى حكومة الهند ، عن الأوضاع السياسية فى البحر الأحمر ، أوضح فيه أن بريطانيا يمكنها الحصول على ما تريده فى اليمن ، فى حالة ما اذا أيدت وساندت شريف « أبى عريش » فى حربه ضد الوهابيين فهو يتحكم فى السهول الساحلية لتهامة ولحج ، بالاضافة الى « زيلع » على الساحل الافريقى ، هذا الى جانب أنه لا توجد سفن حربية مصرية لمحمد على فى هذه المنطقة وهذا الوقت ، مما يسهل لبريطانيا أن تضع أيديها على أى منطقة تريدها هناك .

وهكذا فقد انهت وزارة الخارجية البريطانية أول بادرة اهتمام لبريطانيا فى منطقة البحر الأحمر ، ومن ثم عاد « سولت » الى بريطانيا .

ولا يعنى هذا أن محاولات البريطانيين للحصول على امتيازات لتجارتهم فى منطقة البحر الأحمر قد توقفت ، بل انهم انتهزوا كل فرصة ممكنة لتحقيق أغراضهم ، ومن تلك الفرص استغلالهم لحادثة « مخا » التى وقعت فى (رمضان ١٢٣٣ هـ / يوليو ١٨١٧ م) بعد مرور عامين من وقوعها .

وبذلك وقفت اغراض بريطانيا أمام أهداف محمد على فى البحر الأحمر ، فحدث بينهما الصدام .

مناطق الصدام بين محمد على وبريطانيا :

ادرك محمد على قبل ارسال قواته الى شبه الجزيرة العربية لضرب السلفيين ، ضرورة التفاهم مع بريطانيا ، ومن ثم قدم اقتراحا الى حكومة الهند البريطانية ، يتضمن التعاون لتنشيط التجارة فى البحر الأحمر ، ولكن لم يوضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ ، رغم وصول مندوب بريطانى الى مصر فى عام (١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م) للتصديق عليه ، وذلك خوفا من أن يؤدى عقده الى تدهور العلاقات البريطانية مع الدولة العثمانية .

ولم تظهر مخاوف بريطانيا من محمد على الا بعد أن استطاع الأخير أن يسيطر على الحجاز ونجد ، وعلى بعض الموانىء المهمة المطلة على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، فخشيت بريطانيا على طريقها نحو الهند ، من الوقوع تحت أيدى دولة قوية ، ومما زاد من مخاوفها ، محاولة محمد على السيطرة على بعض الموانىء المهمة على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، مما يتيح الفرصة أمام محمد على ليكون البحر الأحمر بحيرة مصرية خالصة ، فراحت تعمل بكل جهدها على الوقوف أمام أطماع محمد على فى هذا البحر ، الذى يعد أقصر الطرق البحرية للوصول الى مستعمراتها فى الهند ، على أنه يمكن القول بأن محمد على عندما دخل الحجاز ثم نجد ، لم يكن فى تفكيره اقامة إمبراطورية فى البلاد العربية ، بل ان التفكير فى اقامة الامبراطورية قد راوده بعد ذلك ، وبالتحديد فى مطلع العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادى ، عندما دبت الخلافات بينه وبين الدولة العثمانية .

وقد تفجر الخلاف بين محمد على وأطماع بريطانيا فى ثلاث مناطق مهمة ، كانت كما يلى :

المنطقة الأولى : اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية .

المنطقة الثانية : الخليج العربى .

المنطقة الثالثة : بعض المناطق الواقعة على الساحل الغربى للبحر الأحمر .

وسنتناول بالتفصيل رد فعل بريطانيا ازاء ازدياد نفوذ محمد على فى كل منها .

اولا : تصدى بريطانيا لأطماع محمد على فى اليمن :

كانت بريطانيا حريصة كل الحرص على الحفاظ على البحر الأحمر بعيداً عن سـيطرة اية قوة قد تهدد وجودها فى الهند ، وقد بدأ الصدام بين الأطماع البريطانية وأطماع محمد على ، عندما استطاعت حملات الأخير فى شبه الجزيرة العربية أن تسيطر على سواحل اليمن المطلة على البحر الأحمر ، وتمكنت من اخضاع « اللحية » و « قنفدة » و « المويلح » و « زبيد » ، وأخذت سلطات محمد على تقترب من أمام « صنعاء » ، وأظهرت له حسن النوايا ، عندما سلمت له الساحل مقابل جزية سنوية .

ومن ثم وجهت بريطانيا كل جهودها للسـيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وقد واتتها الفرصة عام (١٢٣٢هـ/١٨١٧م) عندما استغلت حادثة فى « المخا » ، ومجملها أن رجال الوكالة البريطانية(٢) الموجودين فى « مخا » ، كانوا قد القوا القبض على احد السكان العرب ، واحتجزوه بداخل الوكالة ، فطلب حاكم «مخا»

ـ من قبل الامام « المهدى عبد الله » امام اليمن ـ اطلاق سراح الرجل ، فأطلق الوكيل البريطانى الملازم « دومينكيتى Lieutenant Domincetti سراحه ، الا أن السكان العرب فى (رمضان ١٢٣٢ هـ / يوليو ١٨١٧ م) قاموا باقتحام مقر الوكيل البريطانى ، وفى حين ذكر أحد المؤرخين البريطانيين ، « أن الوكيل البريطانى عومل معاملة قاسية ، وأحضروه مقيدا أمام حاكم « مخا » الذى أمره بالعوة الى الهند » .

نجد أن الوثائق(٣) أشارت الى « ان حاكم « مخا » لم يدع جانب قنصل بريطانيا المقيم فى « مخا » وعنفه فمات من تكدره » .

وبعد مرور عامين من هذه الحادثة ـ حيث كانت بريطانيا تبحث عن سبب مناسب كما سبق يبرر تدخلها ـ كتب الكابتن « وليام بروس » William Bruce المقيم البريطانى فى «بوشهر» فى (صفر ١٢٣٥ هـ / نوفمبر ١٨١٩ م) انذارا رسميا الى امام صنعاء ، لكى يقدم اعتذارا رسميا لبريطانيا ، ويقوم بالتعويض والترضية المناسبة لما حدث ، وقد ناشد « وليام بروس » مستر « سولت » Salt المقيم البريطانى فى مصر بأن يتحقق من علاقة « مخا » بمحمد على ، كما طلب « ايلفنستون » Elphinstone حاكم « بومباى » نفس الشىء من « سولت » ، بأن يتأكد من وضع اليمن بالنسبة لمحمد على ، واذا كان ضروريا فعليه أن يستأذن محمد على فى عملية الحصار هذه .

ولم يكن اعتماد « مخا » على الدولة العثمانية وارتباطها بها آنذاك الا صوريا فحسب ، فقد كانت أكبر موانىء أمام « صنعاء » ، الذى لم يكن للسلطان العثمانى عليه نفوذ ولا سيادة ، وكان محمد على تمكن عام (١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م) من أن يسلم اليه بعض

الأراضى المتاخمة للميناء الشمالية « الحديدة » فى مقابل تعهده بتقديم كمية من البن للسلطان سنويا .

ويعد طلب « بروس » من « بسولت » بأن يتحقق من علاقة « مخا » بمحمد على ، اعترافا رسميا من قبل بريطانيا بالمصالح المصرية فى هذه المنطقة ، كما أنه يعتبر أول استخدام للرسائل الدبلوماسية التى تتبعها « شركة الهند الشرقية » مع مصر ، خاصة أنه كان لمحافظ مكة — من طرف محمد على — « أحمد باشا » موقف مناهض لـ « بروس » ، الذى أرسل عشر سفن عليها جنود من طرف الهند الى « مخا » ، فقام « أحمد باشا » بارسال خمسة وعشرين ألفا من عربان اليمن والحجاز الى « أبى عريش » ، وأرسل الى محمد على يخبره بما يجب عمله اذا قامت السفن البريطانية بأى عمل عدائى ، فكتب محمد على اليه والى رستم أفندى أمين جمرك جدة ، يأمرهما بتجسس أحوال هذه السفن البريطانية ، واخطاره بما يصلون اليه بسرعة .

وعلى اية حال ، فقد أجاب « سولت » على طلب « برس » بأن محمد على قد قام بالتخلى عن كل المناطق التى ضمها ابنه « ابراهيم باشا » . والمتمثلة فى « الحديدة » والمناطق المجاورة لها للأمام ، وذلك مقابل مقدار معين من البن يأخذ الباب العالى حصة منه ، علاوة على ذلك ، فقد علم محمد على بنوايا حكومة «بومباى»، وكان يرغب فى عمل تسوية سلمية ، للتعويض عن هذه الاهانة ، كما أنه عرض أن يتوسط مساعدوه اذا ما طلبت منه هذا شركة الهند الشرقية البريطانية .

وفى (٢٦ محرم ١٢٣٦ هـ / ٣ نوفمبر ١٨٢٠ م) وصل الأسطول البريطانى قادما من الهند ، تحت قيادة الكابتن « لملى » Lumely ، الذى كتب الى امام اليمن « المهدى عبد الله » يطلب

منه الترضية اللازمة ، وأخبره أن الحكومة البريطانية فى الهند ، اعدت سفنا حربية أخرى تلحق بسابقتها ، ان لم يخضـــع الامام للترضية المطلوبة .

ولكن يبدو أن الامام عمد الى سياسة المراوغة ، خوفا من أن تنقص المطالب البريطانية من سيادته ، وتضـــعف من ايراداته ، فقصفت السفن البريطانية مدينة « المخا » فى (١٩ صفر ١٢٣٦ هـ/ ٢٦ نومفبر ١٨٢٠) ، وتم تدمير كل الحصون المنيعة الرئيسية فى المدينة ، مما اضطر الامام لاعلان استسلامه وموافقته على توقيع اتفاقية فى (١٠ ربيع ثانى ١٢٣٦ هـ / ١٥ يناير ١٨٢١ م) ، من اهم بنودها :

١ — تخفيض الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية الى أن وصلت ٥ر٢٪ ، فأصبحت مساوية لما يدفعه الفرنسيون .

٢ — أن يصبح للمقيم البريطانى فى « مخا » الحق فى أن يحيط نفسه بحرس ، كما هى الحال فى بغداد والبصرة ، وأن تدق طبول هذا الحرس كل يوم صباحا ومساء وفى وقت الطعام على الدوام .

٣ — السماح للمقيم البريطانى بالظهور أمام الناس وهو على ظهر جواده .

٤ — تخصص قطة أرض لتكون مقبرة لدفن الموتى المسيحيين فيها .

٥ — بناء مخزن للفحم على الساحل ، وفتح بابه من جهة البحر الأحمر .

٦ — أن يكون من حق المقيم البريطانى فى « مخا » الفصل

فى القضايا المتعلقة بشركة الهند الشـــرقية البريطانية ، وقضايا الرعايا البريطانيين مسلمين كانوا أو غير مسلمين .

وبذلك اطمأن البريطانيون انهم أخذوا الطريق على محمد على، وحاصروه بين أسطولهم فى البحر المتوسط وأسطولهم فى المحيط الهندى ، وذلك بعد أن تمكنت بريطانيا من تدعيم نفوذها فى الموانىء اليمنية فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ، ونالت شـــركة الهند الشرقية البريطانية مكانة ممتازة فى المنطقة ، وبهذا اســـــتحوذ البريطانيون فى وقت مبكر على مزايا تجارية ضـــمنت فى معاهدة رســـمية اضطر امام اليمن للتوقيع عليها تحت تهديد مدفعية قطع الأسطول البريطانى التى أتت الى البحر الأحمر .

موقف الدولة العثمانية ومحمد على من قصف المخا :

كان لقصف الاسطول البريطانى لـــ « مخا » آثار فى الآستانة والقاهرة ، فمن وجهة النظر العثمانية يعتبر الحادث اعتداء على بلاد اسلامية ، تعتبرها الدولة خاضعة للسيادة العثمانية ، رغم استقلال « اليمن » الذى تتمتع به منذ عام (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) .

وفى (١٦ ذى القعدة ١٢٣٩ هـ / ٢٥ يوليو ١٨٢٣ م) أرسل السلطان العثمانى الى السفير البريطانى بالآستانة مذكرة رسمية ، يوجه فيها نظر الحكومة البريطانية الى خطورة تلك التصرفات من جانب ممثليها فى الهند والبحر الأحمر فى موانىء اليمن ، وأكدت الحكومة العثمانية فى مذكرتها « أن جهات « مخا » باعتبارها ملكا للدولة العلية ، فانه يجب عليها حمايتها وحراسة سكانها وصيانة حقوق أهلها لقربها من الكعبة الشريفة » .

وكان رد السفير بعد استطلاع رأى حكومته ، مؤكدا على شدة أطماع بريطانيا فى سواحل اليمن من ناحية ، وفيه كثير من التمويه من ناحية أخرى ، ويوحى لسلطات الدولة العثمانية بأنه يجب عليها الا تتدخل فى هذا الموضوع ، مما أغضب الباب العالى(٤) ، فقام بتحذير محمد على من التحركات البريطانية ، وحثه على عدم الاعتماد على أقوال البريطانيين ووعودهم ، والتأكيد عليه بأن مسألة «مخا» من المسائل التى لا يجوز السكوت عليها ، وفى نفس الوقت كتب الباب العالى الى السفير البريطانى موضحا له ان الدولة العثمانية لا يمكن أن تقف موقف المتفرج ازاء التدخل البريطانى فى اليمن ، وأنها سوف تتصدى لمقاومة هذا التدخل .

أما موقف محمد على من قصف « مخا » فكان من وجهة نظره تهديدا لسلطانه فى شبه الجزيرة العربية ، وخطرا على مشروعاته القادمة فى الجنوب ، وقد كان يقظا للاساليب التى تتبعها حكومة الهند الشرقية البريطانية مع إمام اليمن ، وقد اتخذ حاكم الحجاز عدة اجراءات عاجلة ، اذ أرسل الى « أبى عريش » قوة تتألف من خمسة وعشرين الف جندى استعدادا لما عسى أن يجد ، وأرسل الى امام اليمن يحذره من حيل بريطانيا وعدم الاذعان لمطالبهم اذ أن هدفهم هو الاستيلاء على اليمن .

ولعل السبب الذى أدى الى ارسال هذا التحذير ما سمعه من جركات أخرى يقوم بها البريطانيون فى اليمن بعد ضرب «مخا» وعقد معاهدة (١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م) ، اذ أخذوا يحاولون استرضاء الامام والتظاهر بالصداقة له ، فالقنصل البريطانى يرسل اليه الهدايا ، ولم يكتف بذلك بل أخذ يتنقل من حين الى آخر داخل البلاد ، لمحاولة الاستئثار برؤساء القبائل ويستميلهم بالمال والهدايا المختلفة ...

ومن أجل ابعاد النفوذ البريطانى عن اليمن ، استخدم محمد على الوسائل الدبلوماسية من جهة ، والاستعداد الحربى من جهة أخرى ، حتى تتهيأ الفرصة للاستيلاء على اليمن كله ، ومن ذلك أنه أرسل الى السلطان العثمانى يطلعه على موقف حاكم الحجاز ، وأنه يشك فى نوايا البريطانيين ، وليس لديه ثقة فيهم ، ولا يجوز الاعتماد على أقوالهم ، وطلب محمد على من السلطان العثمانى — صاحب السيادة — أن يصدر الأوامر التى يمكن أن يتصرف على هداها ، وخاصة فى حالة ما اذا اتضح سوء قصد البريطانيين ، وفى نفس الوقت أوضح محمد على للقنصل البريطانى فى مصر أنه أنه اذا ظهر سوء قصد دولته ، فان القوة ستقابل بمثلها ، وأرسل الى قائد الحملة البريطانية على « مخا » يخبره بهذا الرأى .

الا أن بريطانيا أرادت أن تخدع محمد على ، وذلك عن طريق قنصلها فى مصر ، حينما أرسلت اليه تطلب منه أن يذكر محمد على بأن تصور أى خلل يطرأ على رابطة المودة بينه وبين البريطانيين أمر يدعو الى الأسف ، لأن حكومة الهند لم تقصد من وراء حصار موانىء اليمن ، سوى الحصول على الترضية الكافية من الامام ، نظير ما حدث لرعاياها فى « مخا » .

والحقيقة أن بريطانيا تمسكت بموقفها فى «مخا » ، لأنها فوق خشيتها من ازدياد نفوذ محمد على ، فان خشيتها من ازدياد النفوذ التجارى الأمريكى فى هذا الميناء وصلت ذروتها ، ولذا فانها تمسكت باصرار شديد على موقفها ، للقضاء على أية منافسة لنفوذها فى « المخا » ، وظل موقفها على حاله هذا — رغم انسحاب محمد على من الدخول معها فى صراع مباشر حول « المخا » ، حتى يفرغ من مشروعاته التوسعية الأخرى (ضم السودان) — حتى عاود محمد على نشاطه فى شبه الجزيرة العربية بعد أن تأزم الموقف بينه وبين

الباب العالى ، وبدأت قواته تعمل على التوسع فى اليمن ، وهنا بدأ الصراع بينه وبين بريطانيا حول السواحل اليمنية .

موقف بريطانيا من سيطرة قوات محمد على على جنوب اليمن :

عندما فكر محمد على فى القضاء على فتنة « تركجة بيلمز » ، وذلك بدخول اليمن وسيطرته عليها ، كان يخشى الاصطدام ببريطانيا ، فأبلغ محمد على الكولونيل «كامبل» Colonel Campbell قنصل بريطانيا العام فى مصر ، برغبته فى ارسال حملة الى «مخا» حالما يتم الصلح بينه وبين السلطان(٥) ، لمطاردة « تركجة بيلمز » وأتباعه المتمردين ، ثم السيطرة على جزء كبير من اليمن .

وانتهى محمد على الى طلب استطلاع رأى الحكومة البريطانية فى مثل هذه الحملة .

ورأى « كامبل » فى طلب محمد على أنه لو نجح الأخير فى تحقيق أغراضه ، واخضاع اليمن ، فانه سوف يبدى رغبته فى الحاقها بولاية الحجاز ، وبذلك يصبح مسيطرا على الساحل الشرقى للبحر الأحمر كله ، ومعظم أجزاء الساحل الغربى .

ورأت حكومة الهند البريطانية أنه اذا كان محمد على يهدف من وراء دخوله اليمن ، القضاء على « تركجة بيلمز » وحماية الامام ، فانها ترحب بذلك ، ولكن فى حالة امتلاك محمد على بلا منازع للبلاد التى خضعت له ، فان حكومة الهند البريطانية ترى الوقوف فى وجه هذه الأطماع ، التى يعمل محمد على من أجلها ، ولذلك تلقى الكولونيل « كامبل » تعليمات بالرد على استفسار محمد على عن مشاعر الحكومة البريطانية ازاء حملته المقترحة .

الا أن محمد على لم ينتظر رد بريطانيا ، وقام بعمل التجهيزات اللازمة لمهاجمة « تركجة بيلمز » ، وقام القائد البريطانى «مورسبى» Commander Morespy ربان السفينة « بالينورس » Palinurus بدراسة الأحوال فى البحر الأحمر وذلك من السويس الى جدة ، ثم كتب فى (١٩ ربيع أول ١٢٤٩ هـ / ٦ أغسطس ١٨٣٣ م) الى « كامبل » يخبره أن « تركجة بيلمز » متمركز فى « مخا » ، وفى انتظار هجوم محمد على ، وذلك بالاضافة الى أن اليمن تعد فى حالة يرثى لها نظرا لتوقف معظم السفن التجارية .

ومن هنا أدرك « كامبل » أن الفرصة الوحيدة لانعاش التجارة فى اليمن والحجاز تقع على كاهل محمد على بسيطرته على هذه المنطقة ، وذلك لأنه فى السنوات القليلة الماضية انحدرت تجارة اليمن انحدارا لم يسبقه مثيل ، فتجارة البن التى تم تحديدها فى عام (١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م) بلغ اجمالى الناتج منها مليون دولار ، وتقريبا معظم هذه التجارة نقلتها سفن أمريكية ، وقد اعتقد «كامبل» أن احتلال محمد على لـــ « مخا » من شأنه أن يســـاعد التجارة البريطانية ، وذلك لأنه تقريبا يسيطر على كل الساحل المطل على البحر الأحمر .

وأضاف « كامبل » أن محمد على قدم اعتذارا لأنه اضطر الى أن يصدر أوامره الى قواته بالتقدم فى اليمن قبل أن يصل اذن بريطانيا بسبب الاعتداءات التى تمارسها قوات « تركجة بيلمز » ، ولكنه مسرور لتلقيه الاذن من الحكومة البريطانية فيما بعد ردا على طلبه ، وقد أكد محمد على لـــ « كامبل » أن دخوله ميناء « مخا » لن يؤثر بأى حال من الأحوال على المصالح البريطانية ، كما أنه لن يقف ضد أى اتفاقية عقدتها بريطانيا مع امام اليمن .

وبعد سيطرة قوات محمد على على « مخا » ومعظم الموانىء البحرية ، قام محمد على بالسيطرة على تجارة البن واحتكاره ، أصبح معظمه يصدر الى مصر التى كان عليها أن تدفع ما يطلب منها للباب العالى ، بينما اشترى التجار الامريكيون باقى المحصول ، وكانوا يدفعون عليه ضريبة جمركية قدرها ٣٪ فقط ، فى الوقت الذى كان البريطانيون يدفعون فيه ضريبة تصل الى ٢٥ر٧٪ ، وبذلك كان على بريطانيا ان تبذل أقصى جهدها لتصفية نفوذ محمد على حفاظا على مصالحها ومواصلاتها مع الهند .

وقوف بريطانيا فى وجه احتكار محمد على للبن اليمنى :

نتيجة لاحتكار محمد على لتجارة البن اليمنى ، قام اللورد « بالمرستون » Palmerston وزير الخارجية البريطانية بتوجيه تعليماته الى « كامبل » فى مصر فى (شوال ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٧ م) ليطلب بشكل قاطع من محمد على رفع القيود المفروضة على التجارة البريطانية على وجه السرعة ، لأن بريطانيا لن تسمح لمحمدعلى بأن يواصل هذا النظام المعادى للمصالح البريطانية ، وعليك أن تضيف أنه اذا لم يتم الغاء هذه الاجراءات الجديدة الخاصة بالرسوم ، فان قائد الأسطول البريطانى سيضطر الى اتخاذ الاجراءات الضرورية لأن مصالح وشرف بريطانيا مرتبطة بهذه الواقعة .

وقد رد « كامبل » على « بالمرستون » بأن القائد « هينس » Haines قد أخبره بذلك فى سبتمبر الماضى ، وقد أصدر محمد على أوامره العاجلة لابراهيم باشا بأن عليه أن يحافظ على بنود الاتفاقية التى تم عقدها مع الامام .

وتجدر الاشارة الى أن بريطانيا لم تنظر لتحركات محمد على فى اليمن بارتياح ، بل رأت فيها خطرا جديدا يهدد طريقها الى الهند

خاصة بعد اعتقادها أن محمد على يريد تحويل البحر الأحمر الى بحيرة مصرية ، بعد بسط نفوذه على السودان ومصوع .

وكانت الحكومة البريطانية تتتبع خطوات محمد على فى اليمن عن طريق عملائها ووكلائها وبعثاتها التى تواصل اتصـــــالاتها فى الجنوب الشرقى للبحر الأحمر ، لكنها لم تكن حتى عام (١٢٥٣ هـ/ ١٨٣٧ م) تريد أن تقدم على خطوة عنيفة ، ولاسيما أن محمد على كان يبذل أقصى جهده لاقناع السلطات البريطانية فى الهند وبريطانيا أنه راغب فى المحافظة على المصالح البريطانية فى الجزيرة العربية كلها ، وفى البحر الأحمر ، وكان يعتقد أنه نجح فى ذلك بدليل أن القنصل البريطانى فى مصر سلم اليه فى (ذى القعدة ١٢٥٢ هـ / فبراير ١٨٣٧ م) خطابا من الحاكم البريطانى فى « بومباى » يتضمن رغبة الحكومة البريطانية فى تدعيم الصداقة بينها وبين محمد على ، وأن يزداد التبادل التجارى بين بريطانيا ومصر ، وجاء فى ذلك الخطاب ان الحاكم يطلب من محمد على السماح للبريطانيين بأن يقيموا فى جزيرة « كمران » ـــ الواقعة تحت حكمه ـــ محطة فحم لتزويد السفن البريطانية فى طريقها بالوقود .

وقد قبل محمد على فى الحال ذلك الطلب البريطانى ، واعتبر محمد على تلك الرسالة اعترافا من الحكومة البريطانية بسيادته على تلك الجزيرة ، وبالتالى على اليمن ، وأن تلك الحكومة تجاهلت حق الســـــــلطان العثمانى فى تلك الجهات ، وهو أمر له أهميته الدولية .

وقد كان محمد على حريصا على كسب مودة الدول الكبرى فى ذلك الحين ـــ حيث ان العداء قد وصل مداه بينه وبين السلطان « محمود الثانى » ـــ وخاصة بريطانيا التى كان يرى من وجهة نظره

انها سوف تساعده على الاستقلال بمصر مقابل منحها التسهيلات التى تريدها .

بريطانيا تتربص بعدن :

كانت بريطانيا ترقب تحركات قوات محمد على فى اليمن ، وبعد سيطرته على معظم الأراضى اليمنية وعلى « تعز » ـ مركز زراعة البن فى اليمن ـ وليس ذلك فقط ، بل أوشك أمام اليمن أن يعترف بسيادة محمد على ، حينئذ بدأت بريطانيا تنظر الى « عدن » ، وتبنى فكرة الاستيلاء عليها « بالمرستون » الذى كتب الى القنصل البريطانى فى مصر ، يقول « ليكن معلوما أنه ليس بوسع بريطانيا أن تنظر بدون اكتراث الى أية محاولة يقوم بها محمد على ليغزو أو يستولى على أية بلاد تقع عند مدخل البحر الأحمر ، أما فيما يخص احتلال المصريين لليمن فعليكم أن تبلغوه ـ محمد على ـ أنه ليس لدى بريطانيا أية رغبة فى أن يستمر هذا الاحتلال » .

والحق « بالمرستون » بخطابه تهديدا صريحا لمحمد على اذ قال « ان مدينة عدن وميناءها والاقليم الذى فيه قد نزل عنها سلطان عدن لبريطانيا وسنحتلها دون ابطاء » ، وأضاف قوله « وعلى ذلك فان أية محاولة عدوانية من قبل محمد على ضد عدن تعد عدوانا على أملاك بريطانيا ، وستتخذ ضدها الاجراءات اللازمة على هذا الأساس » .

واللافت للنظر أنه بعد زيارة « كامبل » لوزارة الخارجية البريطانية فى (شعبان ١٢٥٣ هـ / نوفمبر ١٨٣٧ م) ازداد تمسك « بالمرستون » بفكرة احتلال « عدن » لأن ذلك يمكنها من وضع يدها على كل محصول البن اليمنى الذى يحصل الأمريكيون على قدر كبير منه .

وقد حاول محمد على أن يخدع القنصل البريطانى فى مصر بأنه ليست له أية مطامع يريد أو يزمع تحقيقها ، وأن « عدن » اذا تركت له فان البريطانيين سيجدون فيها جميع التسهيلات التى يريدونها .

ويعد تقرير الكابتن « جيمس ماكينزى » MacKlenzie (٣١) هو الذى عجل بفكرة احتلال عدن ، حيث يتضمن معلومات مهمة عن كل من مصر وشبه الجزيرة العربية ، فوصف فيه أن دخول قوات محمد على لشبه الجزيرة العربية مكنه من السيطرة على طول الساحل تقريبا ، مما أعطى لمحمد على السيطرة على تجارة التصدير لليمن والحجاز ، وتم تنظيم هذا على أساسيات احتكارية تجعل محمد على يحصل على أرباح طائلة من الرسوم المقدرة على الواردات من البضائع الهندية التى تقدر بـ ١٠٪ تدفع نقداً أو سلعا ووصف ذلك بأنه « لم ير ادارة جمارك تدار بهذه المهارة كالتى رآها فى جدة » .

كما أنه وصف النظام الجديد للجيش المصرى وسفن الأسطول المرابطة فى البحر الأحمر والتى جعلت محمد على يسيطر على ساحل البحر الأحمر ، من السويس والعقبة شمالا ، الى مضيق باب المندب جنوبا ، ورسم خريطة بين فيها مواقع القوات المصرية فى اليمن ، وقدمها الى وزارة الخارجية البريطانية للانتفاع بها عند الحاجة .

ومن بيان تلك المواقع تأكدت الحكومة البريطانية أن اليمن كلها عدا صنعاء أصبحت تحت حكم محمد على ، وأن قواته قد اقتربت من عدن ، وحتى صنعاء لم تعد هدفا صعبا ، ذلك لأن الامام أرسل مندوبا من قبله الى أحمد باشا يكن الذى كان مقيما آنذاك فى

« عسير » ، يلتمس منه تسهيل سفره الى مصر لعرض الشروط التى يقبلها الامام للانضواء فى الحكم الجديد .

وبناء على ذلك ، اتخذت بريطانيا قرارا باحتلال عدن تمهيدا لبسط سيطرتها على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، الا ان كابتن « كويان » Coyan اقترح انه ليس من المناسب فى ظل الظروف الراهنة من ضعف الامام ، أن ننتهز الفرصة فى احتلال عدن ، بل يجب أن ندخل فى ترتيب معاهدة معه تتمكن من خلالها الحكومة البريطانية فى الهند أن تحتل عدن ، وذلك من خلال شخص امام مسقط .

وكان لابد للبريطانيين من واقعة يتذرعون بها لاحتلال عدن ، وواتتهم الفرصة فى حادثة وقعت فى (١٩ رمضان ١٢٥١ هـ / ٤ يناير ١٨٣٦ م) ، ومجملها أن سفينة هندية تحمل العلم البريطانى تدعى « داريا دولت » Daria Dowlt ، كانت تحمل بضائع ثمينة وعددا كبيرا من الحجاج المتوجهين الى الأراضى الحجازية لتأدية فريضة الحج ، وحيث ان السفينة كانت حمولتها زائدة على طاقتها، فقد انغرست مقدمة السفينة فى رمال الساحل اليمنى ، فلم تتمكن من الحراك ، ولما رآها البدو هاجموها ونهبوا كل حمولتها من البضائع واعتدوا على الحجاج .

وتم تقديم اقتراح من السير « روبرت جرانت » Grant حاكم «بومباى» فى (٢٢ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ/٢٣ سبتمبر ١٨٣٧م) الى الحاكم العام للهند بشـــأن الدور الذى يجب أن تلعبه حكومة «بومباى» حيال هذا الأمر ، «وان الحكومة البريطانية يجب أن تقدم طلبا للتعويض عما أصابها من جراء هذه الاهانة ، وأنه « ينبغى أن تمتلك ميناء فى هذه الرقعة من العالم كما هو الحال فى الخليج العربى ، بالاضافة الى تمركز بعض القطع من الأسطول البريطانى

فى البحر الأحمر ، نتيجة للاهانة التى لحقت بالعلم البريطانى على يد سلطان عدن ، واعتقد أنه يجب أن تحتل عدن » .

وجاء رد الحاكم العام للهند مثبطا لجهود حاكم « بومباى » ، حيث اكد أن الاستيلاء على عدن محفوف بالمخاطر ، لأنه سيؤدى الى التصادم مع القوات المصـــــرية والعربية ، بل يجب المطالبة بالترضية المناسبة من سلطان عدن ، والأفضل اذا ما أمكن القيام بترتيب سلمى مع السلطان تتمكن بريطانيا من خلاله أن تستولى على عدن كمستودع للفحم وميناء لايواء السفن .

وقد تم ايفاد كابتن(٧) « هينس » Haines الضابط البحرى البريطانى الى عدن ، لاجل التوصل الى ترضية مناسبة مع سلطان عدن « محسن بن فضل العبدلى » ، الذى قابله فى (٥ شوال ١٢٥٣ هـ / ٥ يناير ١٨٣٨ م) ، فخاطبه فى شأن البضائع المنهوبة من المراكب ، فأنكر السلطان اشتراك رعيته أو قبائله فى النهب ، ولم يقبل « هينس » هذا الاعتذار لأن البضائع كانت تباع آنئذ فى أسواق مدينة « عدن » ، نفرض السلطان غرامة قدرها ١٢٫٠٠٠ ريال أو اعادة جميع الأموال المنهوبة ، واستطاع السلطان أن يرجع من البضائع ما قيمته ٨٠٨ ريالات ودفع مبلغا من الغرامة ، وكتب على نفسه سندا بالباقى على أن يدفعه بعد اثنى عشر شهرا .

وبعد الانتهاء من تحقيق الهدف الأول ، وهو التعويض عن حادث السفينة « داريا دولت » ، بدأت مفاوضات لنقل ملكية «عدن» الى الحكومة البريطانية مقابل مبلغ معين من المال ، ويصبح سلطان عدن منذ ذلك الحين صديقا لبريطانيا ، وبعد تأخير قليل ، تم التوقيع على وثيقة تنازل عن « عدن » ، وقد ثارت بعض المصاعب بالنسبة لمقدار التعويض النقدى الواجب أداؤه للسلطان وأســــرته مقابل التنازل ، ولكن سلطان « عدن » أبلغ « هينس » أن المقدار المطلوب هو ٨٧٠٠ دولار سنويا .

وكانت هناك دوافع كثيرة من شأنها أن تجعل سلطان عدن يخضع لمطالب بريطانيا ، أهمها :

١ ـــ عدم مقدرته على الوقوف أمام اصـــــرار بريطانيا على محاصرة سواحل اليمن .

٢ ـــ اقتراب القوات المصرية من حدود سلطنته «لحج وعدن» وانضمام اكثر القبائل التابعة له الى « ابراهيم باشا يكن » .

٣ ـــ رأى الامام أن « عدن » لا يستفيد منها كثيرا ، ففضل أن يتنازل عنها لبريطانيا باتفاق بدلا من أن يفقد السيطرة عليها دون أى مقابل .

٤ ـــ وربما كان يطمع الامام فى التمتع بالحماية البريطانية حتى تتهيأ له الفرصة للتوسع فى الداخل .

وأراد كابتن « ماكينزى » أن يتحاشى التصادم مع السلطات المصرية ، التى كانت فى ذلك الوقت مشتبكة فى عمليات عسكرية داخل اليمن ، فأرسل خطابا الى ابراهيم باشا فى (١١ ذى القعدة ١٢٥٣ هـ / ٦ فبراير ١٨٣٨ م) يبلغه فيه أن بحوزته ســـــندا من سلطان « لحج وعدن » يفيد نقل ملكية عدن لشركة الهند الشرقية ، ويطلب فيه عدم التدخل فى هذا الجزء ، كما أنه أعطى الأوامر لقواته العسكرية لمنع أى تدخل بأية وسيلة .

وقد بعث ابراهيم باشا صورة من هذا الخطاب الى محمد على مع خطاب وصف فيه عدن على أنها جزء من البلاد التابعة له ، وعندما وصل الخطاب الى محمد على كلف « بوغوص بك » وزير خارجيته بأن يطلب من « كامبل » القنصل البريطانى فى مصر تفسيرا لذلك ، واذا كان البريطانيون مصممين على حكم هذه الأقطار ، فانه مستعد

نسحب جيشه ، وأضاف « بوغوص » وهو ينقل مشاعر محمد على الى « كامبل » أن عدن غير متمتعة بالحكم الذاتى ، وأنها خاضعة لسلطة امام صنعاء ، واذا ثبت العكس فان محمد على لن يتأخر فى تقديم التنازل .

ونتيجة لذلك فقد بعث محمد على خطابا الى « بوغوص بك » ابلغ الأخير محتوياته للكولونيل « كامبل » ، وجاء فيه — بعد أن كرر ذكر حصوله على موافقة الحكومة البريطانية على حملته على اليمن — انه اذا كانت « عدن » لازمة للحكومة البريطانية كمستودع للفحم فحسب ، فانه على استعداد أن يكفل لهم تحقيق هذا الهدف بعد أن ينتهى من اخضاع القطر الذى يضم « عدن » ، وختم محمد على رسالته قائلا أنه سوف ينتظر لمدة شهرين قبل أن يأمر بسحب أو تقدم جيشه فى اليمن حتى يتسنى للكولونيل « كامبل » أن يتلقى تعليمات من بريطانيا فى هذا الشأن .

وعلى أية حال فان حكومة « بومباى » كلفت كابتن « هينس » بالابحار فى السفينة « كليف » Clive فى مهمة الى عدن للمرة الثانية ، وحددتها فيما يلى :

١ — أن ينهى الى السلطان اذا رفض تسليم عدن أن من المحتمل وصول قوة فى الحال للاستيلاء على عدن .

٢ — الحصول على تنفيذ التعهد الذى قطعه السلطان على نفسه بالطرق السلمية .

٣ — أن يتجنب كابتن « هينس » فى اتصالاته مع القبائل العربية طرق موضوعات تجارية من شأنها اثارة مشاعر الغيرة لدى محمد على

٤ — اذا تبين أن ابراهيم باشا يكن قد استولى على «عدن»

فيجب على الكابتن « هينس » أن يعلن لابراهيم أنه ينتهك حرمة أراض بريطانية ، وأنه ما لم يجل عنها يعرض قواته للخطر ؛ لأن لديه وثائق تثبت أن الحكومة البريطانية صرحت لمحمد على بأنها لن تسمح له بالتوسع فيما وراء مضيق باب المندب .

وعندما وصل « هينس » الى « عدن » وجد مدينة « عدن » تحت سيطرة أحمد بن سلطان عدن ، ولم يسمح له بنقل الممتلكات البريطانية التى أمكن استعادتها من ناهبى السفينة ، كما وجه اليه ابن السلطان خطابا مهينا .

وقد دبر أحمد بن السلطان محسن سلطان « عدن » مؤامرة لاختطاف « هينس » لم يقدر لها النجاح ، الا أن « هينس » عرض فى محاولة أخيرة على السلطان تسليم عدن ، ولكن هذه المحاولة أيضا باءت بالفشل ، وأقدمت بريطانيا على احتلال عدن .

استيلاء بريطانيا على عدن :

... منذ (أواخر ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م) بدأت بريطانيا مرحلة التفكير فى الاستيلاء على عدن بالقوة المسلحة ، خاصة أن المؤامرة التى دبرها أحمد بن السلطان محسن لاغتيال الكابتن « هينس » يمكن اعتبارها حادثة أوضحت بايجاز ضرورة استيلاء بريطانيا على عدن، اذا ما أرادت أن تقيم مخزنا للفحم ومأوى للسفن فى ذلك الميناء ؛ الذى يطل على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر .

ونتيجة لهذا ، صـــــممت حكومة الهند البريطانية ، بموافقة الحاكم العام للهند ومجلس ادارة شركة الهند الشرقية ، تعزيز كابتن « هينس » بقوة عسكرية وبحرية قوامها ٣٠٠ جندى أوربى و ٤٠٠ جندى هندى بقيادة الميجور « بيلى » Baillie وسفينتين

حربيتين(٨) وصـــــلتا فى (أول ذى القعـــدة ١٢٥٤هـ / ١٦ يناير ١٨٣٩م) .

وتطورت الأحداث بسرعة وبدأ الهجوم على عدن صباح (٤ ذى القعدة ١٢٥٤ هـ / ١٩ يناير ١٨٣٩ م) رغم المقاومة بلا جدوى، من بعض العرب بقيادة أحمد بن السلطان محسن ، واستمر الضرب ما يقرب من الساعتين ، وخسر العرب ما يقرب من ١٤٠ قتيلا ، وبعد الظهر بقليل ارتفع العلم البريطانى على عدن .

وبذلك يكون محمد علي قد خسر السباق مع بريطانيا علي عدن واعترف لها باحتلال عدن .

انســــحاب قوات محمد على من اليمن :

وبعد أن تمكنت بريطانيا من عدن ، اتبعت سياسة الضغط الاقتصادى والسياسى بهدف اجبار قوات محمد على على الانسحاب من اليمن ، واقصــاء محمد على عن البحر الأحمر ، وتمثلت هــذه الضغوط فى الآتى :

أولا : سعى بريطانيا لدى امام صنعاء بتحويل تجارته الى عدن بدلا من الموانىء الأخرى الواقعة تحت سيطرة محمد على ، وذلك للاضرار بدخل الموانىء اليمنية التابعة له .

ثانيا : ازكاء روح العداء بين قبائل جنوب اليمن ، حتى يتسنى لبريطانيا السيطرة عليها ، ويتسنى لها توجيه القبائل ضد سياسة حكومة ابراهيم باشا يكن الاقتصادية .

ثالثا : محاولة بريطانيا المستمرة لعقد معاهدة صـــــداقة مع زعماء القبائل بحجة حمايتهم وحماية مصالحهم التجارية من سياسة محمد على الاحتكارية .

رابعا : جذب العامل من الموانىء الواقعة تحت سيطرة محمد على باليمن تحت اغرائهم بالأجور المرتفعة لتجميد الحركة فى تلك الموانىء .

خامسا : طلبت بريطانيا من محمد على اجلاء الجيوش التابعة لمحمد على عن اليمن ، ولم يذعن محمد على لهذا التهديد ، وأراد اكتساب بعض الوقت مدعيا أنه لا يستطيع فى هذا الوقت اتخاذ الاجراءات للجلاء عن اليمن .

سادسا : انتهاز بريطانيا فرصة الأزمة المصرية التركية عام (١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م) فادعت حمايتها للسلطان العثمانى ضد محمد على ، والبت الدول الأوربية الاستعمارية الأخرى (روسيا والنمسا وبروسيا) ، كما ألبت الموقف الدولى ضـــده ، وذلك كله بحجة المحافظة على التوازن الدولى حينذاك .

ثم توالت الانذارات البريطانية الى محمد على حتى اضـــطر الى التسليم فى عام (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م) ، حيث أصدر أمرا الى حاكم اليمن وقائد القوات المصرية ابراهيم باشا يكن بالجلاء عن اليمن وتسليم زمام الأمور فيها الى حسين بن على بن حيدر « شريف أبى عريش » ، وغادر ابراهيم وقواته أرض اليمن فى (٧ ربيع أول ١٢٥٦ هـ / ٩ مايو ١٨٣٩ م) .

وهكذا أسدل الســـتار على الصـــراع بين بريطانيا ومحمد على على مدخل البحر الأحمر الجنوبى ، فكان احتلال بريطانيا لعدن وانسحاب قوات محمد على من اليمن فى رأى الدولة العثمانية لا يعدو أن يكون نوعا من المكافأة لبريطانيا على معاونتها لها فى وقف أطماع محمد على والى مصر .

وبذلك أصبح محمد على محصورا بين قوات بريطانية فى البحر المتوسط وقوات بريطانية فى جنوب البحر الأحمر ، من شأنها خنق محمد على — هذا الوالى الذى كان يعمل على السيطرة على البحر الأحمر والخليج العربى — وهما الطريقان المهمان الى المستعمرات البريطانية .

ثانيا : تصدى بريطانيا لأطماع محمد على فى الخليج العربى :

قامت بريطانيا بالتصــــدى لأطمـــاع محمد على فى الخليج العربى ، وذلك اســـــتكمالا للوقوف أمام أطماع الأخير فى البحر الأحمر .

ولعل من المفيد ان نشير هنا الى أن توسع محمد على فى الخليج العربى مر بمرحلتين ، الأولى من عام (١٢٢٦ — ١٢٢٥ هـ / ١٨١١ — ١٨١٩ م) ، والثانية من عام (١٢٤٩ — ١٢٥٦ هـ / ١٨٣٣ — ١٨٤٠ م) .

وتتميز المرحلة الأولى بعدم معارضة بريطانيا لوصول قوات محمد على الى سواحل الخليج العربى ، بل حدثت محاولات للتعاون من جانب البريطانيين ، ولعل ذلك يرجع الى أن النفوذ البريطانى لم يكن قد تدعم بعد فى هذه المنطقة ، كما أن وصول قوات محمد على الى سواحل الخليج فى هذه المرحلة كان مقتصرا على تأمين العمليات العسكرية فى نجد .

فبعد أن سقطت الدرعية حاضرة السلفيين فى أيدى قوات محمد على ، أصبح الطريق مفتوحا أمامها الى الخليج العربى ، وبالفعل تقدم ابراهيم باشا بقواته فى منطقة الاحساء ، فى طريقه الى ســـاحل الخليج العربى ، وعلى الرغم من أن البريطانيين قد

سرهم تغلب قوات محمد على على السلفيين ، فأنهم لم يكونوا مستعدين لقبول أى امتداد الى مناطق لها أهمية بالنسبة لبريطانيا .

ولهذا سارعت بريطانيا بارسال الكابتن « سادلير » sadiler الى الحجاز لمقابلة ابراهيم باشا نجل محمد على ، وذلك فى بعثة سياسية استطلاعية ظاهرها تهنئة ابراهيم باسم الحكومة البريطانية فى الهند على ما حققه من انتصارات فى الحجاز ، وعرض اتفاق معه على التعاون مع حكومة الهند البريطانية ضد القواسم الذين يهددون السفن البريطانية .

أما الغرض الخفى الذى كان وراء بعثة « سادلير » فيتضح فى تكليفه السرى بأن يتحقق من المقاصد التى يرمى اليها ابراهيم باشا فى عملياته الحربية القادمة .

ولم يصل « سادلير » الا بعد دخول قوات محمد على الاحساء والقطيف ، فاقتفى أثر ابراهيم باشا الذى رجع الى الحجاز وقابله بجوار المدينة المنورة ، وسلمه كتابا من حاكم « بومباى » يهنئه فيه باسم حكومة الهند البريطانية على نجاحه فى حملته ، ثم عرض « سادلير » عليه ان حكومة الهند البريطانية يسرها أن يتعاون معها ابراهيم باشا ، وأن يشترك معها فى العمليات الحربية على سواحل الخليج ضد القواسم .

الا أن بعثة « سادلير » قد باءت بالفشل ، وذلك لأن الدولة العثمانية لم تقف مكتوفة الأيدى امام هذه التطورات والوسائل الدبلوماسية البريطانية ، فأرسلت الى محمد على تحذره من البريطانيين وعدم الانخداع بحيلهم .

وعندما وصلت تلك الرسالة الى محمد على كتب الى ابراهيم باشا بأن يرفض الطلب البريطانى ، وبالفعل قام ابراهيم باشا بابلاغ « سادلير »(٩) « بأنه لا يعترف بحقوق الحكومة البريطانية فى بلد قد اخضعه لمصلحة الامبراطورية العثمانية » .

ولهذا غادر « سادلير » البلاد مكتفيا بأنه أول أوربى عبر شبه الجزيرة العربية من البحر الأحمر .

وهكذا كان لوصول قوات محمد على الى شبه الجزيرة العربية، وامتداد سيطرتهم الى أجزاء من ساحل الخليج العربى ، اثره على السياسة البريطانية من ناحية سرعتها فى تنفيذ أدوارها المرسومة للاستيلاء على سواحل الخليج العربى .

وسارعت بريطانيا بعقد معاهدة مع شيوخ البحرين فى عام (١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م) ، وذلك فى أعقاب التماس شيوخ البحرين مساعدة بريطانيا اثناء احدى هجمات القواسم عليها .

ومنذ هذا الحين اكتفى محمد على بسيادته الاسمية على نجد وشرقى شبه الجزيرة العربية ، ولكن بعد توقيع « صلح كوتاهية » (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م) بين محمد على والسلطان العثمانى ، الذى بمقتضاه انسحب قسم كبير من قوات محمد على من آسيا الصغرى ، بدأ محمد على يتطلع باهتمام الى سواحل الخليج العربى لاخضاعها كلها ، ولتكوين امبراطورية تابعة له تضم جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية بسواحلها الى جانب مصر والساحل الافريقى للبحر الأحمر .

وفى الاعوام التالية ، تحركت تلك القوات التى كانت تتألف من عدة آلاف مقاتل من قلب شبه الجزيرة العربية صوب ساحل الخليج بقيادة خورشيد باشا ، ونجحت الى حد كبير فى اخضاع القبائل

العربية تحت لوائها ، ثم استولى على الاحساء ، وعند مصب شط العرب مقدرا أن تلتقى هذه القوات بأسطول محمد على - كما سبق القول - الذى كان قد أبحر عن طريق البحر الأحمر لتحقيق اهداف توسع قوات محمد على فى سواحل الخليج .

وأراد خورشيد باشا اتخاذ القطيف مركزا للاتصال بامارات الخليج العربى ، ولكنه أدرك عدم صلاحية ميناء القطيف للملاحة فاتجه نحو البحرين ، ونجح فى توقيع اتفاق مع البحرين تعهدت الأخيرة بمقتضاه أن تدفع جزية لمحمد على ، وبذلك انضمت تحت لواء السيادة الاسمية لمحمد على ، كما تمكن خورشيد باشا عن طريق الدبلوماسية أن يستبقى ضابطا مصريا فى الكويت ، للعمل على رعاية مصالح المصريين ، واحتفظ بعلاقة طيبة مع الشيخ « جابر الصباح » حاكم الكويت ، الذى أبدى استعداده للتعاون مع خورشيد باشا ، وقدم للقوات التابعة لمحمد على يد العون عند وصولها الى الاحساء ، حينما حملت اليها سفينة كويتية شحنة من الذخيرة والعتاد من ميناء الحديدة على البحر الأحمر الى القطيف .

لقد كانت هذه المرحلة من مراحل توسع محمد على فى الخليج العربى تختلف كثيرا عن المرحلة التى سبقتها ، من حيث موقف بريطانيا ، فبينما كانت بريطانيا فى المرحلة الأولى حريصة على الاستفادة من نجاح قوات محمد على فى قمع النشاط البحرى للقواسم ، نجد أنها وقفت فى المرحلة الثانية موقفا معارضا ، وذلك بعد أن نجحت فى توقيع معاهدات الصلح البحرى مع شيوخ الساحل العمانى ، وأخذت فى تدعيم نفوذها فى المنطقة ، ومن ثم كان من غير الطبيعى أن تقبل ظهور قوة أخرى تنازعها فى الخليج والخطوط الملاحية التى تصل أوربا بالهند .

والواقع أن محمد على لم يشأ فى البداية الاصطدام ببريطانيا ،

فأعلن أنه لم يقصد من توسعه فى شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج أكثر من اخضاع السلفيين ، وحماية الحرمين الشريفين ، كما أعلن عن استعداده لتقديم كافة الضمانات لتيسير الاتصال بين مصر والهند .

غير أنه لم يكن من السهولة أن تسلم بريطانيا بذلك ، فمن المعروف أن بريطانيا لم تكن تطمئن الى نوايا محمد على نحوها ؛ فكانت تخشى على سلامة خطوط ملاحتها البخارية الجديدة التى تصل الهند بأوربا ، فقد انشأت بريطانيا الخط الذى يصل بومباى بالسويس فى عام (١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م) ، ليتصل بالخط الفرنسى الذى يصل الاسكندرية بمرسيليا ، والذى انشىء فى عام (١٢٥١هـ/ ١٨٣٥ م) ، فلم تكن لتنظر الى ظهور القوة التابعة لمحمد على على سواحل الخليج بعين الارتياح ، لأن ذلك سيجعل كلا الخطين واقعين تحت نفوذ محمد على .

ورغم افضلية طريق البحر الأحمر لسرعة المواصلات البريدية بين أوربا والهند .

فان شـــركة الهند وكذلك مجلس العموم البريطانى ، اهتما بدراسة امكان فتح خط ملاحى تجارى عبر الخليج ونهر دجلة والفرات وذلك منذ بداية عام (١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م) ، ووضح من موقف بريطانيا ازدياد نفوذ محمد على فى شـــــبه الجزيرة العربية ومدى تصميمها على السهر فى سبيل حماية الطريقين المباشرين الى الهند (البحر الأحمر والخليج العربى) ، وحمايتهما بالقوات البريطانية ، فأرسلت الاميرال سير «متلاند» Maitland القائد العام لاساطيل بريطانيا فى الشــــرق ، الى الخليج العربى على رأس قوة بحرية للوقوف أمام كل من يتعدى على مناطق النفوذ البريطانى ، وأعطت له تعليمات مشددة بوضع « البحرين » تحت حماية بريطانيا ، واخبار

خورشيد باشا بأن استعمال القوة سيكون عملا عدائيا نحو بريطانيا ذاتهـــــا .

وعندما وصل « متلاند » وجد أن قوات خورشيد باشا قد أتمت احتلال القطيف ، وأن شيوخ البحرين على اســــــتعداد للاعتراف بالسيادة المصرية ، ولذلك طلب من الكولونيل « هنل » Hennel المقيم البريطانى فى الخليج أن يعمل على وقف ضــغط محمد على الدبلوماسى ، وذلك عن طريق ابرام معاهدات مع مشايخ وحكام الخليج العربى ، ونجح « هنل » بالفعل فى ابرام معاهدة دائمة ، وقع عليها معظم حكام منطقة الخليج العربى . وفى مواجهة تفاهم محمد على مع البحرين ، قام « هنل » بارســــــال احتجاج الى خورشــــــيد باشا ، ذكر فيه أن البحرين تتبع فارس ، ولا يجوز الاستيلاء عليها ، وقد نجح « هنل » تحت التهديد المتواصل لشيخ البحرين من انتزاع اعتراف شـــــفهى منه بالتخلى عن اتفاقه مع خورشيد باشا .

ولم يقف نشــــــاط خورشيد باشا فى علاقته بامارات الخليج العربى عند امارة البحرين فحسب ، بل حاول أيضا الاستيلاء على المقاطعات التابعة لمسقط ، وذلك تحقيقا لمشروع محمد على الذى كان يستهدف السيطرة على جميع سواحل شبه الجزيرة العربية ، وخاصة لتقديره أهمية موقع ميناء مسقط ورغبته فى التحكم فى مداخل الطرق البحرية .

وعلى الرغم من التقدم الكبير الذى أحرزته قوات محمد على فى سواحل الخليج العربى ، فان الأوضاع المتأزمة فى نجد ، وعدم استطاعة ارسال المزيد من القوات العسكرية الى الاحساء ، بسبب عدم مقدرة السفن المصرية على الوصول الى الخليج العربى ، بسبب

احتلال البريطانيين لميناء « عدن » كانت من أهم الأسباب التى أدت الى انسحاب قوات محمد على من الخليج العربى .

هذا بالاضافة الى عوامل أخرى منها الأزمة المصرية التركية (١٢٥٥ — ١٢٥٦ هـ / ١٨٣٩ — ١٨٤٠ م) ، التى استغلتها بريطانيا لصالحها مدعية الحماية للسلطان العثمانى ضد محمد على ، وانتهى الأمر بانسحاب محمد على من جميع المقاطعات التى استولى عليها ، ومن ثم أسدل الستار على فكرة تنفيذ مشروع دخول العراق الذى كان خورشيد باشا ، يلح فى أن يصدر له الأمر لتنفيذه ، فكتب محمد على قائلا له « ان الوقت ليس وقت المصلحة التى أتصورها وآمل فيها ، وأن أساس مهمتك فى الوقت الحاضر ، أن تهيىء السبيل لسحب قواتك ، تاركا البلاد لخالد بن سعود ، بشرط أن تترك عددا من الجند يكفونه ، ثم بعد تتوجه بقواتك الى مصر ، وتغلق باب المصروفات التى فتحت لهذا المشروع » .

ثالثا : تصدى بريطانيا لأطماع محمد على فى الساحل الغربى للبحر الأحمر :

أخذت بريطانيا تعمل على بسط نفوذها السياسى والاقتصادى فى منطقة البحر الأحمر ، خاصة بعد أن استولت على عدن لتكون مركزا لنشاطها السياسى والتجارى فى هذه المنطقة ، فحصنتها من الناحية العسكرية ، وجعلت منها محطة للسفن ومستودعا للتجارة مع بلاد العرب والساحل الافريقى المقابل الذى تقع عليه سواكن ومصوع الخاضعتان للنفوذ العثمانى ، كما احتفظت هناك بعملاء تجاريين يعملون لحسابها من السكان الوطنيين أو من الفرس وأحيانا من الهنود والبريطانيين ، وقد سعى محمد على للوقوف أمام النفوذ البريطانى على الساحل الغربى للبحر الأحمر ، بأن حاول ان يبسط

نفوذه على هذا الساحل بما فيه الحبشة ، لكن بريطانيا عارضت ذلك بشدة وظلت تناوئه حتى أضطر تحت ضغطها أن يتنازل عن مشروعاته التوسعية فى الساحل الافريقى .

ومنذ ضم محمد على اقليم (التاكا) فى السودان عام (١٢٥٦ هـ/١٨٤٠ م) فانه قد شعر بالحاجة الى منفذ بحرى تتولى الادارة المصرية فى السودان الاشراف عليه ، ولما كانت سواكن ومصوع أقرب الموانىء الى مديرية « التاكا » وانسبها الى تصدير غلات السودان الأوسط ، فقد تطلعت أنظار محمد على اليها ، ومنذ ذلك الوقت اخذ محمد على فى رسائله الى السلطان العثمانى « عبد المجيد » (١٢٥٥ — ١٢٧٨ هـ / ١٨٣٩ — ١٨٦١ م) ينتقد الادارة القائمة وقتذاك فى مصوع وسواكن ، ويظهر ضعف القائمين عليها ، وتعاطيهم للرشاوى ، ولم يكتف بذلك بل اقترح الحاق الميناءين بمديرية « التاكا » ، على أن يقوم والى مصر بادارة هذين الجمركين وتقديم ايرادهما السنوى الى والى جدة بحيث لا يقل عن ١٥٠٪ من ايراد الجمرك الراهن .

وأزاء قوة حجة محمد على ، وازدياد أطماع الأحباش فى هذين الميناءين ، والخوف من تعرض هذين الميناءين للضياع من أيدى الدولة العثمانية ، وافق الباب العالى فى (١٩ رمضان ١٢٦٢ هـ / ١٢ سبتمبر ١٨٤٦ م) على احالة ادارة جمركى سواكن ومصوع الى مصر بايجار سنوى قدره ٥٠٠ر٥ كيس ، أى ٥٠٠ر٢٥ جنيه ، فأحال محمد على ادارتهما الى مديرية « التاكا » .

وكانت برطانيا وفرنسا قد حاولتا — قبل أن يبسط محمد على نفوذه على السودان الشرقى وبعض الجهات المطلة على الساحل الافريقى — أن ينتزعا لأنفسهما حقوقا فى هذه الجهات ، ضاربتين

عرض الأفق بحقوق السيادة التى كانت للدولة العثمانية ، فأنشأت فرنسا قنصيلة لها فى مصوع عام (١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م) ، وحذت بريطانيا حذوها بعد سبعة أعوام ، وفى السنوات التالية استمتع « باروني » Barroni الفرنسي و «بلودين» Blowden البريطانى بنفوذ عظيم بين الأهالى فى سواكن ومصوع والسودان الشرقى .

وفى عام (١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م) أصدر السلطان العثمانى فرمانا بنقل ملكية ميناءى سواكن ومصوع لمحمد على مدى حياته .

ولم يكن من الطبيعى أن تقف بريطانيا مكتوفة الأيدى ، بعد أن أرسل اللورد « كاولى » Cowely السفير البريطانى فى استانبول صورة من فرمان نقل ملكية ميناءى سواكن ومصوع الى اللورد « بالمرستون » وزير خارجية بريطانيا ، الذى رأى فى (محرم ١٢٦٤ هـ / ديسمبر ١٨٤٧ م) أن يلفت نظر السلطان العثمانى الى ما ينطوى عليه تنازله عن ادارة سواكن ومصوع من تعد وافتئات على الحبشة ، فضلا عن أن ذلك كان من شأنه تعطيل العلاقات التجارية التى تسعى بريطانيا الى انشائها مع هذه البلاد .

كما أن سيطرة محمد على على هذين الميناءين ، سوف تنشىء علاقات قوية مع سكان المناطق الداخلية فى القارة ، بما يؤثر — حسب زعم بريطانيا — على التجارة والمصالح البريطانية هناك ، كما طلب « بالمرستون » من اللورد « كاولى » أن يخبر وزير الخارجية العثمانية بأن حكومة جلالة الملكة تأمل الا يصدق السلطان العثمانى على أى اجراء من هذا النوع أو شبيه له ، لأن مثل هذه الاجراءات من شأنها أن تؤدى الى صدام ما بين السلطات المصرية والتجارة الشرعية للمواطنين البريطانيين .

وكان ذلك هو السبب الرئيسى الذى دفع البريطانيين الى الوقوف مع الباب العالى هذا الموقف المعارض ، لكى يعدل عن قراره

السابق الخاص بالتنازل لمحمد على عن سواكن ومصوع ، خاصة أن بريطانيا كانت قد أنشأت قنصلية(١٠) بريطانية فى مصوع ، كان الهدف منها الوقوف على مجريات الأمور فى تلك المنطقة ، وتدعيم التبادل التجارى مع المناطق الداخلية من الحبشة .

وتجدر الاشارة الى أن بريطانيا على الرغم من معارضتها حينذاك لمشروعات مصر التوسعية فى الحبشة والساحل الغربى للبحر الأحمر ، فانها لم تتعرض لحقوق السيادة العثمانية على الساحل الافريقى للبحر الأحمر .

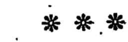
غير أن المشروعات التوسعية المصرية فى هذه المناطق ، لم تلبث أن توقفت نتيجة وفاة محمد على ، قبل أن يتمكن من تنفيذها ، ولاشك فى أنه قد تأكد بفضل نشاط السياسة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، الاعتراف أو التسليم بأنه كان للسلطان العثمانى وبالتالى لمصر حقوق السيادة الشرعية على طول الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، التى امتدت من حدود مصر فى الشمال الى راس غردفوى فى الجنوب ، بما فى ذلك الحبشة ، وأن الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا لم تستطع منازعة مصر فى حق سيادتها على هذا الساحل .

وفى ذلك الوقت رأت الحكومة المصرية فى عهد عباس الأول (١٢٦٥ — ١٢٧١ هـ / ١٨٤٨ — ١٨٥٤ م) أن مصر خرجت من نضالها الطويل مع الباب العالى قليلة الموارد منهوكة القوى ، ولا تستطيع أن تتحمل زيادة تضاف الى أعباء الحكم والادارة فى السودان ، ولما كان بقاء ادارة ميناءى سواكن ومصوع فى يد مصر يكلفها الكثير من الجهد والأموال ، فقد استقر رايه على اعادة هذين الميناءين الى الدولة العثمانية ، باعتبار أن مصر لا تستفيد منهما

شيئا فى عملياتها فى شرق أفريقيا ، لوقوعهما بعيدا عن المركزين الرئيسيين للادارة والحكومة فى الخرطوم والقاهرة ، حيث يتعذر ارسال النجدات اليهما سريعا ، فضلا عن أن بقاء هذين الميناءين فى يد مصر يسبب — فى رأيه — الاحتكاك بممثلى الدول الأوربية .

وبناء على ذلك أعادت مصر مصوع وسواكن للدولة العثمانية فى عام (١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م) ، وتم تسليم أمورهما لوالى جدة ، وكذلك تمكنت الدولة العثمانية من السيطرة على أجزاء كبيرة من الأراضى المجاورة لجزيرة مصوع .

وبذلك تكون بريطانيا قد وقفت بالمرصاد أمام مشروعات محمد على التوسعية على الساحلين الشـــرقى والغربى للبحر الأحمر ، وكانت تستخدم الوقت المناسب للتدخل والتصدى لنفوذ والى مصر ، حتى استطاعت أن تنفرد بالجلوس على مائدة الشرق بعد السيطرة على الطرق المؤدية اليه وتأمينها تأمينا قويا .



هوامش الفصل الخامس

(١) انظر أهم بنود المعاهدة ص ٢٣ بهذه الدراسة .

(٢) وهى وكالة تجارية كانت تقوم الى جانب عملها التجارى بأعمال التجسس على الأحوال الداخلية للمناطق اليمنية ، وكانت تمارس الى جانب ذلك أعمالا سياسية على جانب كبير من الخطورة ، وقد نشطت هذه الوكالة بصورة ملحوظة منذ وصول قوات محمد على الى السواحل اليمنية ، وللوقوف فى وجه هذه القوات استغلت بريطانيا هذا الحادث الذى وقع لهذه الوكالة لتحقيق هدفها ، وتحقيق امتيازات خاصة لها فى المنطقة .

(٣) دار الوثائق القومية : محافظ الأبحاث ، محفظة (٩٦)) ، دفتر (٧) ، معية تركى ، وثيقة (٣٦) ، من .... الى حضرة الأفندى القبوكتخدا ، بتاريخ (١٣ صفر ١٢٣٦ هـ /٢٠ نوفمبر ١٨٢٠ م) .

(٤) فقد جاء فى الرد « أن مخا وأطرافها باعتبارها تحت حكم دولة مستقلة أخرى ، يفضون المنازعات القائمة بين بعضهم بأنفسهم ، ولابد أن السبب الأصلى فى هذا النوع ، مسائل تتعلق بالتجارة ، مثل الجمارك والعوائد ، وما أشبه ذلك ، ولا توجد اسباب أخرى لضبط واشغال الأراضى والاقامة فيها » .

(٥) فى (جمادى الثانية ١٢٤٧ هـ/نوفمبر ١٨٣١ م)) دخلت القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا سوريا حتى وصلت الى أبواب العاصمة دمشق فى العام التالى وفى (١٨ صفر ١٢٤٨ هـ/يوليو ١٨٣٢ م) تمكنت قوات محمد على من دخول حلب ، وذلك لأن محمد على عندما أحس بضعف الدولة العثمانية طالب بضم الشام الى مصر فرفض السلطان .

(٦) فى شتاء عام ((١٢٥٣ هـ/١٨٣٧ م) كان الكابتن ماكينزى التابع لسلاح الفرسان البنغالى عائدا لانجلترا عن طريق البحر الأحمر ومصر وقد قام بالتوقف فى مخا والحديدة وجدة وكتب تقريرا يعتبر فى غاية الأهمية .

(٧) لم يحصل على لقب كابتن الا فى (رمضان ١٢٥٧ هـ/ أكتوبر ١٨٤١ م) ، وكان يعمل فى البحر الأحمر وساحل بلاد العرب الجنوبى .

(٨) السفينة « فولاج » Volage ذات الثمانية والعشرين مدفعا بقيادة الكابتن « سميث » Smith والسفينة « كروزو Cruizer ذات الستة عشر مدفعا بقيادة الكابتن « دانيال » Daniell

(٩) الذى نزل ضيفا على ابراهيم باشا حتى يصدر أمر والده .

(١٠) ولم تكن هذه القنصلية قائمة بذاتها بل كانت تابعة للقنصلية البريطانية العامة فى مصر ، وكان القنصل البريطانى فى الحبشة مركزه فى مصوع ، ويعد مرءوسا للقنصل العام فى القاهرة .



الخاتمــة :

من خلال هذا العرض تتضح أبعاد سياسة مصر فى البحر الاحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، من خلال النطاقات الاقليمية التى شهدت دور مصر فى الفترة المذكورة والتى أعقبتها بتوضيح موقف بريطانيا ازاء هذه السياسة ، ويمكننا استخلاص ما توصلنا اليه من نتائج على النحو التالى :

أولا : اهتمام محمد على بالطـــــريق البرى المصـــــرى عبر الاسكندرية ــ السويس وكان من نتيجة هذا الاهتمام اســـتتباب الأمن فى هذا الطريق ، وتأمينه من هجمات اللصوص وقطاع الطرق، وزيادة حركة المرور عبره ، واقامة العديد من الاستراحات فى هذا الطريق .

ثانيا : حرص محمد على من وقوع مصر فريسة فى يد الدول الأجنبية صاحبة المصالح فى الشرق ، الذى اتضح من خلال موقفه من مشروعى شق قناة بين البحرين وبناء خط حديدى ، والذى تمخض عن رفضه التام لهذين المشروعين ، خوفا مما سيترتب على مرور الأجانب وتجارتهم فى قلب البلاد ، واتجاه أنظاره الى تنفيذ مشروع آخر ، وهو بناء القناطر الخيرية التى تخدم الزراعة فى مصر .

ثالثا : استغلال محمد على لتكليف الدولة العثمانية له بالقضاء على الحركة السلفية حيث وجد فيه فرصة ذهبية للســـــيطرة على موانىء الحجاز المطلة على البحر الأحمر .

رابعا : ربما كان من أهم ما أبرزته هذه الدراسة ظهور أول نواة للاسطول المصرى فى عام (١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م) ، حيث أغفلت الدراسات السابقة الاهتمام بتلك النواة ودورها فى القضاء على الدولة السعودية فى دورها الأول ونقل الجنود والمؤن والذخائر الحربية الى الحجاز عبر البحر الأحمر ، وكيف أوجدت لمصر دورا كبيرا فى البحر الأحمر وسياسة متميزة ، ثم أصبحت هذه النواة بعد ذلك أسطولا كبيرا احتل المركز الثالث بين أساطيل العالم .

خامسا : اعتماد محمد على على الجنـــود الألبان والأتراك والمغاربة فى حملته ضد الوهابيين وذلك لدراية هذه العناصر بهذه الحروب ، فى الوقت الذى لم يكن فيه مصريون يستطيعون القيام بهذه المهمة ، واستمر الاعتماد على هذه العناصر حتى أنشىء أول جيش نظامى مع بداية العقد الثالث من القرن التاسع عشر .

سادسا : الأسباب التى دعت محمد على للسيطرة على الموانىء اليمنية وأهمها احتكار البن اليمنى ، وكيف استغل محمد على ظهور فتنة فى الحجاز للقضاء على ادارته هناك ، فقام بارســــال حملة استطاعت أن تقضى على هذه الفتنة وتطارد الثوار فى اليمن حتى أخرجتهم من شبه الجزيرة العربية وسيطرت القوات التابعة لمحمد على على الموانىء اليمنية ومدخل البحر الأحمر الجنوبى .

سابعا : ترتب على سيطرة قوات محمد على على السواحل الشرقية للبحر الأحمر ، فتح طريق مباشر عبر البحر الأحمر من مصر الى الحجاز وتجهيز الموانىء لاستقبال السفن فى أى وقت ، وتكوين قوة تابعة لمحمد على تعمل على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، وجعل ميناء السويس قاعدة عسكرية لاسطول مصر فى البحر الأحمر ترسو به السفن الاحتياطية الزائدةعلى الحاجة، وجعل موانىء الساحل الشرقى للبحر الأحمر الوسيط لنقل تجارة الشرق

الأقصى والهند الى الموانىء المصرية على الساحل الغربى للبحر الأحمر .

أضف الى ذلك مراقبة محمد على الدائمة للحركة الملاحية فى البحر الأحمر ، وتشييده مراكب مهمتها مكافحة تهريب البضائع فى هذا البحر .

ثامنا : بعد وصول قوات محمد على الى السودان عام ١٢٣٥ — ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م) نجح محمد على فى انشاء خط ملاحى مباشر بين سواكن والسويس ، مما ساعد على تنشيط الحركة التجارية بين مصر والسودان ، وتطلع محمد على الى ضم الحبشة ، ومحاولاته من أجل السيطرة عليها تأمينا لتوسعاته على الساحل الغربى للبحر الأحمر والانتفاع بالبن الحبشى .

وقد أوضحت الدراسة أن رفض بريطانيا والدولة العثمانية ضم محمد على للحبشة كان يرجع الى عدم رغبتهم فى ازدياد نفوذ محمد على على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، ولكن تمخضت نشاطات محمد على من أجل ايجاد منافذ أبعد على ساحل البحر الأحمر الافريقى عن اسناد ادارة ميناءى سواكن ومصوع الى الادارة المصرية فى أواخر عهد محمد على الذى تمكن من السيطرة على الهاربين من تأدية العوائد الجمركية الفارين من مديرية التاكا .

تاسعا : لعل من أهم ما أبرزته هذه الدراسة أيضا الدقة والنظام العالى الذى تميز بهما النظام الجمركى الذى أوجده محمد على ، وذلك من حيث الايرادات والاعفاءات ، وكيف أصبحت ادارة الجمارك مصدرا من مصادر التمويل التجارى حيث انفردت بشراء ثلث واردات مصر .

عاشرا : انفردت هذه الدراسة بنفى التهمة عن وجود سفن

قرصنة تابعة للسلفيين فى البحر الأحمر ، بعد أن أورد أحد الباحثين وجود قرصنة السلفيين فى قنفدة ، ولكن هذه الدراسة أوضحت أن كل ما هنالك أنه كانت توجد سفينة صغيرة فى البحر الأحمر تقوم بأعمال القرصنة ، وتمكن من القضاء عليها « جمعة أغا » أمير القنفدة ، وتجدر الاشارة الى أن هذه الوثيقة التى أوردت ذلك لم تشر الى أن أصحابها كانوا من السلفيين .

ولعل ما يجب ذكره أن سياسة مصر فى البحر الأحمر التى رسمها محمد على فى النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت تهدف الى ايجاد منافذ على البحر الأحمر لتصريف البضائع المصرية وزيادة التبادل التجارى بين مصر والدول المطلة على البحر الأحمر ؛ كما أنه يمكن القول بأن محمد على قد رسم لخلفائه من بعده سياسة واضحة لادخال الاقاليم الافريقية المطلة على البحر الأحمر تحت الادارة المصرية .



ملاحق الدراسة :

ملحق رقم (١)

دار الوثائق القومية ــ القاهرة

محافظ بحر برا ، محفظة (١) ، وثيقة (٢٢)

بتاريخ : ٢٣ محرم ١٢٢٥ هـ / ٢٨ فبراير ١٨١٠ م

موضوعها : طلب الدولة العثمانية من محمد على الاهتمام بمسألة الحجاز ، وبدء محمد على الاهتمام باعداد المهمات اللازمة للحملة(١) .

من عبده سليمان

الى ولى النعم

حضرة سيدى ، ولى النعم ، كريم الشيم ، صاحب الدولة والعناية والعطوفة ، تفضلتم وأرسلتم الى طرف عبدكم ، الافادة الواردة ، والمحتوية على أنه حصل التفضـــل بالعفو عن : جرائم الأمراء المصرية ، وأجرى الصلح معهم ، يربطهم ببعض الشروط ثم اقعدوا فى ظل مصر ، وفى المحل المسمى « جيزة » ، وأنه بالنظر الى قحط وقلة الغلال ، بسبب حلول آخر السنة فى هذا الأوان ، ستجمع اللال اللازمة ، حين ظهور المحصول الجديد ، بمقدار كاف وواف ، الى ميناءى « القصير » و « السويس » وترسل بعض

آلاف من العساكر البيادة ، الى جهتى « جدة » و « ينبع » وبعده ترسل العساكر السوارى المهيأة ، سواء كان واليا الشام وبغداد قاما بالمعاونة أو لم يقوما بها ، وان جميع اللوازم جاهزة وحاضرة ، غير أنكم تفضلتم وطلبتم ما هو غير موجود بذلك الطرف ، من عدد عربيات المدافع ، وقليلا من المهمات ، وكذلك تفضلتم بارسال البيان ، عن أنه بالنظر الى العشرين مركبا الجارى انشاؤها فى جهة السويس لأجل العساكر والذخائر والثلاث السفن الحربية ، التى حصل الاحتياج اليها ، بخلاف المراكب المذكورة ، واستحضرت الأخشاب والآلات اللازمة لسفينة تبلغ احدى وثلاثين ذراعا ، وأرسلت الى السويس بتحميلها على الجمال ، ثم بوشر انشاؤها ، وان عبدكم اسماعيل قبودان ، أركب فى السفينة البالغة ستا وثلاثين ذراعا ، التى أنشئت فى الأسكندرية ، بمعرفة عبدكم محمد أغا ، وجرى مشترى سفينة أخرى ، أيضا ، وأن القبودان المومأ اليه ، أرسل لأجل أن يقوم بالنقل الى : السويس ، بعد أن تمر هاتان السفينتان، باقليم أفريقيا ، وأن يظهر المحصول الجديد ، لحين مرور السفينتين المذكورتان ، ووصولهما الى : السويس ، كما أنه تفضلتم بالاهتمام، ومزيد السعى التام ، بخصوص ارسال جيش عظيم ، برا وبحرا ، وتخليص الحرمين الشريفين ، من أيادى الوهابيين المنحوسين ، من غير شك ، ثم ان افادتكم السنية الواردة هذه المرة ، عرضت وقدمت الى الحضرة السلطانية ، الفائقة بالأنوار ، لحضرة أفندينا وولى نعمتنا صاحب الشوكة والمهابة والقدرة والكرامة ، سلطان العالم ، وذو الشيم الرحيم ، وعندما تفضل بالنظر اليها ، والعلم بما جاء بها ، وصارت غيرتكم وصداقتكم الوزيرية التى بذلت قلبا وروحا ، فى خدمة الدولة العلية ، موجبة الحظ والانبساط لذاته الملكية ، كما أنها صارت ذريعة لمزيد حسن التوجه السلطانى ، وهذا غنى عن البيان ، وأيضا فان تدابير ذاتكم العالية ، التى هى على

هذا الوجه ، أوجبت الامتداح والاســـتحسان ، والاعجاب الملكى ، وبما أنه من الجلى ، انكم نلتم الدعاء الخيرى ، لحضرة السلطان ، فى غرفة بردة السعادة ، المتعلقة بحضرة رسول الله فعندما يحصل علمكم العالى ، بأن تنظيم واتمام هذا الخصوص ، مأمول من ذاتكم السامية ، وهو طلب حضرة السلطان ، فانكم من غير شك ستبذلون القدرة فى تسوية وتنظيم هذه المصلحة ، وتتفضلون بالهمة ، فى ان تكون حسن شهادتنا الواقعة فى حق ذاتكم الوزيرية ، مصدقة ومؤكدة وتكون هذه الخدمة الشريفة باعثة لشفاعة حضرة ســيد الكونين ، ومؤديه للسلامة فى الدارين ، فالمولى المعين عز وجل ، يجعل توفيقاته الصمدانية ، رفيقه وواصله فى جميع أموركم العلية .

حضرة سيدى ولى النعم ذو العناية ، أن خدمتكم وصداقتكم ، وجميع أعمالكم الوزيرية ، المبذولة فى أمور الدولة العلية ، صارت معلومة ، لحضرة صاحب التاج ، وبينما كان عبدكم ، عمر أغا كاشف من رؤساء بوابى الباب العالى ، على وشك التعيين والذهاب ، قبل هذا ، بالأمر الجليل الشأن ، المتعلق بابقاء الولاية المصرية صـــدر النطق السلطانى بأن ذهاب المذكور ، لا يناسبه فى أوان مشغوليتكم، وقد صدر الأمر الملكى ، بخصوص ارسال أمر الابقاء المنوه عنه ، مع عبدكم ابراهيم أفندى المهردار ، ثم ان ذلك لم يكن بشـــفاعة ووساطة أحد ما ، بل تجلى من قريحة السلطان ، فالمولى الخالق يجعل الجسم المبارك السلطانى لأفندينا وولى نعمتنا ، حضرة صاحب الشوكة والمهابة والكرامة خليفة الله فى أرضه ، مأمونا ومصونا من جميع الأخطاء والأخطار دائما ومقرونا بالأبدية ، فى سرير سلطنته، ويجعل حضرة ســيدى أيضا ، موفقا فى كثرة اظهار الخدمات ، والآثار الجميلة ، الموافقة لرضاء السلطان ، فى ظل سلطنته آمين ، هذا وقد أرسلت وقدمت عريضة عبدكم ، بخصوص الافادة عما ذكر والاستئسار عن مزاج دولتكم ، فلدى الوصول بمنه تعالى ، وحصول

علمكم العالى ، بأن المهمات السالفة الذكر التى تفضلتم بطلبها ، بموجب كشف ، جار تحميلها وارسالها من طرف الدولة العلية ، فان الأمر والفرمان بألا تنسوا وتبعدوا عبدكم الصادق هذا ، من توجهاتكم القلبية ، مفوض الى سيدى ، ولى النعم ، كريم الشيم حضرة صاحب الدولة والعناية .

ملحق رقم (٢)

دار الوثائق القومية ــ القاهرة

محافظ بحر برا ، محفظة (١) ، وثيقة (٢٣)

بتاريخ : ١٠ صفر ١٢٢٥ هـ / ١٧ مارس ١٨١٠ م

موضوعها : ايضاح الاستعدادات التى يبذلها محمد على فى اعداد الحملة ، وحاجته الى سفينة حربية ، جرى الاتصال بالحكومة الانجليزية لاستئجارها ، التى رات بدورها ارسالها من قبل حكومة الهند(٢) .

« حضرة سيدى ، وأخى الأعز الأكرم ، صاحب السعادة والمكرمية والمودة والمروءة ، وردت ووصلت افادتكم المنطوية على آيات السعادة التى تفضلتم بارسالها قبل هذا ، المشتملة على ما بذلته ذأتكم العالية ، فى المصلحة الحجازية ، من الاقدام التام ، والهمة والاهتمام ، والمحتوية على لزوم اصدار أمر عال يوجه الى حضرة الشريف باللغة العربية لأن من الملحوظ ، الا يقبل الشريف المشار اليه العساكر التى سترسل ، وأن يمانع فى دخولهم ، وعلى لزوم ارسال مهمات الى طرفكم العالى بموجب الكشف المرسل ، وقداطلعنا باخلاص على مفهومها ومؤداها ، وحصلت المنونية الوافرة لدى المخلص من هممكم الكاملة ، المبذولة فى المصلحة الخيرية المذكورة ، ثم عرضت افادتكم المذكورة على الأعتاب

السلطانية ، وصارت مشمولة بالنظر السلطانى ، وبما أن ذاتكم السعيدة مشهورة بالروية والحمية الكاملة ، وأن تفضلتم بالسعى والغيرة فى شأن حسن تنسيق جميع الأمور المنوطة بكم ، والقيام بها ، وعلى الأخص فى هذه المصلحة الخيرية هو غنى عن البيان ، فان شاء الله الملك المعين ، تتفضلون بتخليص البلدتين المباركتين ، من أيادى الوهابيين ، بجهودكم العالية وتطهرون تلك الجهات المباركة من تلويث أجسامهم ، وبذلك توجدون النشاط والسرور فى قلوب الموحدين المنكسرة ، فالمولى ولى التوفيق يجعل توفيقاته العتبة ومعونته الخفية ، ملازمة ورفيقة لجميع أحوالكم آمين .

هذا وحيث أن اسعاف مسائلكم المحررة ، لازم لذمة المخلص لكم ، وواجب على عهدته ، فقد أصدر أمر عال عربى العبارة الى حضرة الشريف المشار اليه ، طبقا لاشعاركم العالى وأرسلت مكاتبة مخصوصة ، من طرف المخلص أيضا ، بحسب ما يقتضى كما أنه جرى ترتيب احد عشر الف قنبلة ، من وجود الطوبخانة العامة(٣) وثمانية عشر ألف قنبلة معمل براوشتة من المهمات التى تفضلتم بطلبها وأرسلت بحرا ، وبالنظر الى عدم وجود القذائف المسماة (خميرة) فانه جار ترتيبها ، واضافتها من جديد وعليه فلدى استكمالها ، سيجرى ارسالها تماما ، عقب القنابل ، وكما انه وان كنتم تفضلتم بطلب عشرين عربة مدفع ، من نوع جرخة ، فانه بناء على عدم وجود الجاهز منها ، وعدم التفضل بايضاح عيارها أيضا ، أرسلت عشر عربات مدفع جرخة من نوعين ، وسيجرى تدارك وارسال الباقى منها أيضا ، لدى الاشعار من طرفكم العالى ، عن عيارها المطلوب ، فعند حصول علمكم العالى بأنه أرسل كشف المهمات المذكورة طى مكاتبة المخلص هذه ، نرجو التفضل الغيرة والروية ، فى خصوص تطهير الأراضى المباركة من تلويث أجسام

الخوارج وبذل المقدرة فى الحصول على حصة فى كل سنة ، مما سيكتسبه الحجـــاج ذوو الابتهـــاج الذين يتمرغون فى كعبة الله ، ويزورون روضة حبيب الله من الثواب الجليل ، وقد حررت مكاتبة المخلص بما ذكر وأرسلت الى طرفكم السعيد ، فلدى الوصول إن شاء الله تعالى ، فان التفضل بالمهمة فى العمل على الوجه المحرر منوط بعهدة حجتكم .

حاشـــــية

حضرة سيدى ، وأخى الأعز الأكرم ، صاحب السعادة والمكرمة والمودة والمروءة ، ان مزايا مكاتبة سعادتكم الواردة مؤخرا ايضا ، أصبحت معلومة للمخلص لكم ، كما أن الهمة وكمال الدقة الواقعة من ذاتكم العالية فى المصلحة الخيرية المذكورة يعلم الله أنها صارت ذريعة للسرور والابتهاج ، الذى لا حد له من غير شك ، وقد عرضت أيضا مكاتبتكم السنية هذه على حضرة صاحب التاج الموقر العالى ، ونظرت من جانب السلطان ، وحيث انكم تفضلتم وحررتم فى افادتكم العالية هذه مسألة مشترى سفينة من سفن الانكليز الموجودة فى مالطة ، فلدى مذاكرة الخصوص المذكور مع سفير انكلتره المقيم فى استانبول ، أفاد السفير المشار اليه بأن انكلترا لا يمكنها بيع سفينة ما لأنها فى أشد الحاجة الى السفن ، بل من الممكن اعطاء سفينة بوجه الاعارة وقد قال « اننا ننظر فى مداركة سفينة بحسب العمل الذى تستخدم الدولة العلية السفينة فيه » وعندما أفيد بأن السفينة سيجرى استخدامها فى مسألة الحجاز ، أظهر الموافقة على

اعطاء سفينة من جهة الهند ، قائلا « ان فرز واعطاء سفينة من سفننا التى فى جهة الهند أمر ممكن ولدى أفادته بأن المطلوب منهم هو سفينة وأن العساكر والبحارة الذين سيستخدمون فيها يجرى تجهيزهم من طرف الدولة العلية ، وأنه لا لزوم الى بحارتهم أفاد بانه بالنظر الى قرب المسافة يجرى استحضار سفينتين الى السويس ، وتنقل بحارة احداهما الى الأخرى ، ثم يعطون السفينة التى تبقى خالية ، غير أن هذه الصورة لم تقبل من طرف الدولة العلية لملاحظة بعض المحاذير حسب المصلحة ، ولذلك اجريت المذاكرة مع عبدكم ووكيلكم الافندى وصمم على تدارك السفينة المطلوبة من جهات صوليجة وجامليجة(٤) أو من أسطول الدولة العلية ولكن بما أن خروج هذه السفن من مضيق جبل طارق ، ووصولها الى الجهة المقصودة بعد مرورها على رأس الأمل(٥) يحتاج الى مدة طويلة بدون اشكال فما هو رأى ونظرية ذاتكم السامية فى هذا الشأن ؟ وحيث أن هذه السفن ستمر فى هذه الحالة من اقليم أفريقيا فاذا كان من المقدور امرارها بالمذاكرة مع الخبراء فى تلك الجهة ثم استخدامها فى أموركم فعندما تفيدون ذلك يجرى الاقدام على اجراء مقتضاه أى يجرى مداركته وارسال سفن من جزيرتى جامليجة وصوليجة أو من محل آخر على الوجه المحرر وقد صار بيان ما ذكر باعثا لتحشية المتن المشحون بالاخلاص » .

بنم سعادتلو مکرمتلو مروتلو مرحمتلو قرنداشم اعز واکرم سلطانم حضرتلری

مؤخرا رسیده جای قدر و اولان تحریرات سعادتلری مزایاسی دخی موجب وهاب الطوع محفوظ
اولوب معلمات خیریه مرقومه به واقع اولان همت دکان وقت وستودیلری هذاکواه جواشبا
قدیم مسار وابتهاج نامعدود اولمغله اشبو تحریرات سنیه لری دخی حضور معالی موفور حضرت
تاجداریه عرض وتقدیم اولنه رق منظور جناب پادشاهی بیورلمشدر اشبو تحریرات
انکلتره دولتی مالکانه اولان گمیلردن برقطعه سفینه اشتراسی مادهسی تحریر وترقیم بیورلمش
اولمغین خصوص مذکورده سعادتلو مقیم انکلتره ایلچیسی لدی المذاکره انکلتره لوده سفینه لرک
اشتراسی اولنمدیغندن شراء سفینه دیره میجه عادت اعطا کلمکده لکن دولت علیه یه سفینه
لزومنده استخدام ایده جلب اکا کوره تدارکنه باقیلر دیمش اولدیغنه بناء تجار مصلحتنده
استخدام اولنه جقده بیو بیان اولنمشدر برنم هند طرفنده اولان سفائن دن افراز واعطا کلمکده
لیو هند جانبنده وبرلمی اولان ایدکن سنه دن سفینه مطلوبه عسکریه ومدوح دولت علیه
طرفندن تجهیز اولنه رق کندیلرینک طاقتلرینک لزومی اولدیغی اشعار اولنمشدر قریبیه
سویلدی ایکی قطعه سفینه کتوردیلوب برینک ملومانی دیکرینه تعیین اولنه رق ایکی قاپوجق
سفینه یی اعطا ایده جکلری بیان اولنمش ایسه دخی بوصورت حسب المصلحه بعض محذوری مطالعه
طرف دولت علیه دن قبول اولنمیوب تیوکنجلری اشبو یازیلرله بالمذاکره صونیه وجانبیه
طرفلرنده یاخود دولت علیه دوننماسنده مطلوبه بیوریلوب سفینه لرک تدارکی تعیین قلنمق
اولوب ایکی اشبو سفینه لر سفینه بوغازدن خروج ایله امید بودرنده طولوسبی صونیه
واصل اولمق مدت مدیده یه محتاج اولدیغی جای اشکال اولدیغندن بوبابده رأی ومطالعه
توجیه اولنمق اقتضاسی دولتشجق اولدیغندن اولطرفده ارباب وقوف ایله بالمذاکره
دولتشرجه امور کذره استخدامی مقدورایه اشعار بیورلدقده مقتضاسنک اجراسنه دقت
بروجه محرر جانبیه وصونیه جزیره لرنده ویاخود سائر کدده سفینه تدارکی وارسانه
اقدام اولنمق افاده سی تحفیه مفتن تحالفته بادی اولمشدر

ملحق رقم (٣)

دار الوثائق القومية ـــ القاهرة

محافظ الأبحاث ، محفظة (٥ ٩) ، دفتر (١) ، معية تركى ، وثيقة (٧٠)

بتاريخ : ٩ شعبان ١٢٢٦ هـ / ٢٩ أغسطس ١٨١١ م

موضوعها : صورة القائمة المحررة اخبارا عن ارسال العساكر المشاة بحرا للحجاز على قسمين باركابهم فى ثلاث وستين سفينة .

قد كان بين وأفيد فى عريضة لى سابقة عن نقل العساكر المشاة المقرر ارسالهم الى الحجاز بحرا البالغ عددهم سبعة آلاف جندى الى مرفأ السويس صحبة عبدكم ، وهانحن لما وصلنا الى المرفأ المذكور مع هؤلاء العساكر أركبناهم فى ثلاث وستين سفينة كانت مهيأة بمرفأ السويس بناء واستئجارا بترتيبهم **على** قسمين فأرسل القسم الأول منهما من السويس فى اليوم التاسع عشر من شهر رجب على أن يصلوا توا الى مرفأ ينبع وأرسل القسم الآخر من هؤلاء العساكر فى خامس شهر شعبان الجارى على أن يجتازوا ويمروا بمرفأ ينبع فالله سبحانه وتعالى يمن عليهم بالسلامة آمين ، وعندما تمت مصلحة هذا المخلص وشغله هناك عدت من السويس ولدى ورودى مصر انصرفت الى شغل تجهيز جيش ولدى طوسون أحمد باشا والى استكمال أسباب تسييره فى مدة أيام قلائل ، وكان سبق منى الافادة والتنبيه لقواد هؤلاء العساكر البحرية السالف ذكر تسييرهم لدى ارسالهم الا يتخطوا ينبع بأن يمكثوا هناك منتظرين لوصول جيش الباشا المومأ اليه الى حوالى ينبع مع الحركة

واجراء التدبير بما تقتضى به المصلحة لدى اجتماع الجيشين بوصول جيش الباشا المومأ اليه بمنه تعالى الى الحوالى المذكورة كما زودوا بتعليمات ووصايا أخرى والظاهر أنهم وصلوا لحد الآن الى محال مأموريتهم ودخلوا فيها كما هو مأمول هذا العاجز ولكن حيث لم يأت منهم خبر الى الآن ولم أعلم كيف وصلوا الى مرفأ ينبع وعلى أى صورة دخلوا فيها لم يكن فى هذه المرة تحرير ما يتعلق بفتوحات الأبواب الحجازية وبسائر الحوادث الى الباب العالى بيد أنى ان تشرفى بوصول بشارة عن ينبع الى طرفنا فى هذه الأيام ان شاء الله الرحمن يطير خبر البشارة عن ذلك حالا ويقع اشعاره خاصة الى العتبة العلية مستقر العدالة ، وأما تأخير ترحيل جيش ولدى طوسون باشا بعدة أيام فناشىء من عدم اتمام تجهيز ما رتب من الزاد والذخيرة للمحلين المدعوين نخيلة والعقبة الواقعين فى الطريق البرى المستقيم وحيث لم يبق له شىء من النواقص سوى ذلك يرحل جيش الباشا المومأ اليه بعناية الله تعالى باستكمال تجهيز ذلك في مدة أيام معدودة ، والأمر لمولاى عندما أصبح ذلك معلوما لديه .

فى ١٩ رجب ١٢٢٦ هـ ، تاريخ ارسال العساكر البحرية الى ينبع .

فى ٥ شعبان ١٢٢٦ هـ ، تاريخ ارسال العساكر البحرية الى مويلح والوجه (وش) .

فى ٩ شعبان ١٢٢٦ هـ ، تاريخ التحريرات .

ملحق رقم (٤)

دار الوثائق القومية ــ القاهرة

محافظ الأبحاث ، محفظة (٩٥) ، مقيدة بالدفتر (١) ، معية تركى ، وثيقة (٧٣)

بتاريخ : غرة رمضان ١٢٢٦ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨١١ م

موضوعها : الاستيلاء على قلعتى ينبع والمويلح

بينما أنا على وشك أن أخرج وأوجه سعاتى هؤلاء نحوكم اذ ورد بريد الصحراء المزدوج بريد الجمال بنجابية(٦) الى مصر من مرفأى ينبع ومويلح فى عشرة أيام بأوراق عربية من قائدى القسمين من العساكر المرسلة سابقا باركابهم على السفن ، ومن مضامين تلك الأوراق أنهم حينما اقتربوا من المرفأين المذكورين وقع نظــر حشرات الوهابيين المأمورين بالمحافظة والحراسة فى تلك الجهات المقيمين هناك على جنودنا اســــتولى الرعب والغرق على هؤلاء الحشرات من عند الله فى الحال فاتجهوا نحو تخليص أرواحهم من غير أن يخطر ببالهم أن يظهروا بمظهر المقابلة والمحاربة ، ورغبوا فى الاستئمان من قوادنا حتى خلوا القلعتين المذكورتين بأخذ أموالهم وأشـــــيائهم على أمان فقفلوا منهزمين ، الى جانب المدينة المنورة فانتزع عساكرنا المذكورة مرفأى ينبع ومويلح المذكورين من أيدى الروافض من غير محاربة ولا مغالبة وتيسر لهم تســـخيرهما بهذا

الوجه ولم يقع أدنى مضايقة ولا أيسر تعد على باقى سكان البلاد مع اقامة العساكر فى داخل القلعتين المذكورتين منتظرين الى ورود القائد العام (سر عسكر) الباشا المومأ اليه الى تلك الحوالى حسـبما بشر بذلك القائدان المومأ اليهما المعينان على العسـاكر البحرية المذكورة فيما حرراه ، وبناء على ذلك حرر هذا الورق عقب ورود ذلك ووضع طى عريضة عبدكم بدءا ومباشرة بالتبشير على هذا الوجه ، فمرجو عهدكم عندما اتصل ذلك بعلمكم العالى بمنه تعالى واستبشرهم بهذه البشـارة ان تبذلوا الهمة القلبية بشأن حصـول التوفيق بسـهولة للفتوحات الجليلة التى تعقب تلك الفتوحات .

ملحق رقم (٥)

دار الوثائق القومية ــ القاهرة

محافظ الأبحاث ،محفظة (٩٦) ، دفتر (١٤) ، معية تركى ، ورقة (٣٩) ، وثيقة (٢٩٤)

من : الجناب العالى ، الى : محافظ جدة

بتاريخ : ٢٦ جمادى الأولى ١٢٣٩ هـ / ٢٨ يناير ١٨٢٤ م

موضوعها : تجهيز جمعة أغا أمير القنفدة خمس سفن للقضاء على أصحاب السفينة الصغيرة التى تقوم بأعمال القرصنة فى البحر الأحمر .

قد وردت مكاتباتكم التى تذكرون فيها أن الشريف بركات لم يكن مشتركا فى واقعة قوز ، وأن ابن عم شيخ قوز قتل فى تلك الموقعة، وأن جمعة أغا لما تحقق من أن سفينة صغيرة تقول بأعمال القرصنة فى خليج خق ، جهد خمس سفن من طراز شالوية ووضع ٢٥٠ نفرا من الحضارمة وأرسلها لمنع الأضرار التى ينزلها القرصان وأن ولدنا الباشا الحافظ مستعد للقيام من الطائف فى أوائل ربيع الآخر ، وأنكم أرسلتم نحو ٣٥٠٠ عدد من شجر البن الوارد من طريق القصير وجدة مناصفة ، وأن ترميم قلعة القنفدة انتهى وأنكم سترسلون الكشف قريبا ، وأن القواص الذى سيرد من الطائف بمكاتبات الباشا المحافظ ستقومون بعرض حوادث عسير ، واطلعنا على كل ما جاء فيها فنطلب منكم متابعة عرض الأخبار وارسال المكاتبات مع عدم تجويز الاهمال .

شریف بر کاغدی قوزوقمه سنده اولدیغی وقوزشیخنك عموجه سی اولدیغی او وقعه ده قتل اولندیغی وخصمه صورتنه بر کوچك قایغك
قورسانلر ایتدیکی جمعه اغا طرفندن تعمیر اولنمقده ودوت اولادن بش قطعه شالوپه یه ایکیوز نفر مصری جمعیه اول قوت بلك
مضیقی دفع ایچون کوندرمش اولدیغی ومحافظ پاشا اوغلیلری حضرتلری ربیع الآخر اولنده مالیقده حرکته مهیا ایدیکی وجلوجه قهوه جیرینده
بر اوجیلك بشیوز نفر قدر عسکر قصبه وجده یه بالمناصفه کوندرلك وقوتنقده قسمه سی تعمیر وهیته ختام اولنمقده فاتحه سی
ورسال اولنور اولدیغی اولدیغی ومومی الیه پاشا اوغلیلری تحریراتیه مالیقده کلمك اوزره مهیا اولدیغی قواص کیدرك جوادتلك بدیرجی
افاده ضمننده بعث اولنان عریضه لری کلمش ومالدلری معلوممز اولمشدر اولحضرته طوغری کوندرلمز. وبدیریه جی بدومله مقتضای ماعدالری دیدم
اولمقده هیچ بر خصوصده اهمالی جائز کورلمز مطلوبمزدر دیو جده محافظنه تعقه یازلمشدر

ملحق رقم (٦)

دار الوثائق القومية ــ القاهرة

محافظ الأبحاث ، محفظة (١٠) ، دفتر (٨) ، عابدين ، ترجمة الخطاب رقم (٤٢٩)

من : الجناب العالى ، الى : الباب العالى

[illegible] .

موضوعها : الحاق سواكن ومصـــوع بمديرية التاكا للقضاء على الأقاويل التى تحدث من العـــرب الذين يأبون تأدية العوائد ويلجأون الى هذين الميناءين .

وصل كتاب دولتكم فاطلعت على مغزاه الكريم وقد جاء فيه أن دولتكم قد اطلعتم على خطابى المرسل الى عطوفة البك قبوكتخدائى لاشـــــــعاركم فيه بأن شريف باشا والى جدة كتب لى أن أتجنب المأمورين من رتبة البكباشى اللذين يجب تعيينهما من مصر لميناءى مصوع وسواكن ليتوليا ادارتهما مقابل زيادة عوائدهما وجمركهما ٥٠ ٪ مما يحصل منهما الآن لخزانة جدة ثم أرسلهما الى هناك على أن يقوم شريف باشا بتعيينهما هناك ، وأن دولتكم كذلك قد اطلعتم على افادة الوالى المشار اليه ثم قدمتم خطابى والافادة الى عظمة السلطان واستأذنتموه فى هذا السبيل فتفضل عظمته وأصدر أمره الكريم بالموافقة على ذلك ، وعليه فاننى قد انتخبت البكباشيين ثم

أرسلتهما الى طرق الوالى المشار اليه مع كتاب دولتكم كما فهمتهما كيفية مأموريتهما على أن التماسنا الحاق الميناءين المذكورين بمديرية تاكا لم يكن بقصد التجارة ولا بجر المنفعة الينا كما هو غنى عن البيان لدولتكم الا للضرورة لأن العرب الهمج فى مديرية تاكة الذين يأبون تأدية العوائد يلجأون الى هذين الميناءين لكونهما على حدود تاكا فزيد بذلك الأقاويل التى تحدث من التجاء أولئك العرب الى هناك ، ونصون أنفسنا منهم ، وكان تفضل عظمة السلطان باسعاف طلبنا هذا قد جاء منه منة أدخلت السرور البالغ فى قلوبنا وجعلتنا نفتخر باختصاصاتنا لعظمته فاننى قد رفعت أكف الضراعة والابتهال الى الله ودعوت للذات السلطانية بدوام عمرها وعزها وملكها كما دعوت لدولتكم بدعاء حار وأثنيت عليكم ثناء طيبا ومن ثم فانى أرجو الا أحرم من تعطفات دولتكم أيضا من بعد الآن وعلى كل فالأمر لدولتكم .

ملحق رقم (٧)

دار الوثائق القومية ــ القاهرة

محافظ الأبحاث ، محفظة (١١) ، دفتر (٤٣٨) ، معية تركى ، وثيقة (٤٤١) .

بتاريخ : ٢٩ شوال ١٢٦٣ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٤٦ م

موضوعها : ارسال اللوازم العسكرية التى طلبها مدير مصوع .

كتب الينا مدير مصوع يطلب موافاته بخمسة عشر صندوقا من قذائف البنادق عيار سبعة دراهم وخمسة صناديق من بارود البنادق وبعد المخاطبات التى دارت فى هذا الشأن صدرت ارادة سنية بتاريخ (٢٥ شوال ١٢٦٣ هـ) تقضى بارسال هذه المواد الى مدير مصوع ، بيد أنه رؤى أن الكمية المطلوبة من هذين الصنفين قليلة لا تستحق عناء شحنها وتوصيلها من مصر الى مصوع اذ أن فى ذلك ما فيه من النفقات والأتعاب فى حين أن من الممكن ارسال هذه الكمية من القذائف والبارود من احدى مديريات السودان القريبة من مصوع وهى متوافرة هناك فالمرجو أن تتبعوا هذه الخطة ، حتى اذا ما لزم لمديريات السودان أية كمية من الجبخانة كتبتم فى ذلك الى ديوان الجهادية فيبادر الى موافاتكم بها وقد أحطنا ديوان الجهادية بذلك ، فعسى أن ترسلوا الى مصوع المطلوبة بسرعة نظرا للحاجة اليها هناك .

ملحق رقم (٨)

دار الوثائق القومية ـــ القاهرة

محافظ الأبحاث ، محفظة (١١) ، دفتر (٤٤٦) ، وارد المعية السنية، وثيقة (١٥٨٥)

بتاريخ : ٥ ربيع الأول ١٢٦٤ هـ / ١ فبراير ١٨٤٨ م

ووصوله يوم ٨ جمادى الأولى ١٢٦٤ هـ / ١٢ ابريل ١٨٤٨ م .

موضوعها : الاخبار عن ارسال العينة التى استخرجها مدير مصوع الى مصر .

من مدير مصـــوع :

يذكر فى كتابه أنه أرسل الى المالية بتاريخ ٢٩ محرم ١٢٦٤هـ عينة الحشـــرات التى اســـتخرجها من البحر بناء على الارادة المؤرخة فى ١٣ ذى الحجة ١٢٦٣ هـ الواردة له وانه عندما تأتى أجزاؤها فانه سيفرج عنها ويملأ منها خمسين صندوقا بالتكمبل وسيرسلها .

(حيث انه قد سلم صندوق الحشرات المذكور الى برهان بك برأى المجلس فلا جواب له) .

ملحق رقم (٩)

دار الوثائق القومية ــ القاهرة

محافظ بحر برا ، محفظة (١٨) ، وثيقة (٩٢)

من : شريف محمد رائف ، الى : المعية

بتاريخ : ٩ شوال ١٢٦٣ هـ / ٢١ نسبتمبر ١٨٤٧ م

موضوع الوثيقة : النواحى المالية

سيدى حضرة صاحب العزة

وصل كتابكم المؤرخ ٦ شعبان ١٢٦٣ هـ ، وقد أشرتم فيه الى مبلغ ٥٥٢١ ريالا فرنسيا من صنف « أبو عمود » و ٥٠٠ قرش وكسور الذى أخذ من جمرك سواكن الى خزانة جدة والذى سبق أن أشعرت به الى مالية مصر فى كتابى المؤرخ ٢١ ربيع الآخر ١٢٦٣ هـ وطلبتم لزوم ادخال هذا المبلغ فى الحوالات وارسال سنده ولكن لما كتب الى مالية مصر كتاب مفصل فى صورة سند بين قيمة أن الريالات السالفة الذكر التى سلمت من ايراد جمرك سواكن الى خزانة جدة انما سلمت اليها على أن تحسب على « البدل المقطوع » الذى تطالب بهاخزانة مالية الآستانة(٧) جمرك سواكن بتسوية مضموما اليه نصف ايراده السابق ابتداء من غرة محرم ١٢٦٣ هـ فليس هناك ما يوجب على خزانة جدة أن تقدم الى خزانة مالية الآستانة سندا بالمبلغ المذكور ولذلك صرف النظر عن ادراج الريالات السالفة الذكر فى سند الحوالات وبودر الى اشعاركم بذلك ياسيدى .

عزتلو افندم حضرتلری

سنه ۱۲۹ [illegible] تاریخلی تحقیقه شتاشوری ایله مقدما مالیه نظارت جلیله‌سنه بیان وارنا قلعه‌سی اولان سواحل گمرکندن حبس خزینه

برینه اخذ وقبوله اوقات ده بشبیك بشیوز بیکرمی بر عدد درجال قرانلیق ایله بشیوز بوقدر غروشك حواله‌تا ادخالاته

سنه لازم سنك ایبال خصوصی ۱۲۹۶ تاریخلی معروض مورود اولان شقه برج لرینی ایجاب واشارت اولنمش اولدیغی

انجق گمرك مزبور حاصلاتندن [illegible] محرر خزینه برج مرقومه تسلیم اولنمش اولان ریالریال مزبوره گمرك مذکور

التزامی محرومی عهده‌سنده اعتبار ایله حاصلات سالفه‌سنه نصفی [illegible] ایله مالیه خزینه جلیله‌سنده تسویه‌سی عهده ذمت

بولنمقده [illegible] تسلیم خزینه اولدیغی جهتله مالیه نظارت طرفنه تفصیلا سند الله رده تحریر وارباده

قلعه‌سی اولدیغندن شعبه مبلغ مزبور ایچون مالیه خزینه جلیله‌سی طرفنه سند اعطاسی حبس خزینه برینه [illegible]

جهتله ریالریال مزبوره ناظر حواله‌سنه سندینه ادخالنده صرف نظر قلعه‌سی [illegible] بیانیله اشعاره ابتدار اولنشدر افندم

هوامش الملاحق من ص ١ الى ص ٩

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق الدولة السعودية الأولى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٥ — ٩٨ ، نقلت الترجمة من هذا الكتاب لدقتها .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق الدولة السعودية الأولى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٦ — ١٠٢ ، نقلت الترجمة عن هذا الكتاب لدقتهـــا .

(٣) الطوبخانة : المقصود مصنع المدافع .

(٤) صوليجة وجاملجية : جزيرتان من الجزر اليونانية التى كانت تابعة للدولة العثمانية آنذاك .

(٥) يقصد رأس الرجاء الصالح .وكان لابد من عبور السفن التى تأتى من ابلحر المتوسط الى البحر الاحمر حول أفريقيا ورأس الرجاء الصالح ، ثم المحيط الهندى ، فبحر العرب ، فالبحر الأحمر لأن قناة السويس لم تكن حفرت بعد .

(٦) النجاب : راكب الابل النجب ، كان يستخدم فى البريد المستعجل فى الصحارى .

(٧) فى الاصل خزانة المالية الجليلة والمراد بها مالية الاستانة على ما أعتقد

ملحق رقم (١٠)

الجـــــــداول

موضوعاتها كالتالى :

(١) ، (٢) صادرات مصر الى الحجاز فى عام (١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م)

(٣) المهمات المرسلة من مصر الى جدة فى عام (١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م)

(٤) صادرات شونة القصير وشونة السويس الى الحجاز فى عام (١٢٥٣ هـ / ١٨٣٨ م)

(٥) المهمات اللازمة لجبخـــــانة المدينـــة المنورة فى عام (١٢٥٤ هـ / ١٨٣٩ م)

(٦) محصولات ومصروفات جمارك مأموريات الحجاز فى عام (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م)

(٧) الغلال المرسلة من مصـــــــر الى الحجاز لغرض الحملة الموجهة الى اليمن .

(٨) بيان الوارد من الجلود الى مصـــــلحة الجلود فى عام (١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ — ١٨٣٨ م)

جدول رقم (١)

صادرات مصر الى الحجاز فى عام ١٢٢٤ هـ/١٨٢٨ م

الصنف	العدد	النوع
أرز	٩	أردب
عدس	٢	أردب
لوبية	١	أردب
فريك	١	أردب
حمص	١	أردب
قهوة	١٠٠	أقة
سجاد	٤	أقة
سكر	٣	قنطار
سمن	٢٠٠	قنطار
طقم البسة الجيش	٢	قنطار
صابون	٣	قنطار
شمعدان	١	قنطار
سلطة صدرية	١	قنطار
صديرى ومعطف لباس أرنؤوط	١٤	طقم
مركوب	١٥	زوج
قماش كتان	٦	ثوب
شال أبيض	٦	ثوب
بقسماط	٣	قنطار
طربوش	١٠	قنطار
عساكر	٤	أنفار

الجدول السابق يوضح عينة من صادرات مصر الى الحجاز فى عام (١٢٢٤ هـ / ١٨٢٨ م) التى حملها تيمور أغا محمد الى المدينة المنورة عن طريق ميناءى السويس وينبع(١) .

جدول رقم (٢)

صادرات مصر الى الحجاز فى عام (١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م)

الصنف	العدد	النوع
ارز دمياطى	٣	جوال
عدس وحمص ولوبية	٢٦	اردب
صـــــابون	٤	قنطار
دخـــــان	١	فردة
مركوب	٣٠٠	زوج
قميص	١٥٠	—
سكر	٣	قنطار
زيتون	٦	أقة
خزانة صندوق	٥٠	أقة
سحارة لوضع الأشياء	٢	أقة
عساكر	١٢	نفر
فلاحون للخدمة	٤	أنفار

الجدول السابق به الأصناف التى أرســـلها محمد على عام (١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م) أيضا الى المدينة المنورة ، وقد أمر عثمان أغا محافظ ينبع باعفائها من الرسوم الجمركية وتحميلها على ٣٥ جملا الى المدينة المنورة بدون أجرة(٢) .

جدول رقم (٣)

المهمات المرسلة الى جدة فى عام (١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م)

الصنف	العدد	النوع
قربة	٢٢٠	—
جوال لرحول الجمال	١٥٠	—
دوبارة	١٥٠	رطل
شبيكة للجمال	١٠	زوج
جالة(٣) من ليفة النخيل	٤١	—
طقم كسوه	٣٦	—
جلابية	٣٢	—
عساكر	١٢	نفر
شبوق للدخان	٢٠	—
طانجة	٤٠	زوج

الجدول السابق يتضمن المهمات الى أرسلت من مصر عبر البحر الأحمر عام (١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م) عن طريق السويس — جدة(٤) .

جـــدول رقم (٤)

صادرات شونة القصير وشونة السويس الى الحجاز

فى عام (١٢٥٣ هـ / ١٨٣٨ م)

الصنف	العدد	النوع
قمح	٧٦٧٧	أردب
شـــعير	١٥١٩٥	أردب
فول صويا	٦٨٨٩	أردب
عدس	١٩٠٧	أردب
دقيق	٤٠٠٧٢	قنطار
بقسماط	٣٦	أردب

الجدول السابق يوضح الصادر من شونة بندر القصـــير والصادر من شونة بندر السويس من (أول المحرم ١٢٥٣ هـ / ٧ أبريل ١٨٣٧ م) الى (١٥ شـــوال ١٢٥٣ هـ / ١٢ ينـــاير ١٨٣٨ م)(٥) .

جدول رقم (٥)

امر صادر من محمد على الى كتخداه بشحن المهمات اللازمة لجبخانة المدينة المنورة فى عام (١٢٥٤ هـ/١٨٣٨ م)

الصنف	العدد	النوع	المجموع
قذائف مدفع	٥٠٠	عيار ٢٥ر١	
	٦٠٠٠ر	عيار واحد	
	٣٥٠٠ر	عيار واحد	
	١٠٠٠ر		١١٠٠ر
ظروف خشب	٦٠٠	عيار ١٤	
	٧٠٠٠ر	عيار واحد او عشرة	
	٣٠٠٠ر	عيار واحد	١٠٦٠٠ر
لأجل المدافع والقنابل	٧٠٠ لأجل المدفع	عيار ١٤	
	١٠٠٠ر لأجل القنابل	عيار ١٤	١٧٠٠ر

تابع جدول رقم (٥)

امر صادر من محمد على الى كتخداه بشحن المهمات اللازمة

لجبخانة المدينة المنورة فى عام (١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م)

الصنف	العدد	النوع	المجموع
صالقم (نوع من المدافع)	٥٫٠٠٠	عيار ٧	
	٢٫٠٠٠	عيار ١٠	
	٥٠٠	عيار ١٤	
	٣٠٠	—	٧٫٨٠٠
خراطيش رصاص	٥٠	صندوق عيار ٦	
	٥٠	صندوق عيار ٥	١٠٠
بارود	١٥٠	قنطار	
صلدصروه(٦)	٢٠٠		
لوح صفيح	٤٠٠		
احذية وطوامير(٧) لأجل الآبار	٤٠	زوج	٧٩٠

الجدول السابق يوضح المهمات اللازم جلبها من مصـــر الى جبخانة المدينة المنورة فى عام (١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م) والتى أصدر محمد على امره الى كتخداه بشحنها من السويس على السفن الى الحجاز من طريق البحر الأحمر(٨) .

جدول رقم (٦)

محصولات ومصروفات جمارك ماموريات الحجاز

فى عام (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م)

المامورية	محصولات بالكيسة	مصروفات بالكيسة	صافى	عجز
جمرى جدة	١٩٩٠	١١٧(٩)	١٨٧٣	
جمرك سواكن	١٢٧	٣١	٩٦	
جمرك مصوع	٢٤٦	٢٧٦		٣٠ كيسة
جمرك قنفدة	٨١	٢٨	٥٣(١٠)	
جمرك ينبع البحر	١٦٩	٧٣(١١)	٩٦	

الجدول السابق به محصولات ومصروفات جمارك ماموريات الحجاز وذلك من (١٤ رجب ١٢٥٦ هـ / ١١ سبتمبر ١٨٤٩ م) حتى انفصـــــالها عن الادارة المصرية(١٢) .

جدول رقم (٧)

الغلال المرسلة من مصـــر الى الحجاز

لغرض الحملة الموجهة الى اليمن

الصنف	العدد	النوع
عدس	١٩٥٧	اردب
فول	١٩٦٢	اردب
صـــابون	٢٩٣	قنطار
بقسماط	١٩٥٧٣	قنطار
ســـــمن	٥٠٠٠	قنطار
دقيق	١٩٥٧٣	قنطار

الجدول السابق موضح به كمية الغلال المرسلة الى الحجاز عبر البحر الأحمر لغرض الحملة الموجهة الى اليمن(١٣) .

فيما يلى صورة الكشف المستخرج من مصلحة الجلود بجدة ، وفيه بيان الجلود الواردة الى جدة من البنادر المبينة فى خـــلال عام (١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م) ، والجلود المطلوب دبغها ســـنويا للآلايات الجهادية(١٤) .

جدول رقم (٨)

بيان الوارد من الجلود الى مصلحة الجلود
فى عام (١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م)

جملى	بقرى	ضانى	ماعز	وارد من بندر
٩	٤٠	٦٣٠	٦٦٩	اليمن
—	١٣	٥٥٣	١٥١	ينبع البحر
٨٠	٣١٧٠	٢٢٧٠	١٥١٠	مخا
٣٨٧	٧٨	٦٨٨	١٢٠٨	مكة المكرمة
—	١٢	٥٦٥	١٣٥٠	القنفدة
—	—	٨٤٥	١٢٨٥	الحديدة
—	١٢٠	٢٠٠	٢٦٥	مصوع
١٤	١٧٠	—	—	سواكن
١٢٠	٥٠	٨٤٠٠	٤٧٠٠	جدة
٦١٠	٣٦٥٣	١٤١٥١	١١١٣٨	

بيان الجلود المطلوب دبغها سنويا لورش آلايات الجهادية وفقا للكشوف الواردة من قبل نظار الورش

عدد	النوع
٨٢١٥٠	جلود ماعز
٢١١٢٥٠	جلود « حور » أحمر ضانى
٢٥٥٠	بقرى
١٩١٢	جلى

حاشية : ارسلت مكاتبة المحافظة والأوراق الأخرى الى مديرية الايرادات للاطلاع واجراء اللازم واعادة الأوراق ، فى (٨ شوال ١٢٥٤ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨٣٨ م) .

هوامش الملحق رقم (١٠)

(١) دار الوثائق القومية : محافظ الأبحاث ، محفظة (٩٨) : دفتر (٧٣٩) ، خديو تركى ، وثيقة (٧٠) ، من ديوان الخديو الى سليمان أفندى محافظ السويس ، بتاريخ (٢٣ محرم ١٢٤٤ هـ / ٤ أغسطس ١٨٢٨ م) .

(٢) دار الوثائق القومية ، محافظ الأبحاث ، محفظة (٩٨) ، دفتر (٧٣٩) ، ديوان خديو تركى ، وثيقة (٧٢) ، سبق ذكرها .

(٣) وردت كذلك فى الأصل .

(٤) دار الوثائق القومية : دفتر (٧٣٩) ، خديو تركى ، وثيقة (٣١٨) ، من ديوان الخديو الى سليمان أفندى محافظ السويس ، بتاريخ (١٢ رمضان ١٢٤٤ هـ / ١٩ مارس ١٨٢٨ م) .

(٥) دار الوثائق القومية : محافظ الأبحاث ، محفظ ((١٠٠) ، صورة ملحق الوثيقة بدون رقم أصلى والرقم الأحمر (١٩٦) ، بتاريخ (١٥ شوال ١٢٥٣ هـ / ١٢ يناير ١٨٣٨ م) .

(٦) غير مقروءة فى الأصل .

(٧) غير مقرعوة فى الأصل .

(٨) دار الوثائق القومية ، محافظ الأبحاث ، محفظة (١٠٢) ، دفتر (٢٦٣) ، عابدين ، وثيقة (٦٣) ، وارد بتاريخ (٣ رجب ١٢٥٤ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٨٣٨ م) .

(٩) فى الأصل ١١٦ .

(١٠ فى الأصل ٥٢ .

(١١) فى الأصل ٧٢ .

وبعد تصويب الخطأ أصبح اجمالى الايرادات ٢٦١٤ كيســــة ، واجمالى المصروفات ٥٢٦ كيسة ، والصافى ٢٠٨٧ كيسة ، حسب الاجمالى الوارد فى الوثيقة.

(١٢) دار الوثائق القومية : محافظ عابدين : محفظة (٢٥٩) ، وثيقة (١٣٥) ، سبق ذكرها .

(١٣) دار الوثائق القومية : محافظ الأبحاث ، محفظة (٩٩) ، دفتر (٧٩٨) ، خديو تركى ، وثيقة (٢٣) ، سبق ذكرها .

(١٤) دار الوثائق القومية : محافظ الأبحاث ، محفظة (١٠٢) ، محفظة (٢٦٣) ، عابدين ، ترجمة الكشف المرفق بالوثيقة العربية رقم (٢٩) حمزاء ، د.ت .



المصادر والمراجع :

اولا : وثائق غير منشورة :

١ ــ وثائق عـــربية :

(أ) دار الوثائق القومية : محافظ الابحاث ، محفظة رقم (١) ، (٧) ، (١٠) ، (١١) ، (٩٥) ، (٩٦) ، (٩٧) ، (٩٨) ، (٩٩) ، (١٠٠) ، (١٠١) ، (١٠٢) ، (١٠٤) ، (١٠٦) .

(ب) دار الوثائق القومية : محـــافظ بحر برا ، محفظة رقم (١) ، (٢) ، (١٨) .

(جـ) دار الوثائق القومية : محافظ عابدين : محفظـــة رقم (٢٥٩) ، (٢٦٧) .

(د) دار الوثائق القومية : دفاتر خديو تركى ، دفتر رقم (٧٣٩) ، (٧٧٩) .

(هـ) دار الوثائق القومية : دفاتر معية تركى ، دفتر رقم (١) ، (٣) ، (٧) ، (١٠) ، (٤٤) ، (٥٤) ، (٥٧) ، (٤٣٢) ، (٤٣٨) .

٢ ــ وثائق أجنبية :

(أ) وثائق الخارجية البريطانية (F.O.) المحفــوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(B) I.OL. 8, Confidential Memorandum on the Turkish claim to Sovereiznity over the Eastern Shores of the Red Sea and the Whole of Arabia and the Egyptians claim to the whole of the Western Shores of the same sea, including the African Coast from Suez to Cape Guordafui, Printed for the use of the F.O. Hertsletmar, 1874.

ثانيا : رسائل جامعية غير منشورة :

١ ــ حمدنا الله مصطفى حسن ، الجيش المصرى ودوره فى الادارة المصرية بالسودان ١٨٢٠ ــ ١٨٤٨ ، رسالة ماجستير ، غير نشورة ، نوقشت بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠ .

٢ ــ حلف عبد العظيم سيد الميرى ، تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤ ــ ١٨٧٩ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، نوقشت بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٣ .

٣ ــ راشد توفيق عاطف أبوزيد ، التجارة فى السودان فى القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، نوقشت بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

٤ ــ رسمية محمد على حجازى ، تجارة مصر الخارجية فى عهد محمد على ١٨٠٥ ــ ١٨٤٨ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة نوقشت بكلية الدراسات الانسانية ، فرع البنات ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٩ .

٥ ــ زينب عمر محمود ، نشاط مصــر التجارى فى البحر الاحمر ١٨٠٥ ــ ١٨٧٩ ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، نوقشت بكلية الدراسات الانسانية ، فرع البنات ، جامعة الازهر ، ١٩٩٣ .

٦ ــ عبد الحميد حامد سليمان ، الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ، دورها السياسى ونظمها الادارية والمالية والاقتصادية ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، نوقشت بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ .

٧ ــ مالك محمد أحمد رشوان ، سياسة محمد على فى شبه الجزيرة العربية ١٨١١ ـ ١٨٤٠ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، نوقشت بكلية اللغة العربية ، قسم التاريخ والحضارة ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٩ .

٨ ــ مبارك محمد مبارك الحرشنى ، النشاط الاتجارى لميناء جدة خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى والسنوات الأولى من القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، نوقشت بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ .

٩ ــ محمد عبد الحسين الحلبى ، عدن والصراعات الدولية فى البحر الأحمر ١٧٩٨ ــ ١٨٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بمعهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٨ .

١٠ ــ محمود السيد عبد العال ، أسطول مصر الحربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، نوقشت بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

١١ ــ نسيم مقار ، أحوال السودان الاقتصادية تحت الادارة المصرية فى الفترة بين ١٨٢١ ــ ١٨٤٨ ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، نوقشت بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٥٩ .

ثالثا : المراجع العربية :

١ ــ حسن سعيد : البحرية فى عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٢ ــ ابراهيم صقر : أمن البحر الأحمر ، بعض الملاحظات الجيوبوليتيكية ، دراسة فى كتاب ندوة الدراسات العليا للتاريخ الحديث (البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة) ، التى عقدت فى الفترة من ١٠ الى ١٥ مارس ١٩٧٩ ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠ .

٣ ــ أ . ب . كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، دار الموقف العربى ، ج ٣ ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

٤ ــ اجية يونان جرجس : البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربى والصراع العربى ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، د.ت.

٥ ــ ادوار جوان : مصر فى القرن التاسع عشر ، تعريب محمد مسعود ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٢١ .

٦ ــ احمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، مطبعة المصرى ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٧ ــ أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين) دراســة جرافية وتاريخية وسياسية شاملة ، مكتبة السنة المحمدية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٨ ــ احمد عبد الهادى : نهضة البحرية التجارية والتشريع البحرى ، دراسة فى كتاب اسماعيل ، بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

٩ ــ احمد عزت عبد الكريم : سياسة مصر واستراتيجيتها فى البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ، دراسة فى كتاب ندوة البحر الأحمر .

١٠ ــ أحمد كمال الطوبجي : النقل البحرى فى مصر ، ط ١ ، القاهرة ، يناير ١٩٥٩ .

١١ ــ الياس الايوبى : محمد على ، سيرته وأعماله وآثاره ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٢٣ .

١٢ ــ أمين سامى باشا : تقويم النيل ، جـ ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

١٣ ــ أمين مصطفى عفيفى : تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

١٤ ــ أنور عبد العليم : البحار والمحيطات ، دراسة طبيعية وبيولوجية للبحار والمحيطات وأعماقها وثرواتها الاقتصادية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٥ ــ ب.س. جيرار : موسوعة الحياة الاقتصــادية فى الــ ق ١٨ ، جـ ١ ، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة ، ترجمة زهير الشايب ، مكتبة الخانجى ، ط ١ ، القاهرة ، د.ت.

١٦ ــ بيير كرابيتس : ابراهيم باشا : ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

١٧ ــ جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية، دار الفكر العربى ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

١٨ ــ جلال يحيى : مصر الافريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

١٩ ــ جلال يحيى ، محمد نصر مهنا : الموانىء ومشكلاتها فى العلاقات الدولية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٢٠ ـ جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٢١ ـ جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الأوربى الأول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د.ت.

٢٢ ـ جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٢٣ ـ جمال زكريا قاسم : الصراعات المحلية والدولية فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن السادس عشر ، (دراسة ضمن ندوة البحر الاحمر) .

٢٤ ـ جميل خانكى : أمراء البحار فى الأسطول المصرى فى النصف الأول من الـ ق ١٩ ، د.ت.

٢٥ ـ جودة حسنين جودة : شبه الجزيرة العربية ، دراسة فى الجغرافية الاقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٢٦ ـ جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ، جـ ٢ ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٢٧ ـ جون لويس بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة فؤاد اندراوس ، مطبعة المعرفة ، القاهرة ، د.ت .

٢٨ ـ جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر من الحملة

الفرنسية ١٧٩٨ الى الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ، ترجمة عبد العظيم رمضان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ت .

٢٩ ـــ حسين بن على الويسى : اليمن الكبرى : مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٣٠ ـــ حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث، مطبعة حجازى : القاهرة ، د.ت .

٣١ ـــ حلمى احمد شلبى : فصول من تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ ـــ ١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٣٢ ـــ حمدنا الله مصطفى : التطور الاقتصادى والاجتماعى فى السودان ١٨٤١ ـــ ١٨٨١ ، دار المعارف ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٣٣ ـــ حمزة على ابراهيم لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٣٤ ـــ داود بركات باشا : السودان المصرى ومطامع السياسة البريطانية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩١٩ .

٣٥ ـــ درويش النخيلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٣٦ ـــ رئاسة مجلس الوزراء : مذكرة تاريخية عن مصر والسودان والملحقات ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٣٧ ـــ راشد البراوى ، محمد حمزة عليش : التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٣٨ ــ رشاد الدين الشامى : البحر الأحمر فى العصر القديم على ضوء قصة خروج بنى اسرائيل من مصر ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

٣٩ ــ رفعت الجوهرى : ساحل المرجان وصحراء البحر الأحمر، الدار القومية للطباعة والنشر ، د.ت .

٤٠ ــ سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاســلامية وآثارها الباقية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، د.ت .

٤١ ــ سعد بدير الحلوانى : العلاقات بين مصر والحجاز ونجد فى الــ ق ١٩ ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

٤٢ــ السيد رجب حراز : ارتريا الحديثة ١٥٥٧ ــ ١٩٤١ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٤٣ ــ السيد رجب حراز : أفريقيا الشـــرقية والاستعمار الأوربى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د.ت .

٤٤ ــ السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشـــبه جزيرة العرب ١٨٤٠ ــ ١٩٠٩ ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٤٥ ــ السيد رجب حراز : الأصول التاريخية للمشكلة الأرترية، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٤٦ ــ السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى الى الاحتلال البريطانى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٤٧ ــ السيد يوسف نصر : جهود مصر الكشفية فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٤٨ ــ شريف محمد شريف : جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٤٩ ــ شوقى عطا الله الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، حضارته وعلاقاته بمصر منذ أقدم العصور الى الوقت الحاضر ، جـ ٢ ، ١٨٢٠ ــ ١٨٧٩ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت .

٥٠ ــ شوقى عطا الله الجمل : سـياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن ١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٥١ ــ شوقى عطا الله الجمل : سياسة مصر واستراتيجيتها فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشـر ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

٥٢ ــ صلاح الدين الشامى : جغرافية النقل والمواصلات ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت .

٥٣ ــ صلاح الدين الشامى ، الموانىء السودانية ، دراسة الجغرافية التاريخية ، سلسلة الألف كتاب ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٥٤ ــ صلاح العقاد : الاسـتعمار فى الخليج الفارسى ، سلسلة الألف كتاب ، العدد ١٢١ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٥٥ ــ عاطف البسيد : البحر الأحمر والعالم المعاصر ، دراسة تاريخية سياسية استراتيجية ، دار عطوة للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٥٦ ــ عبد الحميد البطريق : ابراهيم باشا فى بلاد العرب ،

دراسة في كتاب ذكرى البطل الفاتح ١٨٤٨ ــ ١٩٤٨ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥٧ ــ عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ــ ١٨٤٠ ، ب . ط . القاهرة ، ١٩٦٩ .

٥٨ ــ عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، جـ ٣ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة د . ت .

٥٩ ــ عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، دار المعارف ، ط ٥ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٦٠ ــ عبد الرحمن زكي : التاريخ الحربي لعصر محمد على الكبير ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

٦١ ــ عبد الرحمن زكي : أعلام الجيش والبحرية في مصر أثناء القرن الـ ١٩ ، جـ ١ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، د.ت.

٦٢ ــ عبد الرحمن زكي : محمد على وعصره ، دار الكتاب العربي ، د.ت .

٦٣ ــ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : رسائل وبحوث الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ ــ ١٨١٨ ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٦٤ ــ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر الحديث ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٣٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠ .

٦٥ ــ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه

الجزيرة العربية ١٨١٩ ــ ١٨٤٠ ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة، ١٩٨١ .

٦٦ ــ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق الدولة السعودية الأولى فى عصر محمد على ، المجلد الثانى ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٦٧ ــ عبد العزيز محمد الشناوى وآخرون : مدينة السويس ومنطقها فى العصر الحديث ، دراسة ضمن كتاب بلادنا السويس، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، يوليو ١٩٦٦ .

٦٨ ــ عبد العزيز سليمان نوار : التاثير الاســـــتراتيجى والسياسى المتبادل بين منطقتى البحر الأحمر والخليج العربى فى النصف الأول من القرن الــ ١٩ ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

٦٩ ــ عبد الله صالح العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ، جـ ١ ، مطابع الشريف ، ط ٢ ، الرياض ، ١٩٨٩ .

٧٠ ــ عبد المنصف محمود الباشا : ابراهيم الفاتح ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ط ١ ، د.ت.

٧١ ــ عبد المنصــف محمود الباشا : محمد على الكبير ، مطبعة شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٧٢ ــ عبد الواسع بن يحيى الواسعى اليمانى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، اليمن ، د.ت .

٧٣ ــ عثمان بن عبد الله بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ،

ط ١ ، جـ ٢ ، دار الملك عبد العزيز ، مطابع دار الهلال للأوفست ، ط ٤ ، الرياض ، ١٩٨٢ .

٧٤ ــ عثمان صالح سبى : الصراع فى حوض البحر الأحمر عبر التاريخ ، دار الفجر الجديد للطباعة والنشر ، د.ت.

٧٥ ــ على أحمد عيسى عسيرى : عسير من ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م الى ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م ، مطبوعات نادى أبها الأدبى ، السعودية ، ١٩٨٦ .

٧٦ ــ على الدين هلال : الأمن العربى والصراع الاستراتيجى فى منطقة البحر الأحمر ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

٧٧ ــ على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٧٨ ــ عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ ــ ١٩٢٢ ، دا رالنهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٧٩ ــ على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ ١ ، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٨٠ ــ فائق بكر الصواف ، مصطفى محمد رمضان : أهمية ثغر جدة فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

٨١ ــ فاروق عثمان أباظة : أثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، دار المعارف ، الاسكندرية ، د.ت .

٨٢ ــ فاروق عثمان أباظة : الحكم العثمـــانى فى اليمن ١٨٧٢ ــ ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٨٣ ــ فاروق عثمان اباظة : التنافس الدولى فى جنــوب البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

٨٤ ــ فاروق عثمان أباظة : العلاقات المصــرية اليمنية ، وموقف بريطانيا ازاءها فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

٨٥ ــ فاروق عثمان اباظة : سياسة بريطانيا فى عســير أثناء الحرب العالمية الأولى ، دار المعارف ، الاسكندرية ، د.ت .

٨٦ ــ فاروق عثمان اباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ ــ ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

٨٧ ــ فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٤ ــ ١٩١٤ ، الهيئة المصــــرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٨٨ ــ ف . وستنفلد : جدول الســـــنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشــــهورها ، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحســـن رمضـــان ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت .

٨٩ ــ قحطان محمد الشعبى : الاستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب المين (عدن والامارات) ، دار النصر للطباعة والنشر والاعلان ، القاهرة .

٩٠ ــ كريم ثابت : محمد على ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، د . ت .

٩١ ــ ليلى عبد اللطيف : أهمية بندر السويس فى العصر العثمانى ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

٩٢ ــ محمد أحمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ــ ١٩١٤ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت .

٩٣ ــ محمد أمين حسونة : مصر والطرق الحديدية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

٩٤ ــ محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامى مصدر الشرعية للنظام السعودى ، المطبعة الفنية ، ط ٤ ، القاهرة، ١٩٨٤ .

٩٥ ــ محمد رفعت بك : تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة ، المطبعة الأميرية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

٩٦ ــ محمد رفعت رمضان : وضع السودان فى نطاق العلاقات بين مصر والدولة العثمانية حتى ١٨٦٣ ، مطبعة لجنة البيان ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٩٧ ــ محمد طلعت حرب باشا : قناة السويس ، مطبعة الجريدة ، القاهرة ، ١٩١٠ .

٩٨ ــ محمد غانم عقيل : أهمية الموقع الجغرافى لسواحل مصر العربية ، دراسة ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

٩٩ ــ محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على (السياسة الداخلية) ، دار الفكر العربى ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

١٠٠ — محمد فؤاد شـــــكرى : تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠ — ١٨٩٩ ، دار المعارف القاهرة ، د.ت .

١٠١ — محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠ — ١٨٨٥ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

١٠٢— محمد فؤاد شكرى : مصر فى مطلع القرن التاســـع عشر ١٨٠١ — ١٨١١ ، ج ٣ ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٣ .

١٠٣ — محمد فؤاد شكرى : مصر والسيادة على السودان « الوضـــــع التاريخى للمسألة » دار الفكر العربى ، القاهرة ، د.ت .

١٠٤ — محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، مطبعة محمد افندى ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٨٩٦ .

١٠٥ — محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصـــادى فى العصور الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

١٠٦ — محمد كمال عبد الحميد : الاستعمار البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية ، مطبعة السنة المحمدية ، ط ٣ ، القاهرة ، د . ت .

١٠٧ محمد محمود السروجى : البحرية المصرية فى العصر الحديث ، دراسة ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

١٠٨ — محمد محمود السروجى : العلاقات بين مصر وأثيوبيا فى القرن التاسع عشر ، مطبعة المصرى ، الاسكندرية ، ١٩٦١ .

١٠٩ — محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية فى مقارنة

التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ، تحقيق وتكملة د . محمد عمارة ، مجلدان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

١١٠ — محمد توفيق محمود : مواقف القوى فى البحر الأحمر ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

١١١ محمود حسن صالح منسى : مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفردنان دى لسبس ، دار الطباعة العربى للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧١ .

١١٢ — مصطفى كمال عبد العليم : دور البحر الأحمر فى تاريخ مصر على عهد البطالمة ، دراسة ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر .

١١٣ — مصطفى محمد محمد رمضان : مصادر تاريخ مصر الحديث ، كلية اللغة العربية ، قسم التاريخ والحضارة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

١١٤ مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ، مصر والسودان فى القرن التاسع عشر ، دار الثقافة ، مطبعة سميا ، بيروت ، د.ت .

١١٥ — نسيم مقار : مصر وبناء السودان الحديث ، سلسلة مصر النهضة ، العدد ٣٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

١١٦ — نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٢ .

١١٧ — نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

١١٨ ــ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار الكتب العلمية، ط ١ ، بيروت ، د.ت .

رابعــــا : المراجع الأجنبيـــة :

1. Andrew, W.P. : The Euphrates Valley Railway, Letters addressed to Her Maçesty's Secretaries of State for Affairs and for India, London, 1870.
2. Dodwell, Henry : The Founder of Modern Egypt, Cambridge University Press, 1931.
3. Hill, Richard : Egypt in Sudan 1820 — 1881, London, 1949.
4. Haskins, Halford L. : British Routes to India London, Longman Greeln, 1828.
5. Marston, Thomas E. : Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800 — 1878, The Shoe String Press Inc., Hamden, Connecticut U.S.A.
6. Playfair, Captain Rebort Lambert : A History of Arabia or Yemen, from The Commencement of the Christian Era to the Present Time, Including an Account of the British Settlement of Aden, Bombay, Government Central Press, 1859, Selections from the Records of the Bombay Government New Series, Number XLIX.
7. Waterfield, Gordon : Sultans of Aden, John Murray. London, 1968.

خامسا : الدوريات :

١ ــ المجلة التاريخية :

ــ أمين مصطفى عبد الله : تاريخ التجارة فى عهد محمد على، مصادره ووثائقه ، مجلد ٢ ، العدد ٢ ، أكتوبر ١٩٤٩ .

٢ ـ مجلة الجيش :

ـ عبد الرحمن زكى : الحملة المصرية فى شبه الجزيرة العربية ١٨١١ ـ ١٨١٩ ، المجلد ١٢ ، العدد ٤٨ ، مارس ١٩٥٠ .

٣ ـ مجلة السياسة الدولية :

ـ عبد العاطى احمد : البحر الأحمر ومخاطر الصراع الدولى ، العدد (٥٤) ، اكتوبر ١٩٧٨ م .

ـ د . عبد العظيم رمضان : حركة المد والجزر التاريخية بين طريقى السويس ورأس الرجاء الصالح ، العدد ٥٤ ، اكتوبر ١٩٧٨ .

ـ د . محمود توفيق محمود : البحر الأحمر فى الاستراتيجية الدولية ، العدد (٥٧) ، يوليو ١٩٧٩ م .

٤ ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية :

ـ د . احمد فؤاد متولى : البحرية العثمانية والبرتغالية فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، على ضوء الوثائق التاريخية ، العدد ٤ ، الرياض ، ١٩٨٠ .

٥ ـ مجلة عالم المعرفة :

ـ صلاح الدين حافظ : صراع القوى العظمى حول القرن الافريقى ، العدد ٤٩ ، يناير ١٩٨٢ .

٦ ـ مجلة معهد البحوث والدراسات العربية :

ـ محمد رفعت : سباق بين مصر وبريطانيا على عدن فى عام ١٨٣٨ ، العدد ١ ، مارس ١٩٦٩ .

* * *

الفهـــرس

الصفحة

الصفحة

سياسة مصر على ساحل الحجاز

الصفحة

سياسة مصر على ســاحل اليمن

سياسة مصر على الساحل الغربى للبحر الأحمر

الصفحة

صدر من هذه السلسلة

١٣ ــ اكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ــ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ــ المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د . على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ــ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ــ ١٩٥٢) ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ــ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ــ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د . على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ــ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د . أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ــ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د . محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، حـ ١ ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ــ نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى حـ ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩

٢٥ ـ المجتمع الاســـلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د . احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ـ فتح العرب لمصر ، حـ ١ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ ـ فتح العرب لمصر ، حـ ٢ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ ـ مصر فى عصر الاخشيديين ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شـــــكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، حـ ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضـــاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د . خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصــور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
٣٦ ـ المجتمع الاسلامى والغرب ، حـ ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠
٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
د . سليمان صـالح ، ١٩٩٠
٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصـادى والاجتماعى فى العصر العثمـانى
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،
د . جميل عبيـد ، ١٩٩٠
٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د . عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠ .
٤١ ـ محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د . رفعت السعيد ، ١٩٩١
٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
٤٣ ـ رحلة فى عقول مصـرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى ، ١٩٩١
٤٥ ـ الحروب الصليبية ، حـ ١ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د . حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د . لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د . زبيدة عطـا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د . سـهير اسكندر ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(ابحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د . الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د .. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الاقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د . محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية حـ ٢ ،**
تاليف : وليم الصـورى : ترجمة وتعليق : د . حسـن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،**
د . حلمى احمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ ــ مصر الاسـلامية واهل الذمة ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
٥٨ ــ احمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د . ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣
٥٩ ــ الراسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصـير الى التاميم (١٩٥٧ ــ ١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
٦٠ ــ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣
٦١ ــ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
٦٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر حـ ٣ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣
٦٣ ــ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية،
تاليف : د . سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشـور ، أعدها للنشـر : د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
٦٤ ــ مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسـة وثائقيـة ،
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
٦٥ ــ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ــ ١٩١٧)
سـهام نصـار ، ١٩٩٣
٦٦ المراة فى مصر فى العصر الفاطمى ،
د . تريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣
٦٧ ــ مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ - **الحروب الصليبية ، جـ ٣ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة : وتعليق : د . حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ - **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١)،**
د . محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ - **اهل الذمة فى الاسلام ،**
تأليف : أ . س ترتون ، ترجمة وتعليق : د حسن حبشى ،
ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ - **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ - **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،**
امينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ - **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د . رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ - **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، جـ ١ ، فى العصر الفرعونى**
د . سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ - **اهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د . سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ - **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،**
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ الحروب الصليبية ، هـ ٤ ،
تأليف : وليم الصـورى ، ترجمة وتعليق : د حسـن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمـة : عبد الحميـد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ قنـاة السـويس والتنافس الاسـتعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر اكتوبر ،
د . رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، هـ ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، هـ ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ، ١٩٩٥

٨٥ ـ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصـر الحرية الاقتصـادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،
د . أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن ، حـ ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،
د . عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) حـ ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،
د . نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، جـ ٢ ،
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ مصر وافريقيا .. الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،
(ابحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة)
اعدها للنشر د . عبد العظيم رمضان

٩٦ ــ **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ــ ١٩٧٠) ،**
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ ــ **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،**
د . ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ــ **هيكل والسياسة الأسبوعية ،**
د . محمد سيد محمد

٩٩ ــ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ــ الرومانى) جـ ٢ ،**
د . سمير يحيى الجمال

١٠٠ ــ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،**
أ. د. عبد العزيز صالح ، أ. د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحى ،
أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم رمضان

١٠١ ــ **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،**
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ــ **المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ــ ١٩٥٢ ،**
د . تيسير أبو عرجة

١٠٣ ــ **رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،**
د . على بركات

١٠٤ ــ **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ــ ١٩٥٢) ،**
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،

د . أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، حـ ٢ ،

د . سليمان صـــالح

١٠٧ ـ الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،

تأليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ ـ مصر للمصريين ، حـ ٤ ،

ســليم خليــل النقــاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ، حـ ٥ ،

ســليم خليــل النقــاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر ســـلاطين المليك) ، حـ ١ ،

د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر ســـلاطين المماليك) ، حـ ٢ ،

د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ اســماعيل باشــا صــدقى ،

د . محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)،

د . اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،

أحمد رشــدى صــالح

١١٥ ــ مذكراتى فى نصف قرن ، ﺣ ٣ ،
أحمد شفيق باشا

١١٦ ــ أديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد

١١٧ ــ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ــ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ــ النظم المالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٩ ــ النقابات فى مصر الرومانية « دراسة وثائقية »
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ــ يوميات من التاريخ المصرى الحديث (١٧٧٥ ــ ١٩٥٢)
لويس جرجس

١٢١ ــ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ــ ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ــ مصر للمصريين ﺣ ٦ ،
سليم خليل النقاش

١٢٣ ــ السيد أحمد البدوى ،
د . سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ــ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن ،
د . محمد نعمان جلال

١٢٥ ــ مصر المصريين ﺣ ٧ ،
سليم خليل النقاش

١٢٦ ــ مصر للمصريين ﺣ ٨ ،
سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) ،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ معارك صحفية ،
جمال بدوى

١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الاقتصاد المصرى) (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) ،
د . يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧) ،
سمير فريد

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)
جايل ماير

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر ﺣـ ١
د . ماجدة محمد محمود

١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر ﺣـ ٢
د . ماجدة محمد محمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى
بقلم : عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية (فى ضوء وثائق الجنيزة) (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د . محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم : أ . د عبد العظيم رمضان

١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د . محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ـ الاخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر
السيد يوسف

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم : محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥ هـ/١٨١١ ـ ١٨٤٨ م
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

رقم الايداع ١٤٦٨٧/١٩٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 5961 — 1

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

هذا الكتاب يرسم صورة مهمة لسياسة محمد على الخارجية والعسكرية التى استهدف بها تأمين حدود مصر من كافة الجهات استعداد لتكوين امبراطورية مصرية. ولقد كان ميدان البحر الأحمر هو أهم الميادين التى تتكالب الدول الكبرى للسيطرة عليه لكونه أقصر طريق إلى الشرق، وكانت وسيلتها فى ذلك السيطرة على مصر ذاتها، فأرسلت فرنسا الحملة الفرنسية أولاً، وأرسلت انجلترا حملة فريزر، وكان فشل هذه الحملات هو المقدمة الطبيعية لتولى محمد على حكم مصر.



٣٥٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب